

سؤال وجواب

في شئون الدين والحياة

إعداد:

عصام الدين الهنامي

ماذا تعرف عن:

- الشهادتان
- الرسل
- اليوم الآخر
- الملائكة
- الكتب المنزلة
- الجنة والنار

الدار الذهبية

سؤال وجواب
في شئون الدين والحياة



مقدمة

الحمد لله رب العالمين،

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الشباب - كما نعرف - عدة الأمة، وركيزة المستقبل، وهم الصفحة البيضاء النقية، القابلة لكل ما يُسطر عليها، فإذا أحسن ما يُكتب فيها نفعت وأفادت، وأنارت ظلام الطريق، وهم النبتة الصغيرة التي إذا تعهدتها الزارع تعهداً حسناً زكت ونمت وآتت أبرك الثمرات، وأصبحت شجرة طيبة، أصلها ثابت وفرعها في السماء.

وهم أمل الإسلام في أن يعود قوياً نقيّاً كما كان في عهده المشرق الزاهر، وأن يصبح المسلمون - كما أراد الله لهم أن يكونوا - خير أمة أخرجت للناس.

والشباب مسؤولية كل مسلم، عليه أن يسهم بقدر جهده في رعايته، وحسن تنشئته سواء أكان أباً أم أمّاً، أم معلماً أم كاتباً أو غير هؤلاء ممن يملك وسيلة من

وسائل التوجيه.

وأعظم جهد في هذا المجال هو القدوة الحسنة، ثم التوجيه الرفيق الحازم، وهذه المسؤولية تبدأ منذ الصغر في سن التكوين تلك السن التي ترسخ فيها المعلومات في ذهن الناشئ، ويكون المجال المحيط به مكوناً هاماً من مكونات شخصيته. أي منذ أن يصبح الطفل قادراً على إدراك ما يحيط به، وفهم ما يدور حوله من أمور.

وقد أردت أن أسهم بجهد المقل في هذا المجال، فأقدم للشباب الناشئ تعريفاً موجزاً بديننا، الإسلام، وما يقوم عليه الإيثار الصحيح من أسس وأركان، وما يوجبه الإسلام على المسلم من عبادات، وما يرسمه له من أخلاق فاضلة.

وقد أدرت الكتاب على الحوار الذي يدور بين أفراد أسرة مسلمة ملتزمة حريصة على أن تنشئ بنيتها وبناتها تنشئة فاضلة على مبادئ الإسلام. وقدمت من خلال الحوار كل ما يهم المسلم معرفته من شؤون دينه، وجعلته أربعة أقسام:

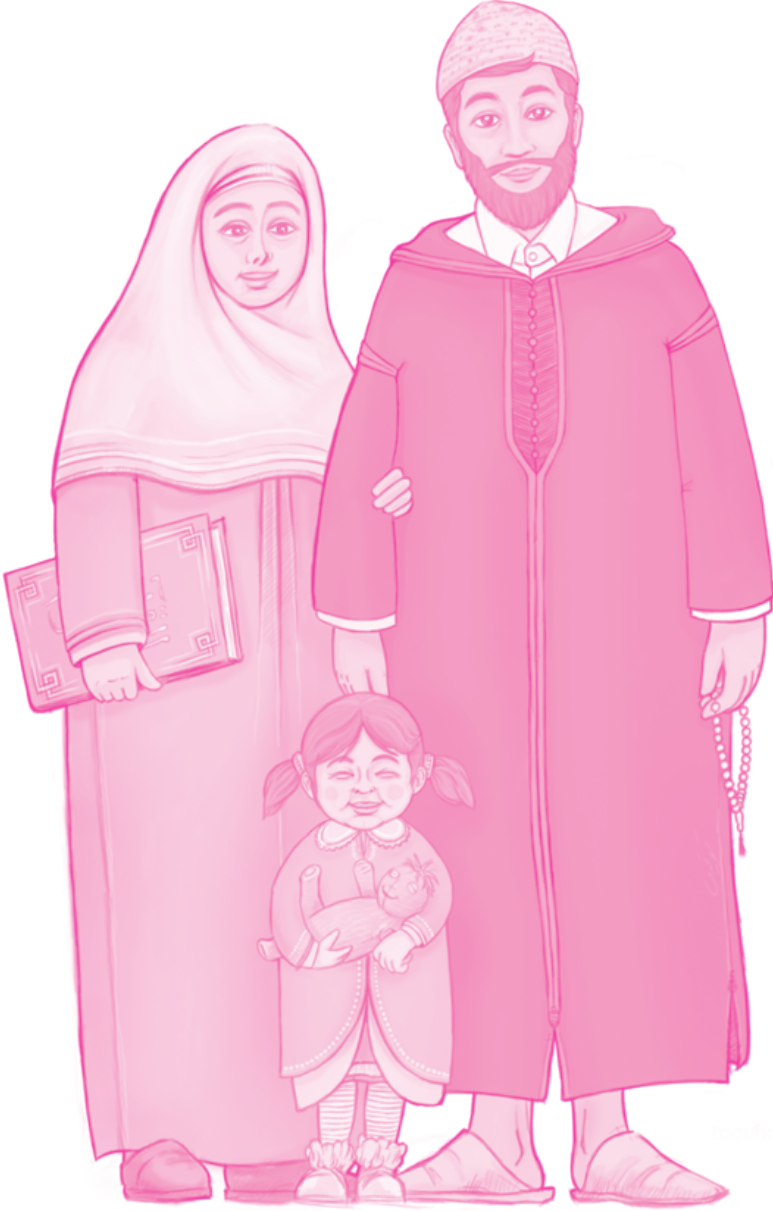
قسم خاص بعقيدة المسلم، وما ينبغي للمسلم أن يؤمن به، ويعتقده في قلبه من إيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

وقسم خاص بالعبادات لم أتوخ فيه تفصيل أفعالها بقدر ما توخيت روح العبادة والحكمة منها، والآثار التي ينبغي أن تترتب على أدائها.

وقسم ثالث يتناول القيم الفاضلة التي عنى الإسلام بغرسها في نفوس الناس، وقسم رابع وأخير يبين الأخلاق الحميدة التي دعا إليها الإسلام، ويبين ثمرة الالتزام

بها، والردائل التي نَقَرَّ منها ودعا إلى اجتنابها، ويبين مغبة شيوعها في المجتمع المسلم.
ومرشدى في كل ما أقول كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.
والله أسأل أن ينفع الجيل الناشئ بهذا الكتاب، وأن يجدوا فيه ما يعرفهم بدينهم،
دين البشرية كلها: الإسلام، وأن يكون لبنة في صرح تربية جيل مسلم قوي يعيد
للإسلام صفاءه ونقاءه.

المؤلف



أسرة مسلمة

تتكون هذه الأسرة من الأب، والأم وثلاثة أولاد. أما الأب فاسمه محمد، ويعمل أستاذاً بالجامعة، والأم، واسمها فاطمة، قد حصلت على شهادة جامعية، ولكنها آثرت التفرغ لبيتها وزوجها وتربية أبنائها، فنجاحها في هذا المجال يعود بالنفع العميم على الأسرة وعلى المجتمع كله.

والأولاد الثلاثة: أكبرهم أحمد، وهو في السادسة عشرة ويدرس بالصف الثاني الثانوى، وعمره: وهو في الرابعة عشرة من عمره، يدرس بالصف الثالث الإعدادى، والصغرى هى زينب وكانت في الثانية عشرة من عمرها، وتدرس بالصف الأول الإعدادى.

وقد ربى الوالدان أولادهما تربية إسلامية خالصة، وغرسا في أنفسهم القيم الفاضلة وحب الخير، وعوداهم حب القراءة، والتأمل في كل ما يحيط بهم، وأن يسألوا ويناقشوا في كل ما يخطر ببالهم.

وكان الأب ينتهز كل فرصة من أوقات فراغه ليجلس إلى أسرته، ويدير معهم نقاشاً في كل ما يعنُّهم من أمور، وكان واسع الصدر لا يضيق بأسئلتهم مهما كثرت، عظيم الإمام بالثقافة الإسلامية، وكان الأولاد يسعدون بالجلوس إليه، ويسألونه عن كل ما يخطر ببالهم من مسائل الدين. وكان أكثرهم أسئلة الصغيرة زينب، فقد كان ذهنها متفتحاً تريد أن تعرف كل ما يقع في محيطها، وتستفسر عن كل ما تسمع، وخصوصاً أمور الدين، والغيبات التى أخبر عنها القرآن وكان أبوها يعجبه منها هذا الإلحاح على معرفة كل شىء، ويجيبها عنه إجابات مبسطة تناسب سنّها وتنفعها وتنفع أخويها.

وقد أعجبني ما كان يدور بينهم من مناقشات فسجلتها لكم.



عقيدتنا

- بناء الإسلام.
- الشهادتان.
- الملائكة.
- الرسل.
- الكتب المنزلة.
- اليوم الآخر.



بناء الإسلام

عاد الأب إلى منزله، بعدما صلى العشاء، فوجد الأسرة في انتظاره فحياهم بتحية الإسلام، وهى: السلام عليكم، فردوا تحيته بأحسن منها. ثم انتظم مجلسهم كعادتهم مساء كل خميس حيث يتخفف الأب من مشاغله العلمية، ويتفرغ لمسامرة أسرته، وحيث يأخذ الأبناء إجازة من دروسهم ليسعدوا بنقاشهم مع والديهم.

بادرت الصغيرة زينب أباهما سائلة: يا أبى، هل الإسلام بيت؟ فقال أبوها: وكيف ذلك؟ قالت: لقد ذكر لنا مدرس الدين في المدرسة حديثاً عن الرسول ﷺ يقول: "بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً" فهل الإسلام بيت يا أبى؟

ضحك الأب. وقال: نعم يا بنتى، الإسلام بناء محكم وله أركان يقوم عليها، ولكن هذه الأركان ليست من طوب أو حجر ولكن من قيم ومبادئ، وأى تقصير فى الالتزام بمبدأ من هذه المبادئ ينقص من إيمان المسلم، ويضعف من إسلامه، فكما أن أركان البيت وجدرانه هى التى تقيم بناء البيت، وإذا انهار جدار منها تعرض البيت للسقوط كذلك أركان الإسلام إذا ترك المسلم ركناً منها كان إيمانه ناقصاً، وتعرض إسلامه للضياع، وعدم القبول من الله، فالذى يترك الصلاة مثلاً يهدم ركناً من أركان الدين، ولا ينفعه بعد ذلك إقامة بعض الأركان الأخرى، وكذلك الذى

يجب ولا يعطى الزكاة أو يصلى ولا يصوم. كل نوع من هذه الأنواع يهدم ركنًا من أركان الدين ويعرض إسلام المسلم لعدم القبول، ولعقاب الله تعالى.

الإسلام دين البشرية كلها

عمر: ولكن يا أبى لم سُمى ديننا الإسلام بخلاف الأديان الأخرى التى تنتسب إلى اسم نبيها أو شعبها كالمسيحية نسبة إلى المسيح ÷ ، أو اليهودية التى تسمى باسم اليهود.

قال الأب: اعلّموا يا أولادى أن الإسلام هو دين الله الحق الذى أرسل به جميع أنبيائه، ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (آل عمران: ١٩).

أحمد: ولكن ما معنى كلمة "الإسلام"؟

الأب: هذا سؤال وجيه جدًّا، الإسلام يا أعزائى معناه الخضوع والطاعة لله فى كل ما يأمر به، والتسليم بكل ما يريده، وهذه هى طبيعة الدين الإسلامى. فالمسلم هو الذى يسلم أمره إلى الله فى كل شأن من شؤونه، ويخضع لكل ما قضى الله به فى كل أمر من أموره، ولا يقبل الله الإيمان من أحد إلا إذا كان بهذه الصفة.

أحمد: لقد قلت حضرتك: (إن الإسلام هو الدين الذى جاء به جميع الأنبياء) فكيف ذلك؟

الأب: لقد حدثنا الله بذلك فى قرآنه الكريم، فقال على لسان نبيه نوح ÷ :

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (يونس: ٧٢) وقد وصى إبراهيم ÷ وهو أبوكثير من الأنبياء - أبناءه بأن يكونوا مسلمين، وكذلك وصى حفيده يعقوب أبناءه بأن يظلوا متمسكين بإسلامهم حتى الموت، قال تعالى ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٢).

وسيدنا إبراهيم ÷ هو الذى سمّانا "مسلمين" كما أخبر بذلك القرآن:

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ قُلْةَ
 أَبِيكُمْ إِزْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ
 وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ
 الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (الحج: ٧٨) وهناك آيات أخرى كثيرة تصف الأنبياء وأتباعهم
 بأنهم مسلمون ستعرفونهم بعد ذلك، وسر ذلك كما أخبرتكم أن الإسلام هو إعلان
 الخضوع والطاعة لله فى كل ما يأمر به وينهى عنه.

وعند ذلك قالت الأم: ما أمتع هذا الحديث، ولكن كما قال رسولنا الكريم ﷺ:

"إن لبدنك عليك حقاً" وقد حان موعد العشاء فلتتعش، ثم لنسمر بعد ذلك.

الشهادتان

وكان موعد الجلسة التالية، وكان الأولاد متشوقين لها، فلما جاء الأب وحيا أسرته أسرعوا قائلين: فلنكمل الحديث يا أبي عن بناء الإسلام وأركانه.

الأب: إن أول الأركان وأهمها هما شهادتا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ولا يمكن الانتساب إلى الإسلام دون هاتين الشهادتين. وأي ممارسة للأركان الأخرى دون الاعتقاد بهاتين الشهادتين لا قيمة لها ولا يقبلها الله.

زينب: ولكن يا أبي ما معنى الشهادتين؟

قال الأب: الشهادة معناها الإقرار والإعلان والتأكد بحدوث شيء، فأنتم حينما تشهدون على شيء تقررون وتؤكدون أن هذا الشيء قد حدث، فلذلك شهادتا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله معناهما أننا نعلن ونؤكد ونقرر أن الله موجود، وأنه ليس هناك إله غيره، كما نعلن ونؤكد أن محمداً رسول الله أرسله بدين الحق ليهدى الناس إليه.

الله موجود

عمر: نحن نؤمن أن الله موجود، ولكننا لا نراه، فلماذا لا نراه يا أبي؟

الأب: إننا لا يمكن أن نرى الله في الدنيا لأن الله نور، فقد قال الله تعالى في قرآنه: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (النور: ٣٥) والنور لا يُرى وإنما نرى بفضله كل شيء.

أحمد: ولكننا يمكننا أن نرى مصدر النور، ففي النهار يملأ نور الشمس أرجاء

الدنيا، ومع ذلك يمكننا أن نرى الشمس نفسها.

أجاب الأب: يا بني إن نور الشمس بجانب نور الله ضئيل ضئيل ولا يمكن مقارنة شيء بنور الله. فالله - كما وصف نفسه - ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى: ١١) ومع ضآلة نور الشمس بجانب نور الله فإنك لا تستطيع أن تحدد في الشمس لثوانٍ قليلة وإلا أصبت بالعمى.

وسأخبركم بموقف نبي عظيم من هذا الأمر، فقد طمع سيدنا موسى ﷺ في رؤية الله بعدما سمع كلامه، ولكن الله أفهمه بدليل عملي أنه لا يمكن لمخلوق مهما بلغت ضخامته أن يتحمل رؤية الله. فقد قال موسى لربه ﴿رَبِّ ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا بَلَغَ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ تُبَّتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ (الأعراف: ١٤٣).

عمر: أرجو يا أبا أن توضح لنا الآية.

الأب: إن الله أراد أن يُبين لموسى أن رؤية مخلوق له مستحيلة وأنه لو ظهر لأي مخلوق مهما بلغت عظمتها فستحطم في الحال، فقال لموسى: انظر إلى الجبل - وهو الجبل الذي كان موسى يقف عنده وربه ينجيه - وسأظهر له فإن استطاع أن يتحمل ظهوري، فستستطيع أنت أيضاً رؤيتي، ونظر موسى إلى الجبل ففوجئ أن الجبل يندك ويُسَوَّى بالأرض، فأغمي على موسى من هول ما رأى، فلما أفاق من إغماءته أدرك أنه أخطأ بطلبه رؤية الله التي لا يمكن لأحد أن يتحملها ولو كان الجبل أضخم مخلوقات الله في الأرض، وأعلن توبته إلى الله وإيمانه به.

وإليكم مثلاً من حياتنا اليومية نعرفه جميعاً (قومي يا زينب، اذهبي إلى الحجرة

المقابلة واضغطى على زر النور) ففعلت زينب ذلك فأضاءت الحجرة، فقال الأب: من أوجد النور في الحجرة؟ أجابوا جميعاً: الكهرباء، فقال لهم: أين الكهرباء؟ فقالوا: إنها تسرى في الأسلاك. فقال الأب: فهل يمكننا أن نراها؟ قالوا جميعاً: لا. قال: ولكننا نرى آثارها فهي تضيء الظلام، وتُشغل الثلاجة والتلفزيون وغيرهما من الأجهزة الكهربائية، والكهرباء ما هي إلا مخلوق ضئيل من خلق الله، فنحن لا نرى الله سبحانه وتعالى ولكننا نرى آثاره الكثيرة والعظيمة، وأريد الآن من أحدهم أن يحدثنا عن بعض هذه الآثار.

آثار وجود الله

أحمد: هذا الكون العجيب المنظم الدقيق بأرضه وسمائه وشمسه وقمره ونجومه التي تسير وفق نظام دقيق محدد لا يتغير ولا يتبدل ولا يتخلف. لقد عرفنا في الجغرافيا أن الأرض كرة تدور حول الشمس وأنها مُعلَّقة في الفضاء بقدره الله تعالى، ولم يحدث لآلاف السنين أنها توقفت أو أسرعت أو أبطأت. والشمس التي تظهر لنا في الصباح من المشرق وتغيب أمام أعيننا في الغرب، لم يحدث أبداً أنها طلعت مرة من جهة المغرب، وغابت في جهة الشرق. كما لم يحدث أبداً أنها تخلفت عن موعد طلوعها أو موعد غروبها، فمن الذى ينظم هذا بكل هذه الدقة؟ إنه الله.

عمر: وهذه الزروع والثمار والأزهار أكبر دليل على وجود الله، فنحن نضع البذرة الصغيرة في الأرض فتخرج بعد أيام نبتة صغيرة خضراء جميلة، ثم تتحول بعد شهور إلى شجرة حافلة بالفاكهة أو الأزهار أو الحبوب والثمار. من فعل هذا؟ هو الله سبحانه وتعالى.

الأب: وشيء آخر نعيش معه، لا نفارقه ليلاً أو نهاراً، هو: أنفسنا، وما بها

من أجهزة دقيقة، فنحن نأكل الطعام، ولا نفعل شيئاً لهضمه وإنما يقوم الجهاز الهضمي العجيب بتحويل هذا الطعام إلى طاقة وإلى دماء تسرى في شراييننا وتهبنا الصحة والقوة. والقلب - هذه القطعة الصغيرة التي لا تزيد عن حجم قبضة اليد - هو الذى يوزع الدماء على جميع أعضاء الجسم ويطرد الدم الفاسد ويحوله إلى دم نقي، ولا يكف عن العمل لحظة حتى عندما نكون فى نوم عميق. من خلق هذه الأجهزة الدقيقة المنضبطة أبداً؟ إنه الله.

أحمد: والمخ يا أبى، إنه أعظم مثل على وجود الله وعظيم قدرته، لقد قدرأت فى أحد الكتب العلمية أن المخ به ملايين الملايين من الخلايا حتى لو أننا أنشأنا مركزاً به أسلاك بعدد الخلايا التى فى المخ لاحتجنا إلى مساحة من الأرض تقدر باثنى عشر فداناً لنقيم عليها هذا المركز، وهذه المساحة يمكن أن يُبنى عليها خمسون عمارة ضخمة متلاصقة.

الأب: لقد لفت الله أنظار الناس فى القرآن الكريم إلى هذه الحقائق، ودعاهم إلى التأمل فى أنفسهم، فقال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات: ٢١) أى أنكم لو تأملتم فى أنفسكم وعرفتم ما فيها من أجهزة تساعدكم على الحياة، وعلى الاستمتاع بها لأدركتم أن الله موجود وأنه قادر.

الأب: إن التقدم العلمى العظيم مكنا الآن من معرفة قدرات كثيرة فى النفس البشرية، ومكنا من معرفة الكثير مما يمتلئ به الكون من عجائب وأسرار، ولذلك لا عذر لأحد الآن فى عدم الإيمان بالله وقدرته وعظمته. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر: ٢٨). أى أكثر الناس إيماناً بالله وخشوعاً له هم العلماء الذين كشفوا الكثير من مظاهر قدرته سبحانه وتعالى.

الأم: إن من أعجب العجب أن نجد في عصرنا هذا عصر العلم والكشف العلمية الباهرة قلة من الناس تنكر وجود الله على الرغم من كل ما عرفه الإنسان عن بديع خلق الله، والكون العجيب الذي يحيط بنا.

الأب: إن هؤلاء الناس لا يمكن أن يوصفوا بالتفكير السليم بل لابد أن في عقولهم خللاً، وفي تفكيرهم انحراف، فهم كما وصف الله أمثالهم من قبل ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ (الأعراف: ١٧٩).

أى أن الله وهبهم عيوناً ليروا بها عجائب مخلوقاته ودلائل قدرته ليؤمنوا به، ويعبدوه حق عبادته، فلم يروها على حقيقتها، ولم يعرفوا أثر قدرة الله فيها. وكذلك وهبهم آذاناً يسمعون بها ما جاء في كتبه على لسان رسله، ليفهموا ويتدبروا وليصلوا إلى معرفة الله ويتيقنوا من وجوده، ولكنهم لم يستفيدوا بما سمعوا، فمثلهم مثل البهائم التي لا تعرف من الحياة إلا الطعام والشراب.

أحمد: ولكن يا أبى بعض هؤلاء المنكرين لوجود الله، والذين نسميهم ملحدين - يقال عنهم إنهم مثقفون وفلاسفة ومفكرون. فكيف لم يهتدوا بعقولهم وثقافتهم إلى وجود الله؟

الأب: إن أمثال هؤلاء تعميهم مصالحهم الشخصية عن الاعتراف بالحقيقة الواضحة - حقيقة وجود الله، فهم يظنون أن إنكارهم لوجود الله يكسبهم شهرة على طريقة "خالف تُعرف".

الأم: إنى أشبه مثل هذا الملحد بالبهلوان الذى يلعب فى السيرك أو ما نسميه (البلياتشو) فهو يلبس ملابس غريبة، ويدهن وجهه بألوان صارخة ليلفت أنظار

الناس إليه، فيجودوا عليه ببعض النقود.

الأب: عمومًا يا أولادى لا يوجد عالم حق في القديم أو الحديث في الشرق أو في الغرب إلا اعترف بوجود الله. وإن أنصاف العلماء المغرورين ببعض قشور العلم التى حصلوا عليها هم الذين يتبجحون فينكرون الحقيقة العظيمة، حقيقة وجود الله سبحانه وتعالى.

الله واحد

اجتمع شمل الأسرة في جلسة أخرى فبادر عمر أباه قائلاً: إننا نقرأ في سيرة الرسول ﷺ جهاده العظيم ضد المشركين، فمن هم المشركون يا أبي؟ ولماذا سُموا بهذا الاسم؟.

الأب: إن المشركين هم الكفار الذين كانوا يعبدون مع الله آلهة أخرى يشركونها معه في الألوهية، وهذا كان شأن معظم العرب في الجاهلية - أى الفترة السابقة لبعثة الرسول ﷺ فهم يعترفون بالله ولكنهم يجعلون معه آلهة أخرى يعبدونها معه، وأحياناً يخصصونها بالعبادة من دون الله. ولعلكم سمعتم عن آلهة العرب المزعومة مثل: اللات والعزى ومناة التى ذكرها الله في قرآنه إلى جانب آلهة أخرى كثيرة، ويطلق على هذه الآلهة الأصنام أو الأوثان.

الأم: وعلى فكرة يا أولاد لم يكن العرب وحدهم هم الذين يعبدون مع الله آلهة أخرى، بل كان هناك أمم كثيرة قبل العرب يعبدون آلهة أخرى مع الله مثل المصريين القدماء، فأنتم قرأتم في التاريخ عن الإلهين المزعومين رع وآمون وغيرهما كما كان اليونان أو الإغريق وكذلك الرومان يعبدون آلهة متعددة ويجعلون لكل إله اختصاصاً مثل أثينا ربة الحكمة ومارس إله الحرب.. وهكذا.

قالت الصغيرة زينب: ولكن ماذا كان شكل الآلهة التي يعبدونها المشركون.

الأب: كانوا يصنعونها من حجارة أو من خشب على شكل إنسان أو حيوان ومن الأمور المضحكة أن أحدهم احتاج إلى صنع صنم فلم يجد أمامه شيئاً يصنع منه الصنم إلا بعض العجوة التي كانت معه، فصنع منها صنمه ولكنه عندما جاع أكله.

أحمد: ولماذا يعبد المشركون مع الله آلهة أخرى ماداموا يعترفون بوجود الله؟

الأب: إنهم يزعمون أنهم يعبدون هذه الآلهة لتقربهم من الله، فهم يرون أنهم لا يمكن أن يتوجهوا بالعبادة إلى الله مباشرة، بل لابد من واسطة.

أحمد: إن هؤلاء الناس أغبياء. كيف يتصورون أن الكون يمكن أن تديره آلهة متعددة. إننا لم نسمع أن دولة من الدول لها ملكان أو رئيسان.

عمر: المثل يقول: (المركب اللى فيها ريسين تغرق).

ضحك الأب وقال: صدقت يا عمر. وهذا ما قاله الله لهم.

دهش عمر وقال: هل قال الله ذلك؟

الأب: ليس بهذه الألفاظ بل بمعناها فقد قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا

اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (الأنبياء: ٢٢) أى لو كان في السموات والأرض آلهة مع الله لفسدت السموات والأرض. وذلك لأن الآلهة سيختلفون ويصدرون أوامر متعارضة. كما أن كل واحد منهم يريد أن تكون له الرياسة والسيطرة على الكون فيتحاربون كما يحدث مع حكام الدنيا فيفسد الكون.

الإسلام دين التوحيد

من أجل ذلك يا أولادى كانت أول حقيقة يقررها الإسلام ويؤكددها هى:

أنه لا إله إلا الله كما في الشهادتين اللتين يعلنهما المؤذن كل يوم خمس عشر مرة في الصلوات الخمس، وينطقها المصلى كل يوم في صلاته أكثر من عشر مرات. ولذلك سمى الإسلام دين التوحيد وكلكم تحفظون سورة الإخلاص.

زينب: أَسْمَعُهَا يَا أَبِي؟

الأب: سمعها يا زينب.

زينب: تقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢) لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾.

ثم قالت زينب: إن اسمها سورة الإخلاص، فلماذا سميت بذلك؟

الأب: سميت بسورة "الإخلاص" لأنها تعبر عن إخلاص المؤمن لعبادته لله، فلا يعبد معه إلهاً غيره.

عمر: إننا نفهم معنى الآية الأولى ولكن بقية السورة تحتاج إلى توضيح. أرجو توضيحها يا أبي.

الأب: بكل سرور.. إن الله في هذه السورة يوضح أهم صفاته: فهو واحد لا شريك له، وهو الصمد، أى السيد المقصود من خلقه على الدوام لقضاء حوائجهم، بينما هو مستغن عن كل خلقه لا يحتاج إلى أحد منهم، ثم ينفى الله عن نفسه ما حاول بعض المشركين إلصاقه به كذباً عندما ادعوا أن له ولداً، فنفى ذلك وقرر أنه لم يلد أحداً من خلقه فليس له ابن، كما أن أحداً لم يلده فليس له أب.

ثم ختم السورة بقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ أى ليس له نظير أو مثيل من خلقه فهو ليس كمثله شئاً.

١- أسماء الله الحسني

قال أحمد: لقد عرفنا أن الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يراه أحد ولكن له صفات نريد أن نعرفها.

قال الأب: إن لله صفات كثيرة وصف بها نفسه وردت في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وتُعرف هذه الصفات بأسماء الله الحُسنى.

زينب: نعم.. نعم، لقد قرأت في كتاب صغير هذه الأسماء وحفظت بعضها. أَسَمَّعَهَا؟

قال عمر: نريد أن نعرف أولاً لماذا سميت بأسماء الله الحُسنى؟

الأب: سميت بذلك أولاً لأنها أسماء لله إذا ذكر أحدها يعرف أنه اسم من أسماء الله. فإذا قال أحدها: يا كريم أو يا غني أو يا حليم يعرف السامع أنه يخاطب الله. وثانياً: إن هذه الصفات إذا وصف الله بها فهي أحسن الصفات ولا توجد صفة أحسن منها في مخلوق من المخلوقات. وهذا معنى: الحُسنى.

زينب: أَسَمَّعَ ما حفظته من هذه الأسماء؟

الأب: هل تعرفين عددها؟

زينب: نعم تسعة وتسعون اسماً، ولكنى لا أحفظها كلها.

عمر: إنى أحفظها كلها.

الأب: إذن ترك زينب تذكر ما حفظته ثم تكمل أنت. قولى يا زينب.

زينب: الله. الرحمن. الرحيم. الملك. القدوس. السلام. المؤمن. المهيمن. العزيز. الجبار. المتكبر. الخالق. الباري. المصور. الغفار. القهار. الوهاب. الرزاق. الفتاح.

العليم. القابض. الباسط. الخافض. الرافع. المعز. المذل. السميع. البصير. الحكم. العدل. اللطيف. الخبير. الحليم. العظيم. الغفور. الشكور. سكتت زينب، وقالت: فقط.

أحمد: ولكن بعض هذه الصفات معناها غير مفهوم لنا.

الأب: اذكر الصفات التي لا تعرف معناها مما ذكرته زينب.

أحمد: معنى القدوس؟

الأب: القدوس هو المبرأ من كل عيب ونقص، والذي لا يمكن أن يكون له شبيه من خلقه.

أحمد: وما المراد بالمؤمن؟ وما الذي يمكن أن يؤمن به؟

الأب: إن المؤمن هو الذي يمنح الأمن للآخرين. فالله هو الذي يؤمن الناس أي يحقق لهم الأمن. كما قال تعالى في سورة قريش: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ (قريش: ٤).

وكانت الأم في أثناء ذلك تصغى إلى ما يقال وهي تصب لهم أقداح الشاي، فقالت: لاحظوا يا أولادى هذه الأسماء الثلاثة من أسماء الله "الرحمن. الرحيم. السلام" فهذه الأسماء تعبر عن روح الإسلام دين الحق في كل زمان. لقد وصف الله نفسه بالرحمة في صيغتين مختلفتين هما: الرحمن والرحيم. وهذا يعنى أن الله يطلب من عباده - إذا أرادوا التقرب إليه - أن يكونوا رحماء بينهم.

قال الأب: هذا حق. وقد قرر الله في القرآن الكريم أنه ﴿كَبَّ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ (الأنعام: ١٢) كما وصف المؤمنين بأنهم ﴿رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح: ٢٩).

قالت الأم: وأما اسم "السلام" فهو يعبر أيضاً عن روح الإسلام فهو دين السلام. فالإسلام يدعو إلى السلام، ويكره اللجوء إلى العنف.

عقب الأب قائلاً: حقاً إنه دين السلام. ولذلك جعل تحيته اليومية "السلام عليكم" وأمر المسلمين ألا يعتدوا على أحد إلا إذا اعتدى عليهم فقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (البقرة: ١٩٠).

٢- أسماء الله الحسنى

وفي بداية الجلسة التالية كان عمر متحمساً، لأن يذكر بقية أسماء الله الحسنى التي يحفظها، واستأذن أباه أن يكملها فأذن له.

فقال: لقد ذكرت زينب آخر اسم حفظته وهو الشكور. وهذه بقية الأسماء: العلى. الكبير. الحفيظ. المقيت. الحسيب. الجليل. الكريم. الرقيب. المجيب. الواسع. الحكيم. الودود. المجيد. الباعث. الشهيد. الحق. الوكيل. القوي. المتين. الولى. الحميد. المحصى. المبدئ. المعيد. الحي. القيوم. الواجد. الماجد. الأحد. الصمد.

وهنا تدخل أحمد قائلاً: بعد إذنك يا عمر هل يمكن يا أبى أن توضح لى بعض الأسماء قبل أن أنسى؟

الأب: تفضل يا أحمد.

أحمد: ما معنى هذا الاسم "المقيت"؟

الأب: إن لهذا الاسم الجليل معنيين: الأول: هو أنه هو الذى يخلق الأقوات، أى الأرزاق التى يقتات بها الناس، أى يتغذون بها، فهو يُقيتهم أى يعطيهم القوت. والمعنى الثانى: أنه هو المستولى على كل شىء فى الكون، القادر عليه، فالله حين يقول:

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِينًا﴾ (النساء: ٨٥)، يعنى أنه مسيطر على كل شيء في الكون، وكل شيء خاضع لإرادته.

أحمد: فما معنى "الحسيب"؟

الأب: هو الكافي الذى يكفى عباده كل شيء، ولذلك نصب منه دائماً أن يكفيننا حوائجنا قائلين: حسبنا الله.

أحمد: والواسع ما المقصود منه؟

الأب: هو الذى يسع علمه كل شيء في الكون أى يحيط به ويدركه. كما قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (طه: ٩٨)، وكذلك تسع رحمته كل فرد من مخلوقاته كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف: ١٥٦).

أحمد: فما معنى "القيوم"؟

الأب: هو الذى يقوم على كل أمور الخلق، ويحتاج إليه كل خلقه، ولا يحتاج هو إلى أحد.

الأم: إن من الصفات التى وصف الله بها نفسه، والتى تملأ نفسى حباً لله وتملاً روحى إيماناً به "الودود" الله! ما أعظم هذا! الله يحبنا ويودنا هذا شيء عظيم.

الأب: نعم.. يحب الله أنواعاً كثيرة من خلقه كما ذكر ذلك في القرآن الكريم، فهو "يحب المتقين" و"يحب التوابين" و"يحب المتطهرين" و"يحب المتوكلين" و"يحب المحسنين" وغيرهم من ذوى النفوس المؤمنة النقية. أكمل يا عمر.

عمر: ما آخر اسم ذكرته؟

أحمد: الصمد.

عمر: القادر. المقتدر. المقدم. المؤخر. الظاهر. الباطن. المتعال. البر. التواب. المنتقم. العفو. الرؤوف. مالك الملك. ذو الجلال والإكرام. الوالى. المقسط. الجامع. الغنى. المغنى. المانع. الضار. النافع. النور. الهادى. البديع. الباقي. الوارث. الرشيد. الصبور، وقد تمت الأسماء الحُسنى بحمد الله.

الأب: شكراً يا عمر. شكراً يا زينب، جزاكم الله خيراً.

أحمد: عفواً يا أبى. اسمح لى أن أستفسر عن معنى بعض الصفات.

الأب: تفضل يا أحمد.

أحمد: ما معنى "البر"؟

الأب: البر: الكثير الإحسان إلى خلقه.

أحمد: وما معنى "المقسط"؟

الأب: المقسط هو الذى يقيم العدل بين خلقه، فينصف المظلوم من الظالم.

أحمد: فما معنى "الجامع"؟

الأب: الجامع هو الذى يجمع كل مخلوقاته فى المكان الذى يريده لهم فيجمع البشر كلهم فى الأرض التى خلقها لهم، ويجمع النجوم والكواكب فى السماء إلى غير ذلك.

أحمد: فما معنى أنه ظاهر باطن فى نفس الوقت؟

الأب: هو ظاهر بظهور آثاره فى الكون. فحينما يتأمل العاقل فى مظاهر خلق الله يزداد إيماناً بوجود الله. وهو باطن فى أنه لا أحد يمكنه رؤيته.

عمر: لكن يا أبى بعض الناس يتصفون بهذه الصفات، فنقول عن شخص: إنه غنى وآخر كريم. فكيف هذا؟

الأب: إذا وصفنا أحداً بهذه الصفات، فهذا يعنى أنه تنطبق عليه مواصفات هذه الصفة بمقاييس الدنيا، فإذا قلنا عن شخص إنه غنى عرفنا أنه يملك قدراً كبيراً من المال ولكن ليس معنى هذا أنه قد امتلك كل أموال الدنيا، أو أنه لا يحتاج إلى غيره من الناس لقضاء حوائجه مثل المهندس أو الصانع أو الطبيب، ولكن إذا أطلقنا هذه الصفة على الله سبحانه وتعالى فنحن نعرف أنه يملك خزائن السموات والأرض ولا يحتاج إلى أحد من خلقه، وكذلك القوى والكريم وغيرهما من الصفات.

الأم: أنبهكم يا أولادى إلى صفة خامسة تعبر أيضاً عن روح الإسلام وهى "الرءوف" التى تعنى أن الله شديد الرحمة بخلقه، ويطلب من عباده أن يكونوا كذلك.

الأب: شكراً لكم. وستحدث فى الجلسة التالية إن شاء الله عن الشهادة الثانية: أن محمداً رسول الله.

أشهد أن محمداً رسول الله

بعدما صلّت الأسرة صلاة العشاء جلسوا منتظرين حضور الأب ليكملوا الحديث عن أركان الإسلام. جاء الأب وحياهم فبادره عمر قائلاً:

عمر: لقد شرحت لنا يا أبي معنى شهادة أن لا إله إلا الله شرحاً وافياً، فترجو أن تشرح لنا معنى شهادة أن محمداً رسول الله كذلك.

الأب: إن شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ تعني الاعتراف بأنه رسولٌ من عند الله. وهذا يدعو كل مسلم إلى الإيمان بكل ما جاء به.

زينب: وما الذي جاء به سيدنا محمد ﷺ يا أبي؟

الأب: لقد جاءنا بالقرآن الكريم الذي أنزله الله عليه، وفيه كل ما يجب على المسلمين الإيمان به، وكذلك حدّث أحاديث كثيرة نقلها عنه أصحابه وأخبروا بها المسلمين الذين جاءوا بعدهم، وفي هذه الأحاديث الشريفة تفصيل لما جاء في القرآن.

أحمد: وما الذي يجب على المسلم الإيمان به ليكون مسلماً حقاً؟

الأب: يجب على المسلم الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، كما حدثكم من قبل.

عمر: لقد حدثتنا عن الله كثيراً في الجلسات السابقة ونرغب أن تحدثنا كذلك عن الملائكة والرسل والكتب واليوم الآخر.

الأب: يسرني ذلك. ونسأل الله أن يهدينا جميعاً سواء السبيل.

الملائكة

عمر: إذن حدثنا يا أبى عن الملائكة.

زينب: أحب أن أعرف الملائكة. إنى أرى صوراً للملائكة ولها أجنحة فهل هذا صحيح يا أبى؟ وهل يمكننا أن نراهم؟

الأب: الملائكة مخلوقات نورانية - أى مخلوقة من نور - ولا يمكن رؤيتهم وقد حدثنا الله فى القرآن الكريم بأن الملائكة لهم أجنحة: بعضهم له جناحان وبعضهم له ثلاثة أو أربعة أو أكثر كما يشاء الله، فقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ (فاطر: ١).

أحمد: ولكن لماذا خلق الله الملائكة؟

الأب: خلقهم الله كما خلق كل المخلوقات من إنس وجن وحيوان ونبات لهدف أساسي وهو عبادته والتسبيح بحمده كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦)، وكما قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (الإسراء: ٤٤).

عمر: إذن الملائكة لا عمل لهم إلا العبادة.

الأب: هى عملهم الأول الأساسي فهم لا يكفون عن العبادة، ولا يتعبون أبداً من ذلك، ولكن لهم إلى جانب ذلك وظائف أخرى يكلفهم الله بها.

أحمد: لو سمحت يا أبى خبرنا عن بعض هذه الوظائف.

الأب: لقد أخبرنا القرآن الكريم عن الملائكة حملة العرش، والملائكة خزنة جهنم والملائكة خزنة الجنة كما حدثنا عن ملائكة الموت.

حملة العرش: فحملة العرش ملائكة مخصصون لحمل عرش ربنا سبحانه وتعالى وهم في أثناء حملهم العرش لا يكفون عن العبادة والتسبيح والدعاء للمؤمنين والاستغفار لهم.

الأم: انظروا يا أولادى إلى حب الله لعباده المؤمنين، فهو يكلف أقرب ملائكته إليه الذين يحملون العرش أن يستغفروا لعباده المؤمنين.

خزنة جهنم:

الأب: وهناك خزنة جهنم فقد وكل الله جل جلاله بالنار ملائكة يحرسونها وقد وصفهم الله بأنهم غلاظ شداد لا يعصون الله فى أمر من الأمور، وينفذون كل ما يطلب منهم، كما ذكر أن عددهم تسعة عشر.

زينب: تسعة عشر فقط. يستطيع الكفار أن يتكاثروا عليهم ويغلبوهم.

الأب: (ضحكا) لا تنسى يا زينب أنهم ملائكة، وأن الملك الواحد يستطيع أن يهلك الدنيا كلها بصيحة واحدة.

خزنة الجنة:

وهناك أيضاً خزنة الجنة الذين يرحبون بالمؤمنين ويحيونهم عند دخولهم الجنة.

ملائكة الموت: كما أن هناك ملائكة الموت الذين يقبضون أرواح الناس.

زينب: آه. سيدنا عزرائيل.

الأب: نعم.. سيدنا عزرائيل وملائكة آخرون يساعدونه.

عمر: ما أسماء الملائكة يا أبى؟

الأب: هناك بعض الملائكة عرّفنا الله ورسوله بأسمائهم وهم جبريل وميكائيل

ومالك خازن النار ورضوان خازن الجنة وإن لم يذكر اسمه صريحاً في القرآن الكريم وإسرافيل وعزرائيل وهاروت وماروت. وقد تكون هناك أسماء أخرى لم أقرأ عنها.
أحمد: أعرف يا أبا أن سيدنا جبريل هو الذي كان ينزل بالوحي على نبينا ﷺ.

الأب: نعم.. وقد مدحه الله في القرآن، وسماه الروح الأمين، فقال تعالى: ﴿ نَزَّلَ بِهِ
الرُّوحَ الْأَمِينُ ﴾ (الشعراء: ١٩٣)، ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ (النحل: ١٠٢)،
كما وصفه بالقوة والقرب من الله وطاعة الملائكة له فقال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ
رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ (التكوير: ١٩ - ٢١).

أحمد: هو إذن رئيس الملائكة.

الأب: نستطيع أن نقول ذلك فهو أفضلهم ورسول الله إلى أنبيائه.

عمر: وهل في الملائكة رسل كما في الناس رسل؟

الأب: نعم، فالله تعالى يقول: ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾ (الحج: ٧٥)، ومعنى الآية: أن الله يختار من بين ملائكته رسلاً كما يختار بين الناس رسلاً.
أحمد: نعرف أن الرسل من الناس أرسلهم الله إلى الناس ليلبغهم أوامر الله. فما
وظيفة الرسل من الملائكة؟

الأب: وظيفتهم أن يلغوا أوامر الله إلى أنبيائه وأوليائه من المؤمنين، ويوقعوا
العقاب على من يريد الله إيقاعه به.

أحمد: أرجو ذكر أمثلة لذلك.

الأب: إلى جانب الوحي الذي كان ينزل به جبريل على رسل الله كانت تنزل
ملائكة تبشر وتنذر، فقد جاءت بعض الملائكة إلى سيدنا إبراهيم في صورة ضيوف

وبشروه بغلام يُولد له هو سيدنا إسحاق وكان إبراهيم شيخاً كبيراً، وامراته عجوز عقيم. ثم ذهبوا بعد ذلك إلى سيدنا لوط لينزلوا العقاب على قومه الفاسقين. كما ذهب بعض الملائكة إلى سيدنا زكريا ليبشروه بولادة سيدنا يحيى. وذهبوا إلى السيدة مريم ليبشروها بمولد سيدنا عيسى من غير أب ولعلكم تعرفون أن الله أنزل ملائكة تحارب وتشجع المسلمين على القتال يوم بدر، عندما استغاث الرسول والمؤمنون ربهم طالبين منه النصر.

أحمد: وهل لا تزال الملائكة تنزل حتى يومنا هذا؟

الأب: نعم.. فقد أخبرنا الله أن الملائكة تنزل في ليلة القدر بقيادة الروح وهو سيدنا جبريل لينفذوا أمر الله في خلقه، فقد قال: ﴿ نَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾ (القدر: ٤).

كذلك أخبرنا القرآن الكريم أن هناك ملكين يلازمان الإنسان طوال حياته ويسجلان أقواله وأفعاله، وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِذْ يَنْفَخُ الْمَلَفَيْنِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۚ ﴾ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿ (ق: ١٧، ١٨).

زينب: ملك الحسنات وملك السيئات - يا رب يرضى عنى ملك الحسنات ويبعد عنى ملك السيئات.

الأب: وملك السيئات لا يمكن أن يبعد أبداً، لأنه موكل بنا هو وملك الحسنات، لا يفارقنا واحد منهما، ولكن عليك أن تحسنى أفعالك وأقوالك فلا يجد ملك السيئات ما يكتبه.

كذلك تنزل الملائكة في مجالس العلم والقرآن كما أخبرنا الرسول ﷺ في قوله: (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت

عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده) رواه مسلم عن أبي هريرة **ع**.

عمر: ما معنى "حفتهم الملائكة" و"نزلت عليهم السكينة"؟.

الأب: أحاطت بهم الملائكة تكريماً لهم. ونزول السكينة معناه الشعور باطمئنان القلب وراحة النفس.

عمر: وما معنى: "ذكرهم الله فيمن عنده"؟

الأب: مدحهم الله أمام الملائكة، ونسأل الله أن يجعل مجالسنا هذه من المجالس المباركة.

الجميع: آمين.

الرسل

أقبل الأب على أولاده هاشاً باشاً، ملاطفاً كل واحد منهم، سائلاً عن أحوالهم الصحية والمدرسية ثم قال:

الأب: والآن يا أولادى سأحدثكم عن الأساس الثالث من أسس الإيمان. هل تذكرون يا زينب الأساسين السابقين؟

زينب: نعم يا أبى، الإيمان بالله والإيمان بملائكته.

الأب: بورك يا زينب.. والآن إلى الأساس الثالث وهو الإيمان بالرسل.

عمر: أنا أعرف كثيراً منهم وأعرف قصصهم.

أحمد: لماذا أرسل الله الرسل يا أبى؟ ولمن أرسلهم؟

الأب: أخبرنا القرآن الكريم فى آيات كثيرة أن الله أرسل إلى كل الأمم رسلاً

منهم ليدعوهم إلى عبادة الله وحده، ويبشروا المؤمنين بثواب الله العظيم لهم لإيمانهم، وينذروا الكافرين بالعذاب الأليم إذا استمروا على كفرهم، وذلك حتى تبطل حجّتهم، فلا يدّعوا عدم علمهم بما يريد الله منهم، فقال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (النساء: ١٦٥)، كما ذكر الله أنه لن يعذب أمة من الأمم إلا بعد أن يبعث إليها رسولا يدعوها إلى الإيمان، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (الإسراء: ١٥).

عمر: ما عدد الرسل يا أبي؟

أحمد: هل أجيب يا أبي؟

الأب: تفضل.

عددهم خمسة وعشرون رسولا.

الأب: هذا العدد هو الذي ذكره القرآن الكريم، ولكنه أخبرنا أيضاً أن الله أرسل رسلا كثيرين لم يخبرنا بأمرهم، فقال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ﴾ (النساء: ١٦٤).

أحمد: ولماذا اقتصر القرآن الكريم على ذكر هؤلاء الخمسة والعشرين؟

الأب: لأن هؤلاء الرسل هم الذين يهم أمرهم العرب الذين أنزل إليهم القرآن، فآدم أبوالبشر لا بد أن يعرفوا قصته، وكذلك نوح الذي يعتبر الأب الثاني للبشرية بعد هلاك الناس جميعاً ما عداه ومن معه في السفينة وبقيّة الرسل، لأنهم عاشوا في هذه المنطقة، بل كان بعضهم من العرب.

الأم: إرسال الرسل إلى جميع الأمم أمر حتمي يا أولادي. فما دام الله أخبرنا أنه

لن يعذب أمة حتى يرسل إليها رسولا يبلغها ما أمر الله به وما نهى عنه، صار من الضروري أن يرسل رسلا إلى جميع الطوائف في كل مكان.. فهل تظنون أن الله يترك الصين أو الهند أو غيرها من الأمم دون أن يرسل إليهم رسلا؟

عمر: وعلى هذا فرسل الله كثيرون جداً.

الأب: نعم، لا يعلم عددهم إلا الله، وواجبنا الإيمان بذلك مع الإيمان بكل نبي ممن ذكر القرآن الكريم أسماءهم.

زينب: أحب أن أعرف أسماء الخمسة والعشرين رسولا وقصصهم.

الأب: إن الحديث عنهم يطول.. وعندما تكبرين ستقرئين كتباً كثيرة تتناول سيرتهم بالتفصيل.

عمر: أعطنا يا أبى نبذة موجزة عن كل واحد منهم إذا تفضلت.

الأب: بكل سرور.. ولكنى أحب أولاً أن أوضح لكم أن دعوة هؤلاء الرسل كانت جميعاً واحدة، وهى الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وترك كل عبادة أخرى، فكان كل رسول يقول لقومه، ﴿يَقَوْمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥)، وقد حدثتكم من قبل أن دين هؤلاء الرسل جميعاً كان الإسلام، فهو دين الله الحق الذى لا يقبل غيره كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (آل عمران: ١٩)، والإسلام - كما أخبرتكم - هو الخضوع التام لله، وفعل كل ما أمر به، وترك كل ما نهى عنه.

زينب: ما أول الرسل يا أبى؟

الأب: هو سيدنا آدم عليه السلام.

أحمد: ولكن لمن أرسل وهو أول الخلق؟

الأب: أرسل إلى أولاده وأحفاده ليعلمهم الدين ويوضح لهم ما يطلبه الله منهم، وتعلمون أن الله خلقه من طين، وأمر الملائكة أن يسجدوا له تكريماً للإنسان، فسجدوا جميعاً إلا إبليس الذى صار عدواً لآدم، وأسكن الله آدم الجنة، وحذره من وساوس إبليس، وخلق منه زوجته حواء ليكون منهما النسل، ولكن إبليس نجح في إغواء آدم وزوجته، ففعلاً ما نهأهما الله عنه، وهو الأكل من شجرة معينة في الجنة نهياً عن الأكل منها، فأنزلهما الله من الجنة إلى الدنيا عقاباً لهما، كما أنزل إبليس معهما ليكون عدواً لهما ولأولادهما.. وكل هذا لحكمة أرادها الله.

أحمد: هل يمكن أن نعرف شيئاً عن هذه الحكمة.

الأب: الحكمة أشار الله إليها في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الملة: ٢)، فقد بين الله لنا أن الحياة التى نحيها والتى يعقبها الموت هى فترة اختبار ليُعَرَفَ المحسن من المسىء، فيكافأ المحسن ويعاقب المسىء، وكل اختبار له أسئلة وأسئلة هذا الاختبار تتمثل في إبليس هل نطيعه ونعصى الله؟! أو نعصيه ونطيع الله؟ من أجل ذلك أهبط الله آدم وزوجته وإبليس إلى الأرض.

زينب: نعوذ بالله من إبليس اللعين.. حدثنا يا أبى عن الرسول الثانى.

الأب: هو سيدنا نوح ÷ .

زينب: سيدنا نوح.. لقد عاش ألف سنة.. عمر طويل جداً.

الأب: نعم يا بُنْتِى.. لقد أخبرنا القرآن أنه عاش بين قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً أى تسعمائة وخمسين سنة.

أحمد: معنى ذلك يا أبى أنه قد عاش أكثر من ذلك.

الأب: ربما.. لأن القرآن يحدثنا أن الله أغرق قومه بالطوفان، ونجى نوحاً ومن معه، ولا شك أنه عاش بعد ذلك سنين أخرى فيكون عمره ألف سنة أو أكثر.

زينب: لماذا أغرق الله قومه؟ وما معنى الطوفان؟ وكيف نجا سيدنا نوح؟

الأب: ظل سيدنا نوح يدعو قومه إلى عبادة الله وحده كل هذه المدة الطويلة، فلم يستجيبوا له.. فلما يئس منهم دعا الله أن يهلكهم، وينجيّه ومن معه من المؤمنين، فأمر الله أن يصنع سفينة ليدخلها هو والمؤمنون معه، لأن الله سيرسل على الكافرين ماء غزيراً من السماء والأرض فيغرقهم، وتسير السفينة في هذا الماء لا يضرها شيء.

زينب: يعنى الطوفان هو الماء الكثير؟

الأب: كثير جداً لدرجة أن السفينة كانت تجرى في أمواج كالجبال كما وصف القرآن الكريم.

عمر: قرأت يا أبى أن سيدنا نوحاً حمل معه من كل صنف من الحيوان زوجين اثنين ذكراً وأنثى.

الأب: نعم لكى تبقى الحياة على الأرض ولا تفتنى.

زينب: كل ذرية سيدنا نوح نجت من الغرق؟

الأب: كلها نجت ما عدا أحد أبنائه، لأنه لم يؤمن بالله، وكذلك زوجة سيدنا نوح التى انضمت إلى الكافرين ضد سيدنا نوح، وقد حاول سيدنا نوح أن يُغرى ابنه بالإيمان وركوب السفينة لينجو من الغرق، ولكنه رفض وقال: سألجأ إلى جبل يحميني من الماء، فقال له أبوه: لن ينجو أحد من الغرق إلا من ركب السفينة، فلم

يسمع كلامه، ثم فوجئ بالماء يغطي قمة الجبل فغرق.

الأم: ما أعظم العدل الإلهي.. لا محابة فيه ولا محسوبة.. فهذه امرأة نوح لم يشفع لها عشرتها الطويلة مع سيدنا نوح ÷ ، فتكون من الناجين، وأكثر من ذلك ابنه، فلم ينفعه أنه ابن نوح النبي فينجو من الغرق.

الأب: لقد شكنا نوح لربه أن ابنه غرق وهو من أهله، بينما الله وعده بأن ينجي أهله معه.. فأخبره الله أنه ليس من أهله، لأن العبرة بقراءة الإيوان، وليست بقراءة الدم.

الأم: أذكر أن رسولنا محمداً ﷺ قال كلاماً مثل هذا، فحينما تشفع أحد صحابته لامرأة من قريش سرت، قال - بعد أن أفهمهم خطأ هذه المحاولة وخطرهم على المجتمع - والله لو أن فاطمة بنت محمد سرت لقطعت يدها.

أحمد: وأنا قرأت موضوعاً في كتاب القراءة أن أميراً من العرب أسلم وفي مرة كان يطوف بالكعبة فداس رجل من عامة الناس إزاره فاغتاظ الأمير ولطم الرجل على وجهه، فشكا الرجل الأمير إلى أمير المؤمنين عمر، فأحضر الأمير وأمره أن يمكن الرجل من القصاص منه، أي يصفعه مثلما صفعه، فأبى الأمير تكبراً، ولكن عمر أصر على رأيه، فاستمهله الأمير إلى الغد، ثم هرب إلى بلاد الروم.

الأب: نعم.. فالمساواة مبدأ من مبادئ الإسلام فقد جاء في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣)، وقال ﷺ: "لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى".

زينب: من النبي الثالث بعد نوح يا أبي.

الأب: إدريس ÷ .

أحمد: لقد قرأت أنه عاش في مصر وكان اسمه هرمس.

الأب: ربما، لكن القرآن لم يخبرنا عنه إلا أنه كان من الأنبياء الصديقين أى المشهورين بالصدق وبتصديق كل ما يخبر الله به، وأن الله قد رفع درجته فقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا ۖ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۗ﴾ (مريم: ٥٦، ٥٧).. ونكتفى بهذا القدر ونؤجل الحديث إلى جلسة تالية.

الأنبياء العرب

عندما انعقدت الجلسة بادر أحمد أباه قائلاً:

أحمد: لقد قرأت أن الله أرسل أنبياءً من العرب غير سيدنا محمد ﷺ.

الأب: نعم، أرسل الله ثلاثة أنبياء من العرب غير رسولنا الكريم هم: هود وصالح وشعيب عليهم جميعاً السلام. فأما هود: فكان يقيم في مكان يُسمَّى الأحقاف، وأما صالح فكان يعيش في مكان يقال له الحِجْر، وأما شعيب فكان يقيم في مَدْيَن.. وهذه الأماكن في بلاد العرب.

زينب: قل لنا يا أبى قصة كل واحد منهم.

الأب: أولهم هو هود ÷ ، أرسله الله إلى قومه قبيلة عاد، فدعاهم إلى عبادة الله وحده، وظل ينصحهم، ويبذل كل جهد لهدايتهم، ولكنهم رفضوا استكباراً وعناداً، فأرسل الله عليهم ريحاً عاصفة شديدة كانت تحمل الرجل فتفصل رأسه، عن جسده ويرتقى جسده على الأرض كأنه جذع نخلة، وذلك لأنهم كانوا طوالاً عمالقة.. وأما صالح.

أحمد: أتأذن لى يا أبى فى أن أقص قصته؟ فقد قرأتها فى قصص الأنبياء منذ قريب.

الأب: تفضل يا أحمد.

أحمد: لقد أرسل الله نبيه صالحاً إلى قبيلته ثمود، وهى قبيلة عربية جاءت بعد قبيلة عاد، فدعاهم أيضاً بدعوة الإسلام، وهى عبادة الله وحده لا شريك له فكذبوه، وتحذوه أن يأتيهم بمعجزة تؤكد صدق قوله، ففوجئوا بناقة تخرج من قلب صخرة

لم يشاهدوا مثلها في ضخامتها وجمالها وقوتها، ولكن الله أراد أن يعاقبهم لتحديهم نبيه صالحاً، فجعل هذه الناقة تقاسمهم الماء من البئر التي تشرب منها القبيلة، للناقة يوم تشرب فيه وحدها وتمتنع القبيلة من الاقتراب من البئر، ولهم يوم يشربون منه وحدهم دون الناقة.. وكان هذا شرطاً أساسياً، وحذرهم سيدنا صالح أنهم إذا مسّوا الناقة بسوء فسيأتيهم عذاب أليم، فلم يصبروا عليها وقتلوها، فأخذتهم الصيحة وهى صوت بالغ الشدة لا يمكن لكائن حي أن يتحملة، فأصبحوا جثثاً هامدة.

الأب: أحسنت يا أحمد.. هذه فعلاً قصة سيدنا صالح ÷ .

زينب: بقى سيدنا شعيب ÷ فما قصته؟

الأب: أرسل الله سيدنا شعيباً ÷ إلى أهل مدين، وكانوا مشهورين بالنقص في المكايل والموازين، فدعاهم إلى عبادة الله وحده، وأن يوفوا الكيل والوزن عند البيع، فلم يستجيبوا لدعوته، فأخبرهم أن الله سيعاقبهم بعذاب أليم لو استمروا في جرائمهم، فلم يهتموا بتهديده فأهلكهم الله جميعاً.

أبوالأنبياء إبراهيم وأولاده عليهم السلام

زينب: لقد ذكرت لنا الآن يا أبى ستة أنبياء، بقى تسعة عشر من هم؟

الأب: مهلاً يا زينب، سأذكرهم جميعاً فلا تتعجلي، سأحدثكم الآن عن أبى الأنبياء إبراهيم ÷ .

عمر: ولماذا سمى بأبى الأنبياء؟

الأب: لأن كل الأنبياء الذى أتوا بعده من ذريته.

زينب: حتى سيدنا محمد ﷺ؟

الأب: نعم.. فهو من نسل ابنه إسماعيل ÷ ، ولعلك تذكرين أن رسولنا سمي أحد أبنائه إبراهيم تيمناً باسم جده.

أحمد: لقد أكرم الله سيدنا إبراهيم فجعل أبنائه وأحفاده أنبياء.

الأب: نعم، فقد كان لإبراهيم ابنان: إسماعيل وإسحاق وهما نبيان، وولد إسحاق يعقوب، وولد يعقوب يوسف، ويعقوب ويوسف نبيان أيضاً ومن ذريتهم بقية الأنبياء.. ولكن دعوني أحدثكم أولاً عن سيدنا إبراهيم.. لقد نشأ بين قوم يعبدون الأصنام وعلى رأسهم أبوه، فأخذ إبراهيم يدعوهم إلى عبادة الله، وترك عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، ولما لم يستجيبوا لدعوته، انتهر فرصة غيابهم - ذات مرة - وكسر أصنامهم ليبين لهم أنها لا تستطيع الدفاع عن أنفسهم، فقرروا الخلاص منه بإحراقه بالنار، ولكن الله أنجاه منها، فجعلها برداً وسلاماً عليه، فقد أمر النار بذلك في قوله تعالى: ﴿ قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (الأنبياء: ٦٩).

عمر: ماذا صنع سيدنا إبراهيم بعد ذلك؟

الأب: أمره الله أن يتجه إلى الأرض المباركة بالشام، وكان معه ابن أخيه لوط وكان نبياً أيضاً.

زينب: سمعت يا أبا أن سيدنا إبراهيم ذبح ابنه.. فمن هذا الابن؟ ولماذا أمره الله بذبحه؟

الأب: هو سيدنا إسماعيل جد سيدنا محمد ﷺ، وذلك أن سيدنا إبراهيم كان كبير السن في مرحلة الشيخوخة، وكانت امرأته كذلك وكانت عاقراً، فلم يرزقا بولد، فطلبت منه زوجته أن يتزوج خادمتها هاجر، وكانت هاجر أميرة مصرية

أهداها ملك مصر إلى سارة، فتزوجها إبراهيم فولدت له إسماعيل.

عمر: الله، المصريون أخوال سيدنا إسماعيل.

الأب: نعم.. وأكثر من هذا هم أخوال إبراهيم ابن سيدنا محمد ﷺ من مارية القبطية التي أهداها المقوقس أمير مصر إليه حينما أرسل إليه سيدنا محمد ﷺ كتاباً يدعو فيه إلى الإسلام.

الأم: ولذلك قال ﷺ: (استوصوا بالقبط خيراً فإن لهم نسباً وصِهرًا).

الأب: نعم، والمراد بالقبط جميع المصريين، فقد كان يطلق على الأمة المصرية كلها اسم القبط.

أحمد: إذن، فهذا هو سبب تسمية مصر (إيجيبت).

عمر: الله، قبط - إيجيبت - إن اللفظين متقاربان.

الأب: نعم.. فإيجيبت هي الاسم اليوناني لمصر، ولنرجع إلى حديثنا. بعد فترة من الزمن لم تطق السيدة سارة أن تبقى هاجر وابنها معها، فأمر الله خليله إبراهيم - لحكمة أرادها - أن يذهب بهاجر وابنها إلى مكة التي كانت في ذلك الوقت بقعة جرداء أو كما قال عنها القرآن الكريم على لسان سيدنا إبراهيم: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ (إبراهيم: ٣٧)، تركهما سيدنا إبراهيم في رعاية الله ورجع إلى الشام، وعندما بلغ ابنه إسماعيل سن الشباب رأى سيدنا إبراهيم في المنام أنه يذبح ابنه، فعلم أن هذا أمر من الله بذبحه، فأخبر ابنه إسماعيل بذلك، فقال له: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمُرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الصافات: ١٠٢)، فلما أخذ يعد العدة لذبحه، وأرقده للذبح، أمر الله نبيه إبراهيم أن يتوقف عن الذبح، لأن الله كان يختبر إيمانه وإيمان إسماعيل، وقد نجحا في الاختبار، وفدى الله إسماعيل بكبش

عظيم يُذبح بدلاً منه.

أحمد: لقد قرأت يا أبى أن الله كلف سيدنا إبراهيم أن يبنى الكعبة بمساعدة ابنه إسماعيل.

الأب: نعم.. أمر الله نبيه وخليله إبراهيم ÷ أن يبنى البيت أى الكعبة، ويظهر مكانه من الأصنام وغيرها من الأنجاس ليكون مكاناً لعبادة الله وحده يطوف به الطائفون، ويصلى فيه المصلون، ففعل إبراهيم ما أمر به، وكان يساعده ابنه إسماعيل عليهما السلام.

عمر: متى وُلد إسحاق؟ وهل أمه سارة أو هاجر؟

الأب: وُلد إسحاق بعد مولد إسماعيل بحوالى أربعة عشر عاماً، وأمّه سارة وكانت عجوزاً لا تلد - كما حدثتكم - ولكن الله أراد إكرامها فأرسل إليها ملائكة يبشرونها وزوجها بأنها ستلد إسحاق، وأكثر من ذلك بشروها بيعقوب الذى سيولد لإسحاق، أى أن البشرى تضمنت أمرين: أنها سيرزقان بولد وأن هذا الولد سيعيش ويكبر ويكون له ولد.

عمر: قلت يا أبى إن إبراهيم حينما هاجر إلى بلاد الشام كان معه ابن أخيه لوط، فماذا حدث لسيدنا لوط؟

الأب: استقر في مكان قريب من عمه في بلاد الشام يُقال له: "سدوم" وأرسله الله إلى أهل سدوم يدعوهم إلى عبادة الله، وأن يكفوا عن الفاحشة التى اشتهروا بها، ولكنهم لم يستجيبوا له، وأخذوا يوبخونه على دعوته هذه، وكانت زوجة سيدنا لوط تؤيدهم في ذلك - مثلما فعلت امرأة سيدنا نوح - فانتقم الله منهم، فأرسل ملائكته لينزلوا بهم العقاب وهم نفس الملائكة الذين أرسلهم لتبشير إبراهيم بإسحاق

ويعقوب، فقد تركوا سيدنا إبراهيم، وذهبوا إلى سيدنا لوط، وطلبوا منه أن يغادر سدوم ليلاً هو وأهله ما عدا زوجته الكافرة التي استحققت العقاب لمشاركتها قومها في الكفر، ثم قلبت الملائكة المدينة بمن فيها من الكفار، وجعلوا عاليها سافلها، ورموهم بحصى شديد أخذ يتتابع عليهم كالطر فهلکوا جميعاً.

زينب: بقى من أحفاد سيدنا إبراهيم سيدنا يوسف.

الأب: يكفيننا هذا في هذه الجلسة.. وأظنكم تعرفون جميعاً قصته، ولكني سأوجزها لكم في الجلسة التالية إن شاء الله.

يوسف ÷

وأقبل الأب فحيا أسرته واستأنف حديثه.

الأب: كان يعقوب يحب ابنه يوسف حُباً جماً، فدعا ذلك إخوته إلى الغيرة منه، وحاولوا التخلص منه، فاحتالوا على أبيه حتى تركهم يأخذونه معهم، فألقوه في بئر بها بعض الماء، فأقبلت قافلة فعثروا عليه فباعوه في مصر إلى العزيز أى ما يشبه الآن المحافظ أو الوزير، ولكن امرأة العزيز وقعت في حبه فصدها احتراماً لسيده، فأخذت تكيد له عند زوجها حتى أمر بإلقائه في السجن، مكث في السجن فترة عرف عنه فيها أنه بارع في تفسير الأحلام، فرأى الملك رؤيا أزعجته، فدلوه على يوسف ففسرها له، فأعجب به وولاه خزانة الدولة، فكانت خزائن القمح والحاصلات الزراعية تحت تصرفه، وحدثت مجاعة في بلاد الشام حيث يقيم أبوه وإخوته، فجاءوا إلى مصر ليشتروا من هذه المحصولات، فعرف يوسف إخوته ولم يعرفوه، وطلب منهم إحضار أخيه الأصغر، ودبر حيلة لإبقائه معه، وأخيراً كشف لهم عن حقيقة، وطلب منهم إحضار والديه وجميع إخوته وجمع الله شملهم وسجدوا له حينما دخلوا

عليه تحية له وتعظيماً، وكان هذا تفسير الرؤيا التي رآها وهو صغير أن أحد عشر كوكباً والشمس والقمر يسجدون له.

أنبياء بنى إسرائيل

زينب: الآن يا أبى حدثنا عن أحد عشر نبياً وبقي أربعة عشر.

الأب: ثلاثة عشر منهم من بنى إسرائيل، وأما الرابع عشر فهو خاتمهم وهو سيدنا محمد ﷺ.

زينب: ومن هو إسرائيل هذا؟

الأب: هو سيدنا يعقوب ÷ ، وكان له اثنا عشر ابناً يُعرف نسلهم بالأسباط أى مثل القبائل، وسمى هؤلاء الأسباط بنى إسرائيل.

موسى ÷

وأول نبى منهم هو سيدنا موسى ÷ الذى ولد فى مصر ونشأ بها، وأرسل إلى قومه فيها.

عمر: وما الذى أتى بنى إسرائيل إلى مصر، وهم من بلاد الشام؟

الأب: عرفت أن سيدنا يوسف استدعى والديه وإخوته إلى مصر، فأقاموا بها وتناسلوا وأصبحوا يكوّنون جالية كبيرة. عرفت بنى إسرائيل، وولد منهم موسى.

زينب: أعرف قصة ولادته.. هل أقولها؟

الأب: قولى باختصار.

زينب: لما ولدت الأم طفلها وضعتة فى صندوق وألقته فى النيل فعثر عليه خدم فرعون.

أحمد: لم تقولى لنا لم فعلت أمه ذلك؟!

زينب: لا أعرف.

أحمد: لأن فرعون كان يأمر بذبح كل طفل ذكر يُولد في بنى إسرائيل، لأن الكهنة حذروه من مولود سيولد في بنى إسرائيل سيقضى على ملكه.

زينب: أخذ الخدم موسى في صندوقه إلى فرعون، فأحبته زوجته وطلبت من فرعون ألا يقتله، فسيكون ابناً لهما فوافق فرعون.

الأب: حسن يا زينب.. وأحضروا له المراضع فلم يقبل على واحدة منهن، فأحضرت لهم أخته - وهم لا يعرفون صلتها بموسى - أمها على أنها مرضعة فأقبل عليها ورضع منها، فأعطونه إياها لترضعه حتى يكبر.

عمر: هل أكمل يا أبي؟

الأب: أكمل يا عمر.

عمر: لما كبر سيدنا موسى، سار في طرقات المدينة، فوجد رجلين أحدهما مصري والآخر إسرائيلي يتشاجران، فاستغاثه الإسرائيلي، فضرب موسى المصري ضربة قضت عليه، وندم موسى على ذلك، وفي اليوم التالى رأى سيدنا موسى نفس الإسرائيلي وهو يتشاجر مع مصري آخر، فوبخه موسى واتجه لفض المشاجرة، فخاف الإسرائيلي أن يضربه موسى كما ضرب المصري بالأمس، فقال له: أتريد أن تقتلني كما قتلت المصري بالأمس، فطار المصري إلى الحاكم وأخبره بأن موسى هو الذى قتل المصري أمس، وكانوا يبحثون عن القاتل.

الأب: شكراً يا عمر.. أرى أنكم تعرفون القصة كلها فلا داعى للتكرار، ويكفى

أن أخبركم أن موسى هرب إلى مَدْيَنَ وهى قرية من سيناء، وأكرمه شيخ مدين، لأن ابنتيه أخبرتا أنه ساعدهما على سقى الغنم من البئر، فاتفق مع شيخ مدين - ويقال إنه سيدنا شعيب - على أن يخدمه ثماني سنوات أو عشرةا ويزوجه ابنته، وتمت المدة وأراد الرجوع إلى مصر، وفي سيناء عند جبل الطور كلمه ربه، وأرسله نبياً إلى فرعون ليخلص من شره بنى إسرائيل، ولكن موسى خاف أن يقتله فرعون، فطلب الله منه أن يلقي عصاه إلى الأرض فتحولت إلى ثعبان عظيم ففر موسى ولكن الله استدعاه وأخبره أن الثعبان سيعود عصاً كما كانت، وأنها معجزة له ليرىها لفرعون كما أمده بمعجزة أخرى، وهو أنه إذا وضع يده تحت إبطه تخرج بيضاء من غير مرض، فطلب موسى أن يمده بهارون أخيه ليكون وزيراً له أى مشيراً وناصحاً، فكلف الله هارون بذلك، وجعله أيضاً نبياً.. فهذان نبيان من بنى إسرائيل يا زينب.

ذهب موسى وهارون إلى فرعون ودعواه بدعوة الأنبياء وهى أن يعبد الله وحده وطلباً منه أن يرسل معهما بنى إسرائيل ليخرجوا من مصر، ويكونوا أحراراً، وأراه موسى المعجزتين، فقال فرعون: هذا سحر، وجمع له السحرة فعرفوا أن هذه معجزة وليست سحراً، فأمنوا به، فغضب عليهم فرعون وهددهم بالقتل والصلب، فلم يبالوا، واشتد إيذاء فرعون لموسى وبنى إسرائيل حتى أنجاهم الله، وذلك أنهم هربوا جميعاً من مصر ليلاً، فاتبعهم فرعون وجنوده، وعند البحر الأحمر ضرب موسى البحر بعصاه فانفلق البحر إلى طرق يابسة يمكن العبور عليها بين الأمواج المتلاطمة، فأسرع فرعون ليعبر وراء موسى، ولكن البحر أطبق عليه وعلى جنوده.

زينب: الله أكبر.. أظن سيدنا موسى عاش في راحة هو وقومه بعد نجاتهم.

الأب: كلا، لم يسترح سيدنا موسى، لقد عانى من بنى إسرائيل وعنادهم معاناة شديدة.

أحمد: لقد عبدوا العجل.

الأب: تصوروا بعد فضل الله العظيم عليهم حنوا لعبادة العجل التي كانوا يمارسونها مع المصريين.

الأم: لقد سرقوا ذهب المصريين ليلة خروجهم هاربين من مصر.

زينب: سرقوا الذهب.. كيف؟

الأم: اتفقوا على أن كل امرأة تطلب من جاريتها استعارة جزء من حليها لتزين به في فرح، ثم أخذوا ما استطاعوا جمعه وهربوا، وذلك لأن اليهود يستحلون سرقة غيرهم.

الأب: وقد انتقم الله منهم فلم ينتفعوا بهذا الذهب، لأن واحداً منهم اسمه السامري أخذ منهم الذهب وصنعه عجلاً ليعبدوه، فلما علم موسى بذلك غضب وأحرق العجل الذهبي ورماه في البحر.

عمر: وكيف انتهت قصة موسى مع قومه؟

الأب: ظلوا يعاندونه ويتعتنون معه، وقد أمرهم الله أن يدخلوا الأرض المقدسة وهي فلسطين فجنبوا وقالوا لموسى: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنُودُكُم بِهَا حَتَّى تَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ (٢٢) قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٣) قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (المائدة: ٢٢ - ٢٤).

فحكم الله عليهم أن يتيهوا في صحراء سيناء أربعين سنة لا يعرفون لهم اتجاه ولا هدفاً.. ومات سيدنا موسى في أثناء ذلك.

ونكتفى اليوم بذلك، وإلى الجلسة المقبلة إن شاء الله.

داود وسليمان عليهما السلام

وبدأ الأب حديثه في الجلسة التالية عن نبين آخرين من بني إسرائيل هما أب وابنه: داود وسليمان عليهما السلام.

الأب: أخبرنا الله في القرآن الكريم أن من أنبيائه المفضلين داود وسليمان، أما داود فهو الأب، وكان شجاعاً، فقد قتل في الحرب رجلاً طاغية من الكفار وهو جالوت، وكان داود في أول مراحل الشباب، وكان كثير التسبيح لله، وكان عندما يسبح تتجاوب الجبال مع تسبيحه، وعلمه الله صنعة الحديد فكان يصنع منه الدروع، وأما سليمان فهو ابنه.

زينب: صاحب بساط الريح..

الأب: لقد كان سليمان نبياً صالحاً كثير العبادة لله، وقد سأل الله أن يعطيه مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فسخر الله له الريح تجري بأمره إلى أي مكان يريد، كما جعل الجن والشياطين في خدمته تفعل له ما يريد.

عمر: أنا أعرف قصة عن سيدنا سليمان.

الأب: اذكرها يا عمر.

عمر: كان سيدنا سليمان يعرف لغة الحيوانات والطيور، وفي مرة كان يمر بوادي النمل فسمع نملة تحذر زميلاتها من سليمان وجنوده كي لا يدوسوها، فضحك سليمان متعجباً.

أحمد: وكذلك قصته مع الهدهد الذي غاب أثناء العرض عن مكانه فهدد سيدنا سليمان بعقابه، فلما حضر أخبر سيدنا سليمان بأنه في أثناء طيرانه وجد ملكة عظيمة

لها عرش عظيم وهى وقومها يعبدون الشمس، فأرسله إليهم سيدنا سليمان بكتاب يدعوهم فيه إلى الإسلام، فأرسلت إليه هدايا فرفضها، وهددهم بالغزو، ثم طلب من حاشيته أن يحضروا عرشها ليفاجئها به عند حضورها إليه، فقال عفريت من الجن: أنا أستطيع إحضاره قبل أن تنتهى من مجلسك. وقال رجل صالح أعطاه الله علماً من عنده: أنا أستطيع إحضاره فى طرفة عين، وأحضره فعلاً، فلما رآته الملكة تعجبت من ذلك، ولكنها تعجبت أكثر عندما دخلت قصر سليمان ففوجئت بالماء يغمر الطريق الذى ستمر به فكشفت عن ساقها لتحمى ثيابها من البلل، فأخبرها سيدنا سليمان أنه ليس ماء ولكنه بللور نقى، فعلمت أنه نبي فأسلمت.

عمر: اسمها بلقيس؟ الأب: يُقال ذلك.

عمر: عرفنا الآن أربعة أنبياء من بنى إسرائيل، فمن الباقون؟

الأب: أيوب العابد الصابر الذى ابتلاه الله بالمرض، وبفقد الأولاد فصبر، فكافأه الله على صبره بالصحة والأولاد الكثيرين، وسيدنا يونس.

زينب: الذى أكله الحوت.

الأب: لم يأكله الحوت يا زينب، ولكن حفظه الله فى بطنه، ثم أخرج منه سالماً.

زينب: ولكن لماذا حدث له هذا؟

الأب: لقد أرسله الله إلى قومه، فظل يدعوهم إلى عبادة الله وحده، وهم لا يستجيبون، فرحل عنهم غاضباً وركب سفينة تنقله إلى بلد بعيد عنهم، ولكن السفينة كادت تغرق لثقل الحمولة، فقرروا التخلص من واحد من الركاب لتخف الحمولة، فأجروا قرعة فطلعت على سيدنا يونس، فألقوه فى البحر، فابتلعه الحوت وظل فى بطنه ثلاثة أيام، فظل سيدنا يونس يسبح الله ويستغفره حتى عفا عنه، وأمر الحوت

بإلقائه على البر، فعاد إلى قومه فوجدهم قد ندموا على إغضابه، وآمنوا به جميعاً وكانوا مائة ألف أو أكثر، وإنما فعل الله به ذلك تأديباً له على تركه قومه، ويأسه منهم وكان ينبغي له أن يصبر.

وهناك النبي إلياس، وقد أرسله الله إلى قوم يعبدون صنماً اسمه بعل، فدعاهم إلى عبادة الله وحده وترك هذا الصنم، فلم يؤمنوا به، فحل عليهم عقاب الله. وهناك نبيان لم يذكر لنا القرآن الكريم شيئاً عنها سوى أنها من الرسل، وهما اليسع وذو الكفل عليهما السلام.

ونأتى أخيراً إلى ثلاثة أنبياء تربطهم صلة القرابة وهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام، فزكريا هو زوج خالة السيدة مريم وهو الذي كان يشرف على تربيتها وهي صغيرة، وكان كبير السن، وامرأته عاقر، فلم يرزقا بولد، وكان زكريا كلما دخل على مريم المحراب التي كانت تتعبد فيه - لأنها كانت خادمة المعبد كما نذرتها أمها وهي في بطنها، وقد ظنت أنها ستكون ذكراً، فلما وضعتها أنثى قررت نذرها أيضاً لخدمة المعبد - كان يجد عندها رزقاً أى طعاماً، فيسألها من أين لك هذا؟ فتقول هو من عند الله، عندئذ دعا زكريا ربه القادر على كل شيء أن يرزقه بغلام، فبشرته الملائكة بيحيى الذي سيكون نبياً صالحاً، وينقطع لعبادة الله فلا يهتم بشيء من أمور الدنيا، وعاش سيدنا يحيى يدعو قومه اليهود إلى تنفيذ أحكام التوراة وما بها من وصايا، ولكنهم ضاقوا به فقتلوه كما قتلوا أباه من قبل.

وأما سيدنا عيسى وهو آخر أنبياء بنى إسرائيل، فقد وُلد من السيدة مريم دون أب كما تعرفون، وكانت هذه معجزة عظيمة، وأرسله الله نبياً إلى بنى إسرائيل، وأعطاه معجزات كثيرة منها: شفاء الأعمى والأبرص، وبعث الروح في صور طينية

في شكل طير، فتتحول إلى طير بإذن الله، وإحياء الموتى بإذن الله، ولكن بنى إسرائيل اتهموه بالسحر، وحرصوا عليه الحاكم الروماني، فأرسل جنده إليه ولكن الله ألقى شبهه على الخائن الذي وشى به إلى الحاكم، فأخذ بدلاً منه وصُلب وقتل وهم يظنون أنهم قتلوا عيسى ÷ .

وقد بشر سيدنا عيسى بقومه بمجىء سيدنا محمد ﷺ نبياً بعده لينقذ البشرية من ضلالها، وهو حديث جلستنا المقبلة إن شاء الله.

محمد خاتم المرسلين ﷺ

أخذت الأسرة أماكنها انتظاراً لقدم الأب، وهم مشوقون لسماع الحديث العطر عن رسولنا الكريم ﷺ، وجاء الأب وحياتهم ثم قال:

الأب: إن الحديث عن سيدنا رسول الله ﷺ يطول ويطول، ولا يمكن استيعابه في جلسة أو عشر أو حتى مائة، فقد كُتبت عنه مجلدات لا يُحصى عددها منذ وفاته حتى الآن. والكتابة عن رسولنا العظيم ﷺ تشمل نوعين من الموضوعات:

النوع الأول: يتناول الأحاديث التي كان يحدث بها أصحابه أو الأفعال التي يرشدهم بها، وهذا النوع يسمى السُّنة أو الحديث، وقد جمع هذه الأحاديث علماء مشهورون على رأسهم البخاري ومسلم اللذان سميا كتابيهما الجامع الصحيح، وأصبح يطلق على الأول صحيح البخاري والثاني صحيح مسلم، وهما فعلاً أصح كتابين في الحديث، ثم هناك أربعة كتب يطلق عليها السنن كما سماها أصحابها وهي سنن أبي داود، وابن ماجه والترمذي والنسائي، ويطلق على الجميع: الكتب الستة، وهناك كتب أخرى في الحديث ولكن الكتب الستة أشهرها.

والنوع الثاني: كتب تشمل تاريخ حياة الرسول ﷺ وتسجل كل الأحداث والمعارك

التي مر بها وتعرف هذه الكتب بكتب السيرة، وأشهرها السيرة النبوية لابن هشام، وما زال الناس حتى يومنا هذا يكتبون سيرته، ويحللون مواقفها باللغة العربية، وبمعظم اللغات الحية، من أجل ذلك يصعب الحديث عن سيدنا رسول الله ﷺ.

أحمد: نرجو يا أبى أن تحدثنا عن أهم المواقف في حياته.

الأب: سأوجز لكم الحديث عن حياة الرسول ﷺ متوقفاً عند المحطات الهامة في حياته.

ينتمى الرسول ﷺ إلى أهم قبائل العرب، وأكثرها تحضراً وهى قبيلة قريش التى تعيش بمكة حول الكعبة، وقد ولد يتيماً، فقد مات أبوه قبل مولده، ومات أمه وهو فى السادسة من عمره، فرباه جده عبدالمطلب الذى مات بعد عامين، فتولى عمه أبو طالب تربيته، وقد عاش أبو طالب طويلاً وشهد دعوته، وكان نعم الحامى له، وإن كان لم يؤمن.. ولما كبر قليلاً رعى الغنم، ثم اشتغل بالتجارة فى مال السيدة خديجة التى أعجبت بأمانته وصدقه فتزوجته وهو فى الخامسة والعشرين، وهى فى الأربعين، وقد سبق لها الزواج قبله مرتين، والآن سأؤخر لكم بعض المراحل الهامة فى حياة الرسول ﷺ، وأتوقف عندها قليلاً.

١- اشتهاره بين قومه بالصدق والأمانة حتى لقبوه بالأمين، ومن الأحداث الهامة فى حياته قبل البعثة أن قومه أرادوا إعادة بناء الكعبة، فلما وصلوا فى البناء إلى مكان الحجر الأسود اختلفوا فىمن يضعه، لأن واضعه سينال هو وقبيلته شرفاً لا يدانيه شرف، وكاد ينشب بينهم قتال بسبب ذلك، وأخيراً أشار حكيم منهم أن يأخذوا رأى أول داخل عليهم، فكان أول داخل هو رسول الله ﷺ، وفرحوا بذلك لثقتهم بسداد رايه، فأشار عليهم أن يأتوا بثوب ويضعوا فوقه الحجر الأسود، ويحمل كل

رئيس قبيلة طرفاً من الثوب، ويرفعوه إلى مكانه ففعلوا ثم أخذه الرسول ﷺ بيده فوضعه مكانه.

٢- بدء الوحي: قبل أن يبلغ الرسول الأربعين من عمره بمدة، حُبب الله إليه العزلة للعبادة والتأمل، فكان يأوي إلى غار في جبل حول مكة اسمه حراء فيقضي فيه أياماً كثيرة منقطعاً عن الناس، ولا عمل له إلا عبادة الله، والتفكير في خلقه، يفعل ذلك كل عام، وكانت السيدة خديجة تزوده بما يكفيه من طعام في عزلته، فلما أتم الأربعين نزل عليه الوحي.

زينب: أنا أعرف القصة هل أقولها يا أبي؟

الأب: قولي يا زينب.

زينب: نزل عليه سيدنا جبريل فضمه إلى صدره بقوة وقال له: اقرأ، قال: لا أعرف القراءة مرتين، وفي الثالثة قال له: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿ (العلق: ١ - ٥).

الأب: جميل يا زينب.

٣ - المحطة الثالثة: وهذا ينقلنا إلى المحطة الثالثة، مرحلة جهاده في سبيل نشر الدعوة، فقد كذبه قومه، وبخاصة عمه أبولهب، والثاني أبوجهل، وغيرهما ولقى منهم أذى كثيراً.

عمر: هل أذكر حادثة عن إيذاء قومه له؟

الأب: قل يا عمر.

عمر: كان مرة يصلي إلى الكعبة، فأحضر أحد المشركين كرش جهل وأمعاء ووضعها فوقه وهو ساجد في صلاته، فظل الرسول ﷺ ساجداً حتى حضرت

ابنته فاطمة B ورفعتها عنه.

أحمد: أذكر مثلاً آخر يا أبي؟

الأب: تفضل يا أحمد.

أحمد: لقد قاطعه قومه هو وقبيلته بنى هاشم، واضطروهم أن يعيشوا في مكان منغل، وقرروا مقاطعتهم، فلا يبيعونهم شيئاً، ولا يشترون منهم شيئاً، ولا يتزوجون منهم ولا يزوجونهم، وكتبوا بذلك صحيفة علقوها على الكعبة، وظلوا على ذلك ثلاث سنين ذاقوا كل ألوان الحرمان، حتى استطاع بعض الشرفاء من قريش أن يتمردوا على قومهم ويمزقوا الصحيفة.

عمر: لقد قرأت يا أبي أنهم عندما أرادوا تمزيقها وجدوا الأرضة قد أكلتها ولم يبق فيها إلا اسم الله.

زينب: ما هي الأرضة يا أبي؟

الأب: هي حشرة تعيش على أكل الخشب والورق وما أشبهه، وقد اضطّر الرسول ﷺ أن يطلب ممن يستطيع من أصحابه أن يهاجر إلى الحبشة أن يهاجر إليها ليعدهم عن الاضطهاد والأذى، فهاجر بعضهم هجرتين إلى الحبشة وبقوا هناك عدة سنوات.

٤- المحطة الرابعة: هي الإسراء والمعراج.. لقد ماتت السيدة خديجة التي كانت ترعى رسول الله ﷺ بحبها وحنانها، وفي نفس العام مات عمه أبو طالب الذي كان يحميه من أذى المشركين، وقد سمى الرسول ﷺ هذا العام عام الحزن، ولكن الله أراد أن يكرم رسوله فأرسل له جبريل ومعه البراق.

زينب: وما هو البراق يا أبي؟

الأب: هو دابة أكبر من الحمار في الحجم وأقل من البغل، ويمشى بسرعة البرق فذهب به إلى بيت المقدس في لحظة حيث صلى في المسجد الأقصى ووراء الأنبياء السابقون الذين بعثهم الله تكريماً لرسوله، ثم عرج به البراق إلى السماء - أى صعد - ومعه سيدنا جبريل، وعند سدره المنتهى وهى شجرة عظيمة بعد السماء السابعة فرض الله عليه الصلوات الخمس التى تعرفونها، ولما أخبر قومه كذبوه كعادتهم، واشتدوا فى إيذائه.

٥- بيعتنا العقبة: لما اشتد إيذاء المشركين للرسول ﷺ أخذ يلجأ إلى بعض القبائل الكبيرة خارج مكة لتحميه من أذى المشركين حتى يتمكن من الاستمرار فى دعوته، ولكنهم لم يستجيبوا له، وبعضهم حرضوا عليه سفهاءهم ليؤذوه، حتى كان موسم الحج فذهب إلى مكة حجاج من المدينة - وكان اسمها حينئذ يثرب - وهم من قبيلتين كبيرتين بالمدينة هما الأوس والخزرج، فلما عرض الرسول عليهم الإسلام أسلموا وكان عددهم اثني عشر رجلاً، وكان لقاءهم عند جمة العقبة بمنى التى يرميها الحجاج بالحصى.

زينب: وهل كان الناس يحجون قبل الإسلام يا أبى؟

الأب: نعم، فمنذ بنى خليل الله إبراهيم ÷ البيت وأمره الله أن يؤذن فى الناس بالحج والناس يلبون هذه الدعوة ويحجون، وإن كانوا يخلطون الحج بمظاهر وثنية. وفى العام التالى اجتمع الرسول ﷺ بعدد كبير من المدينة حضر واليلتقوا بالرسول وكان عددهم ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين، وقد أعلنوا إسلامهم، وكان الاجتماع عند العقبة أيضاً، فسميت البيعتان ببيعتي العقبة، والبيعة معناها الاتفاقية أو العهد.

٦- الهجرة: وهنا نصل إلى أهم مرحلة فى حياة الرسول ﷺ وفى تاريخ الإسلام،

لأنها فصلت بين عهدين: الضعف والقوة. أمر الرسول أصحابه أن يهاجروا إلى المدينة، فهاجر معظمهم، ثم أمره الله أن يهاجر هو أيضاً فهاجر هو والصدیق أبوبکر **E** ، ولما علم المشركون بعزمه الهجرة قرروا قتله، فبات حول بيته مجموعة من الشبان ليقتلوه وهو خارج من داره، ولكن الله ألقى عليهم النوم، فخرج الرسول أمامهم ولم يشعروا به، ولما علموا بنجاته من المؤامرة أخذوا يطاردونه، فلجأ إلى غار هو وصاحبه أبوبکر في جبل حول مكة اسمه ثور، ووقف الكفار أمام الغار، وتملك الخوف أبا بكر فقال للرسول ﷺ: لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا، فقال له الرسول ﷺ: لا تحزن إن الله معنا، ولم يحاول الكفار أن يدخلوا الغار لما رأوا حوله من مظاهر تدل على عدم إمكانية دخول أحد فيه، ورصدوا جائزة لمن يستطيع إرجاعه وفشلوا أيضاً، وأخيراً دخل الرسول ﷺ المدينة بين التهليل والترحيب.

زينب: كان الأطفال يرددون نشيد: طلع البدر علينا من ثنيات الوداع.

الأب: نعم.

٧- في المدينة: غيّر الرسول ﷺ اسم يثرب إلى المدينة، وسمى قبيلتي الأوس والخزرج الأنصار، وآخى بينهم وبين المهاجرين، وأنشأ المسجد، ونظم أمور المجتمع.

زينب: ما معنى آخى بينهم؟

الأب: جعل كل واحد من الأنصار أخاً لواحد من المهاجرين يتعاونان معاً في كل أمر، ولكن المشركين في مكة وغيرها من بلاد العرب لم يتركوهم يعيشون في سلام، وكذلك اليهود الذين كانوا يقيمون حول المدينة وهم بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة، كانوا يدبرون المؤامرات ضد الرسول ﷺ، ويتحالفون مع المشركين ضده، من أجل ذلك قامت حروب بين المسلمين وبين المشركين وكذلك بين المسلمين

واليهود، وكل حرب من هذه الحروب تسمى غزوة.

عمر: ما عدد هذه الغزوات يا أبي؟ وما نتيجتها؟

الأب: الغزوات التي حضرها الرسول ﷺ تسع عشرة غزوة أشهرها بدر وهي أول الغزوات، وقد انتصر المسلمون فيها انتصاراً باهراً، وأحد التي انتهت بهزيمة المسلمين لمخالفة طائفة من المحاربين أوامر رسول الله ﷺ ظناً منهم أن النصر تحقق للمسلمين، وغزوة الأحزاب، التي تجمعت فيها قبيلة قريش مع قبائل عربية أخرى ليحاربوا المسلمين بتحريض من اليهود، ولذلك سميت غزوة الأحزاب، كما تسمى غزوة الخندق أيضاً، لأن المسلمين حفروا فيها خندقاً يحميهم من المشركين وقد أرسل الله فيها الريح العاصفة فزلزل قلوب المشركين ففروا مذعورين، وتلت هذه الغزوة غزوة بنى قريظة التي أنهت وجود اليهود في المدينة.

٨- فتح مكة: أذن الله لرسوله ﷺ أن يذهب إلى مكة ليؤدي العمرة، وذلك في رؤيا رآها الرسول ﷺ في منامه، فلما ذهب هو وأصحابه إلى مكان قريب من مكة اسمه الحديبية منعهم المشركون من دخول مكة. وانتهى الأمر بينهم بعقد صلح عرف بصلح الحديبية من شروطه أن يرجع المسلمون هذا العام دون دخول مكة، ثم يأتوا العام التالي لأداء العمرة، وأن تكون بينهم هدنة لعشر سنوات، وبعد سنتين نقض المشركون الهدنة، فتوجه إليهم رسول الله ﷺ في عشرة آلاف مقاتل فاستسلموا له وأسلموا ودخل مكة منتصراً وعفا عن سادة قريش، ونسى إساءتهم، وقد طاف الرسول ﷺ حول البيت، وكسر الأصنام التي كانت حوله، وهو يقول: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً.

٩- حجة الوداع ووفاة الرسول: في السنة العاشرة للهجرة حج الرسول ﷺ

حجة الوداع، وسميت بذلك، لأن الرسول ﷺ مات بعدها بأشهر قليلة، وكان يودع الناس في خطبته ويكرر قوله: "لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا" وهى الحجة الوحيدة التى حجها فى الإسلام.

وفى ربيع الأول من السنة الحادية عشرة من الهجرة مرض الرسول ﷺ، ثم مات بعد عدة أيام من مرضه، ودُفن فى حجرة السيدة عائشة رضى الله عنها بعد أن بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، وجاهد فى الله حق جهاده.. جزاه الله عنا خير الجزاء وصلى الله وسلم عليه.

الكتب المنزلة

أخذ الأب مجلسه بين حماسة أولاده، وتشوقهم لهذه الجلسة التي يستفيدون فيها معلوماتٍ تساعدهم على تعرف حقائق دينهم، وبأدر عمر أباه قائلاً:

عمر: لو تفضلت يا أباي حدثنا عن الكتب التي أنزلها الله على رسله.

الأب: لقد حدثنا القرآن الكريم عن خمسة كتب أنزلها الله على بعض أنبيائه. من منكم يعرف أسماء هذه الكتب واسم النبي الذي أنزلت عليه؟

أحمد: التوراة أنزلت على سيدنا موسى، والإنجيل أنزل على سيدنا عيسى، والقرآن أنزل على سيدنا محمد ﷺ.

عمر: والزبور كتاب سيدنا داود.

الأب: بقي الخامس، أراكم لا تعرفونه، إنه صحف سيدنا إبراهيم ÷ هذه هي الكتب الخمسة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، وقد تكون هناك كتب أخرى لم يذكرها القرآن، فعلينا أن نؤمن بوجه عام بأن الله أنزل على أنبيائه كتباً تتضمن مبادئ دينه، ونؤمن بكل كتاب من هذه الكتب الخمسة على وجه التحديد.. فمن أنكر أن الله أنزل التوراة على سيدنا موسى أو الإنجيل على سيدنا عيسى أو غيرها فقد كفر، لأنه كذب ما جاء في القرآن الكريم.

أحمد: ولكن أي كتاب من هذه الكتب نزل أولاً؟

الأب: أولها صحف سيدنا إبراهيم، ثم التوراة، ثم الزبور، ثم الإنجيل وأخيراً القرآن.

عمر: وهل كل هذه الكتب موجودة اليوم؟

الأب: كلها موجودة ما عدا صحف سيدنا إبراهيم.

أحمد: نريد نبذة عن كل كتاب من هذه الكتب لو سمحت يا أبى.

الأب: أما صحف إبراهيم فلا نعرف عنها شيئاً، ولكن القرآن حدثنا عن بعض

ما جاء فيها، فقد جاء في سورة النجم قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَنْبَأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى

وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ۖ (٣٧) أَلَا نَزَّلُ وَزْرًا أُخْرَى ۖ (٣٨) وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣٩)

وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يُرَى (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى ۖ﴾ (النجم: ٣٦ - ٤١).

ومعنى هذه الآيات توبيخ الإنسان الكافر الذى ظن أنه يستطيع بهاله أن يجعل غيره يتحمل ذنوبه، فأخبر الله بكذب هذا الادعاء، ويبيّن له أنه قد ورد في التوراة وفي صحف إبراهيم أنه لا أحد يتحمل ذنوب غيره، ويحاسب عليها، بل كل إنسان يحاسب على عمله فقط، كما ورد كذلك في سورة الأعلى بأن الآخرة خير من الدنيا، وأن ثواب الله باق لا يفنى كمتع الدنيا.. اقرئى يا زينب الآيات الأخيرة من سورة الأعلى بعد قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ۖ﴾.

زينب: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦)

وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٧) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ۖ﴾ (الأعلى:

١٤ - ١٩).

الأب: شكراً يا زينب، فالله أخبرنا أن الذى يقيم على الطهارة والإيمان هو الفائز،

ولكن الكفار يفضلون الحياة الدنيا بينما الآخرة أفضل ونعيمها خالد، وهذا مذكور في الكتب الأولى وهى صحف إبراهيم والتوراة.

أحمد: ولكن لماذا اقترنت صحف إبراهيم بصحف موسى في السورتين؟

الأب: لأنها أقدم كتابين.

التوراة: وأما التوراة فقد أنزلها الله على سيدنا موسى، وقد أمره قبل أن يأتي ليتلقاها من ربه أن يتهيأ بالصوم ثلاثين يوماً، ثم زاده عشرة أيام أخرى، فأصبح المجموع أربعين، ثم ذهب للقاء ربه عند جبل الطور بسيينا، فأنزلها الله عليه، وقد كتبت في مجموعة من الألواح تتضمن كل مبادئ شريعة سيدنا موسى مفصلة، وفيها المواعظ والنصائح، وذهب موسى بها إلى قومه فوجد مفاجأة سيئة في انتظاره، فقد وجد قومه يعبدون العجل كما حدثتكم، فألقى الألواح من يده لشدة غضبه فتكسر بعضها، وبقي ما شاء الله له أن يبقى، ولما هداً أخذ الألواح وأعاد ترتيبها وترميم ما تكسر منها.

عمر: وهل بقيت هذه الألواح حتى اليوم؟

الأب: لا.. لقد ضاعت نتيجة الغزوات التي تعرض لها بنو إسرائيل من أعدائهم في الزمن القديم، وتخريب بلادهم، وأسرهم، وبعد مدة طويلة استطاع أحد أنبيائهم أن يعثر على بعضها ويكتبها، ولكن أخبار اليهود - أى علماءهم - من بعده أضافوا إليها الكثير مما يحقق لهم منافع الدنيا، وحذفوا منها ما يجرمهم من هذه المنافع، كما أخبرنا القرآن الكريم، وتعرف الآن بأسفار موسى الخمسة وهى موجودة ضمن الكتاب المقدس الذى يتضمن إلى جانبها أسفار كثير من أنبياء بنى إسرائيل مع الأناجيل الأربعة الخاصة بالمسيحيين.

أحمد: وكيف نميز ما جاء فيها من عند الله وما أضافه اليهود من عندهم؟

الأب: لقد أخبرنا رسولنا ﷺ بالمعيار الذى نتأكد به من صحة أو بطلان ما جاء في التوراة، فالذى جاء فيها مطابقاً لما في القرآن فهو من عند الله، وما جاء مخالفاً لما في

القرآن فهو من أكاذيبهم، وأما ما جاء لا يخالف القرآن وليس في القرآن فربما يكون من عند الله.. فالقرآن هو المصدق لهذه الكتب والمهيمن عليها.

أحمد: هل جاء في القرآن ذكر لبعض ما جاء في التوراة؟

الأب: نعم.. ذكر القرآن أنه جاء في التوراة القصاص من القاتل، وكذلك القصاص من المعتدى على أى عضو من أعضاء الإنسان.

زينب: ما معنى القصاص يا أبي؟

الأب: القصاص هو أن نعاقب المجرم بنفس الجريمة التى ارتكبتها، فالقاتل يُقتل، والذى يفقأ عين شخص تفقأ عينه، والذى يقطع أنف غيره أو أذنه يقطع أنفه أو أذنه، ومن كسر من سن شخص تكسر سنه، كما قال تعالى: ﴿وَكُنْزًا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ (المائدة: ٤٥)، كذلك ذكر القرآن وصف المسلمين الذى ورد في التوراة في قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجَدًا يَتَعَوْنَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾ (الفتح: ٢٩)، ومعنى الآية أن التوراة وصفت المسلمين بأنهم يرحم بعضهم بعضاً، ولكنهم أشداء على الكفار، وفي وجوههم علامة مميزة لهم من أثر السجود إلى جانب ما حدثكم به من قبل عما ورد في صحف إبراهيم وموسى.. إلى غير ذلك من المعانى المتطابقة مع القرآن.

الزبور: هو الكتاب الثالث الذى أنزله الله على سيدنا داود.

عمر: وما معنى الزبور؟

الأب: الزبور في اللغة العربية معناه الكتاب.. والزبور يتضمن - كما ذكر مفسرو

القرآن الكريم - مائة وخمسين فصلاً كلها مواعظ وحكم، والموجود الآن يعرف بالمزامير، وهو ضمن الكتاب المقدس وهى مائة وخمسون مزموراً، وسميت كذلك لأن سيدنا داود كان يتغنى بها، وكان سيدنا داود حسن الصوت، ولا نستطيع أن نؤكد أن المزامير هى نفسها ما ورد فى الزبور، فقد يكون فيه أجزاء من تأليف البشر، فواجبنا أن نؤمن بأن الله قد أنزل على سيدنا داود كتاباً سماه الزبور، ولا يعيننا بعد ذلك أن نتحقق مما جاء فيه.

أحمد: وهل جاء فى القرآن بعض المعانى التى تضمنها الزبور؟

الأب: نعم.. لقد ذكر الله أن مما جاء فى الزبور أن الأرض - والمراد أرض الجنة - ستكون من حق المؤمنين الصالحين يعيشون فيها مخلدين، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥).

عمر: بقى الإنجيل والقرآن.

الأب: الإنجيل - كما عرفنا - هو الكتاب الذى أنزله الله على سيدنا عيسى ÷ ، ومعنى الإنجيل فى اللغة التى نزل بها هو البشارة، وسماه الله كذلك، لأنه جاءت فيه البشرى برسالة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، فقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِىْ اِسْرَءِيلَ اِنِّىْ رَسُوْلُ اللهِ اِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيِّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرُسُوْلِيْ اَتَى مِنْ بَعْدِي اَسْمُهُ اَحْمَدُ﴾ (الصف: ٦) أى أن سيدنا عيسى جاء ليصدق ما فى التوراة من أحكام ربانية، ويبشر قومه بنى إسرائيل بالرسالة القادمة وهى رسالة سيدنا محمد ﷺ.

أحمد: وهل فى القرآن بعض المعانى التى تضمنها الإنجيل إلى جانب هذه البشارة؟

الأب: نعم.. جاء فى القرآن الكريم أن فى الإنجيل حديثاً عن المسلمين، فقد شبههم بالزروع: فى بداية أمره يكون نبتة صغيرة ضعيفة، ثم يأخذ فى النمو حتى يشتد

ويتفرع فروعاً كثيرة تقوى وتشتد وتغلظ، وتستوى الفروع على سيقانها في منظر بهيج يعجب الزُّراع، يقول الله تعالى: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ، فَفَازَرَهُ، فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوْفِهِ، يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ (الفتح: ٢٩).

زينب: لم أفهم هذه الآية.

عمر: ولا أنا.

الأب: ولا أنت يا أحمد.

أحمد: فهمت مضمونها بمعنى عام.

الأب: لو فهمتم بعض الألفاظ فستفهمون معنى الآية بوضوح. اسمعوا الآن.. الشطء: الفرع الصغير أول ما يظهر من النبتة المزروعة، لقد لاحظتم كثيراً أنكم حينما تزرعون حبة فول أو غيرها في الطين فترة تظهر نبتة صغيرة ثم تخرج منها فروع صغيرة هذه الفروع الصغيرة هي الشطء، أما معنى آزره فهو قواه، أى أن الزرع قوى هذه الفروع الصغيرة بما يصل إليه من غذاء وري، فاستغلظ الفرع أي اشتد وظهر ثابتاً فوق سيقان النبات.

عمر: ولماذا شبه المسلمين بهذا التشبيه؟

الأب: لأن المسلمين بدعوا أول أمرهم قلة قليلة ضعيفة، ثم أخذوا يتزايدون حتى أصبحوا يعدون بعشرات الألوف.

زينب: فهمت يا أبى وشكراً.. حدثنا عن القرآن الكريم.

عمر: ألا تعرفين القرآن؟ إنه في المصحف أمامك.

الأب: مهلاً يا عمر، هناك أمور تحتاج إلى توضيح.

أحمد: هل نزل القرآن مثل التوراة مرة واحدة؟

الأب: القرآن لم ينزل مرة واحدة، بل كان ينزل على الرسول ﷺ على دفعات على مدى ثلاث وعشرين سنة حتى اكتمل قبل وفاة الرسول ﷺ بفترة قصيرة.

أحمد: ولماذا لم ينزل القرآن دفعة واحدة كالتوراة والإنجيل؟

الأب: لقد اعترض كفار مكة هذا الاعتراض نفسه، فأخبرهم الله أنه نزل مفرقاً لثلاثة أسباب:

السبب الأول: ليثبت به قلب الرسول ﷺ في جهاده الكافرين، فكلما اشتدت أذاهم له تنزل آيات مناسبة تثبت قلبه، وتدفعه إلى الصبر.

الثاني: أنزل كذلك ليكون مرتلاً، أى مفصلاً أجزاء قصيرة ليستطيع النبي ﷺ أن يحفظها.

والثالث: ليرد على الكافرين عندما يعترضون على الرسول أو يسألونه أسئلة متحدية. وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ۝٣٢ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (الفرقان: ٣٢، ٣٣).

عمر: قرأت في المصحف: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾ (الفرقان: ١) فهل الفرقان غير القرآن؟

الأب: لا.. الفرقان هو القرآن.. وسمى كذلك لأن الفرقان هو الذى يفرق بين الحق والباطل، وهذا ما جاء فى القرآن، والحقيقة أن الله ذكر للقرآن عدة أسماء منها: الفرقان كما حدثتكم، ومنها التنزيل، لأنه كان يتنزل على الرسول ﷺ من

السماء بواسطة جبريل، قال تعالى: ﴿وَلَنُنَزِّلُ رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ (الشعراء: ١٩٢، ١٩٣)، كما سماه الذكر فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩) وذلك لأن فيه ذكر الله تعالى.

أحمد: أرجو توضيح معنى الآية السابقة.

الأب: لقد تعهد الله في هذه الآية أنه هو الحافظ للقرآن الكريم بخلاف الكتب السابقة التي ترك حفظها لعلماء الدين، فلم يستطيعوا بل قام بعضهم بتحريفها لتحقيق مصالح دنيوية، أما القرآن فظل كما أنزله الله لم يتغير منه حرف، وذلك لأن الرسول ﷺ كان يحفظ الآيات التي تنزل عليه ثم يملئها على بعض الصحابة الذين كانوا يعرفون الكتابة فيكتبونها، وكان هؤلاء الصحابة يُعرفون بـكُتَّاب الوحي، ولما توفي رسول الله ﷺ جمع سيدنا أبوبكر ؓ كل هذه الكتابات واحتفظ بها عنده، ولما مات أخذ سيدنا عمر هذه الكتابات وأبقاها عنده، وكانت مكتوبة على عظم أو جلد أو جريد النخل.

زينب: كيف يكتبون على هذه الأشياء يا أبي؟

الأب: لم يكن الورق قد انتشر يا ابنتي، وربما كان غير معروف لدى العرب في أول الإسلام، فكانوا يأتون بالعظام الرقيقة العريضة مثل عظم الكتف فيكتبون عليها أو الجزء العريض من جريد النخل، أو قطعة من الجلد، ولما تولى سيدنا عثمان الخلافة جمع هذه الكتابات وكتبها في مصحف كبير، ونسخ منه ست نسخ وأرسلها إلى المدن الإسلامية الكبيرة لتكون مرجعاً للمسلمين حتى لا يختلفوا في قراءته، فوضعوا النقاط على الحروف المنقوطة، وشكلوا الكلمات، وهذه أشياء لم تكن معروفة من قبل، كما جزءوه إلى أجزاء ثلاثين كما تعرفون، وقسموا كل جزء حزبين، وكل حزب أربعة

أرباع إلى غير ذلك من أنواع التنظيم التي لا تمس أى حرف بتغيير، ثم جاء التسجيل كما تعرفون، وسجل القرآن على شرائط بأصوات عشرات القراء.. وهكذا حقق الله وعده بحفظ القرآن الكريم، ويكفي هذا القدر من الحديث عن القرآن الكريم، فمجال الحديث عنه واسع، وقد ألفت فيه كتب ضخمة عديدة، وشكراً لإصغائكم ومناقشاتكم المثيرة.

أحمد: الشكر كله لك يا أبى.. وجزاك الله عنا خيراً.

اليوم الآخر

التأم شمل الأسرة في جلستهم الدينية المستنيرة، وكان الأولاد متطلعين إلى حديث الأب عن اليوم الآخر فهو يوم النعيم أو العذاب، يوم الجنة أو النار، يوم السعادة أو الشقاء، وبدأ الأب حديثه قائلاً:

الأب: اليوم الآخر يا أحبابي هو الأساس الخامس من أسس الإيمان التي لا يقبل إيمان مسلم إلا إذا آمن بها كلها، ونحب أن نتذكر الأسس الأربعة السابقة. أتذكرينها يا زينب؟

زينب: نعم يا أبى، فهى الإيمان بالله، والإيمان بملائكته، والإيمان بالرسول، والإيمان بالكتب المنزلة عليهم.

الأب: حسن يا ابنتى، اليوم الآخر يا أولادى هو يوم الحساب، يوم الجزاء أو الدين كما عبر عنه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (الفاتحة: ٤)، والدين هنا معناه الجزاء، فهو اليوم الذى يجازى الله فيه المحسنين على إحسانهم بالجنة، والمسيئين على إساءتهم بالنار، ومن العجيب أن كفار العرب وغيرهم كانوا ينكرونه ولا يؤمنون به.

الأم: ربما لأنهم يخافونه، فالإنسان يحاول أن ينكر ما يخاف منه، لأنه سيسبب له الشقاء والتعاسة، وهو لا يحب ذلك.

الأب: هذا صحيح.. وأعمال الكفار فى كل زمان ومكان قائمة على الظلم

والعدوان وأكل الحقوق، والانحراف وراء الشهوات، وقد كانوا يجادلون النبي ﷺ منكرين لهذا اليوم، وكانت حجتهم أنه ليس من المعقول أن يبعثوا أحياء مرة أخرى بعدما أصبحوا هم وآباؤهم عظاماً وتراباً، وكان الرسول ﷺ يرد على هذه الحجة بأن الله قادر على ذلك، فهو الذى خلقهم أول مرة، والإعادة أسهل من البدء، كما أن الله خلق كائنات أعظم منهم كالسموات والأرض والشمس والقمر.

الأم: هناك دليل آخر لا يمكن لعاقِل أن يتجاهله، وهو عدل الله الذى لا يمكن أن يسمح لجريمة أن تمر بلا عقاب، وإننا نقرأ ونسمع ونشاهد بعض الناس الذين تمادوا فى ظلمهم، فقتلوا المئات والآلاف، وأكلوا أموال الناس بالباطل، وملأوا الأرض فساداً، ثم ماتوا دون أن يلقوا جزاء على جرائمهم، فهل يسمح عدل الله أن ينتهى الأمر عند هذا الحد - حاشا لله - لابد أن يكون هناك حساب وعقاب لمثل هؤلاء الناس فلا بد من اليوم الآخر، وكذلك المؤمن الذى عاش حياته كلها يعانى من الظلم والقهر، وعاش حياته كلها يعمل الصالحات، ويصبر على ما يناله من مصائب الزمان حتى مات، لابد لمثل هذا المؤمن من يوم يلقى فيه جزاء صبره وجهده وإيمانه، وذلك هو اليوم الآخر.

أحمد: أريد يا أبى أن تذكر لنا ما سيحدث فى هذا اليوم.

الأب: نستطيع أن نلخص ما يشتمل عليه اليوم الآخر فى هذه النقاط: انهيار الكون - الحساب - الجنة والنار، ولنبدأ بالنقطة الأولى: انهيار الكون: عندما يأتى هذا اليوم، وبتعبير آخر عندما تقوم القيامة فإن كل أنظمة الكون التى تسير الآن على نظام دقيق - ستختل وتنهار، هذا الكون المنظم الدقيق سيتحول إلى خراب ودمار.. السماء تتشقق وتتساقط، والشمس والقمر والنجوم سيمحى نورها وتتناثر،

والأرض تنزلزل زلزلاً شديداً، والجبال تنسف نسفاً، وقد عبر القرآن الكريم عن هول هذا اليوم في آيات كثيرة منها قوله تعالى في سورة الحج: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ۝﴾ (الحج: ١، ٢).

زينب: ما معنى الساعة يا أبي؟

الأب: الساعة هي القيامة، وسماها الله ساعة ليعبر عن سرعتها، فهي ستأتي سريعاً كما سماها القيامة، لأن الناس يقومون للحساب.
عمر: اشرح لنا الآية التي ذكرتها الآن لو تفضلت.

الأب: يريد الله أن يخبرنا أن ما يحدث يوم القيامة شيء رهيب لا يمكن لإنسان أن يتخيله، فعندما يتزلزل الكون كله في هذا اليوم يصيب الناس ذهول شديد، فتنسى الأم رضيعها الذي ترضعه وهو أعلى شيء عندها، وتسقط الحامل حملها، ويسير الناس مترنحين كأنهم سكارى، وهم ليسوا سكارى، ولكنه رهبة هذا اليوم تجعل منظرهم كالسكارى، وكذلك عبر القرآن عن هول هذا اليوم في سورة المزمل بأنه ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ۝﴾ (المزمل: ١٧) أي يشيب من هوله الصغير، وفي سورة عبس يذكر الله لنا أن كل إنسان سيشغل في هذا اليوم عن أعز الناس لديه بل يفر منهم يفر من أخيه وأمه وأبيه وزوجته وأولاده، فكل إنسان مهموم بنفسه: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۝ وَصَدِيقِهِ ۝ وَبَنِيهِ ۝﴾ (عبس: ٣٤ - ٣٦).

زينب: وأين يذهب الناس يا أبي؟

الأب: يذهبون إلى المحشر أي المكان الذي يجمع الله فيه الخلائق ليحاسبهم على

أعمالهم، ولذلك يسمى هذا اليوم أيضاً يوم الحشر، أى الجمع، أى جمع الناس في مكان واحد.

زينب: ولكن كيف يحاسب الله الناس يوم القيامة في وقت واحد وهم ملايين.

الأب: ملايين؟! قولى ملايين الملايين، ولا تعجيب يا ابنتى.. إنك تعرفين الكمبيوتر؟

زينب: طبعاً، عندنا كمبيوتر يا أبى كما تعلم، وفي مدرستنا أيضاً كمبيوتر، وأنا أعرف استعماله.

الأب: حسن يا ابنتى.. إن ما لا تعرفينه وربما لا يعرفه أخواك أن جهاز الكمبيوتر الذى نستخدمه يعتبر جهازاً تافهاً بالنسبة للأجهزة العملاقة اليت اخترعت حديثاً، لقد اخترعوا جهازاً ضخماً يستطيع أن يعمل ملايين الملايين من العمليات في ثانية واحدة، فإن كان جهاز صنعه عقل بشرى يفعل هذا؟ فكيف يصنع خالق البشر كلهم؟ إن حساب ملايين المليارات من البشر لن يستغرق دقائق معدودة.

أحمد: وكيف يحاسب الله الناس يا أبى؟

الأب: لقد كان الله يحصى على كل إنسان عمله في الدنيا، فقد وكل به ملكين يسجلان ما يقول وما يفعل كما حدثنا الله تعالى في سورة (ق) في قوله تعالى: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (ق: ١٨) أى مع كل إنسان ملكان يراقبان كل أفعاله وأقواله ويسجلانها في كتاب، ويوم القيامة يأمر الله هذه الكتب أن تطير إلى أصحابها، ويفاجأ المجرم الكافر أن كل ما قاله أو فعله مسجل في هذا الكتاب، فيملؤه الخوف والعجب، ويدعو على نفسه بالويل والهلاك كما حكى عنه القرآن في قوله تعالى: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوزِلْنَا مَالٌ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (الكهف: ٤٩).

عمر: إنه يوم رهيب يا أبي، ولكن كيف يتلقى الناس هذه الكتب؟ وكيف يكون حالهم عندما يتلقونها؟

الأب: لقد أخبرنا الله عن ذلك، فالمؤمن يتلقى كتابه بيمينه، ويملؤه الفرح والسرور، ويتجه إلى أهله سعيداً مسروراً، وأما الكافر فيتلقى كتابه بشماله، أو من وراء ظهره فيأخذ في الدعاء على نفسه، وكلكم تحفظون سورة الانشقاق إذ يقول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْقِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۖ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۖ ﴿٨﴾ وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۖ ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْقِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۖ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ۖ ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۖ ﴿١٢﴾﴾ (الانشقاق: ٧ - ١٢).

زينب: وبعد ذلك يا أبي؟

الأب: يقف الناس للحساب أمام الله، ويحاول المجرم أن ينكر جرائمه فيأمر الله أعضاء جسمه التي ارتكبت الجريمة: يده أو رجله أو لسانه، أو عينيه أو جلده أن تشهد عليه، فتشهد وتقول: يوم كذا فعلت كذا، أو قلت كذا، نسأل الله أن يجعلنا من الفئة الناجية التي تتلقى كتابها بيمينها.

العذاب

وبدا النقاش في الجلسة التالية بسؤال من عمر.

عمر: حدثتنا يا أبى في الجلسة السابقة عن شهادة أعضاء الكافر على صاحبها، فماذا يصنع الله بهم بعد ذلك؟

الأب: يساقون إلى جهنم، وهم في غاية الذل والهوان، فتوضع الأغلال في أعناقهم والسلاسل، ويسحبون على وجوههم، حتى إذا وصلوا إلى جهنم دُفعوا إليها دفعاً عنيفاً، ويقال لهم: انظروا هذه جهنم التي كنتم تكذبون بها، وتظنون أنكم لن تبعثوا يوم القيامة ولن تحاسبوا كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا ۖ ﴿١٣﴾﴾

هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ❁ (الطور: ١٣، ١٤)، والدَّعْ: معناه الدَّفْع بعنف.

أحمد: هل هناك أسباب تدفع بالإنسان إلى جهنم غير الكفر بالله.

الأب: نعم.. ارتكاب الكبائر من غير توبة منها.

عمر: وما هذه الكبائر يا أبي؟

الأب: كل جريمة كبيرة نهى الله عنها مثل القتل العمد، فقد اعتبره الله جريمة كبرى لا عقاب لها إلا الخلود في النار، وغضب الله ولعنته فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٩٣) ومثل عقوق الوالدين أى عصيانها وعدم احترامهما، ومثل شهادة الزور، فقد اعتبرهما الرسول ﷺ مساويين للشرك بالله، فقد قال لأصحابه: "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: الإشراف بالله وعقوق الوالدين.. وكان مضطجعاً فجلس وقال: وقول الزور، فما زال يكررها حتى قلنا يا ليتنا سكنا". فانظروا إلى بشاعة قول الزور التي جعلت رسول الله ﷺ يغير من وضعه اهتماماً بالأمر، ثم يظل يكرر هذه الكبيرة حتى يشفق عليه صحابته من شدة انفعاله فيتمنوا أن يسكت.

وكذلك أكل أموال اليتامى ظلماً، والزنا، والسرقة، وغير ذلك من الكبائر التي نعرفها، وكذلك ترك فرض من فرائض الصلاة أو الصيام، أو الزكاة، أو الحج عمداً دون عذر، كل هذه الكبائر تؤدي إلى جهنم، واجتنابها ينجي المؤمنين.

أحمد: لقد قلت يا أبي: ارتكاب الكبائر من غير توبة.. فهل التوبة تزيل أثر هذه الكبائر؟

الأب: نعم.. بشروط.

أحمد: ما هي يا أبي؟

الأب: أولاً الندم على ارتكابها فيشعر مرتكبها بحزن وأسف لفعل ذلك وهو ما نعبر عنه بقولنا: تأنيب الضمير، ثانياً: عزم مرتكب الكبيرة ألا يعود إلى هذا الفعل أبداً مهما كانت الظروف، ثالثاً: أن يعوض الذي ارتكب في حقه هذه الكبيرة بما يرضيه، فإذا قتل اعترف بجريمته، وتلقى العقاب الذي يفرض عليه راضياً، وإذا سرق أو اغتصب حق أحد أو ماله رد كل ما أخذه.. وهكذا.

عمر: هل يعذب الإنسان في القبر بعد موته؟

الأب: نعم، يعذب الكافر بالله، والمستهزئ بدينه، والظالم في القبر كما عرفنا عن رسول الله ﷺ، فقد كان يستعيد من عذاب القبر، وأما المؤمن الصالح فلا يناله هذا العذاب، بل يرقد مستريحاً إلى أن يبعث الله الخلق، نعوذ بالله من عذاب القبر.

أحمد: نعرف يا أبي أن عذاب النار مرعب، فهل تتفضل بذكر أمثلة لهذا العذاب؟

الأب: وقانا الله يا أولادى عذاب النار، لقد وصفه الله بأنه عذاب مهين، وأنه عذاب الخزي، وأنه عذاب أليم، أى أن هذا العذاب جمع بين الإهانة والخزي والألم الشديد، تصوروا يا أولادى أن الكفار في نار جهنم يُسحبون فيها على وجوههم، ويقال لهم ذوقوا عذاب النار، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ (القمر: ٤٨) وسقر اسم من أسماء جهنم.

وتصوروا هذا الإنسان الكافر الذي كان عزيزاً في قومه يتبوأ بينهم أرفع المناصب، فلا يفيد هذا شيئاً في الآخرة، بل يعامل معاملة مذلة مهينة، فيطلب الله من زبانية جهنم أن يأخذوه ويحملوه بطريقة عنيفة إلى وسط الجحيم، وأن يصبوا فوق رأسه ماء شديد الحرارة يشوى رأسه ووجهه ويقولون له ساخرين من تكبره في

الدنيا: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ (الدخان: ٤٩) أى يا من كنت عزيزاً رفيع المقام بين قومك، وتصوروا السلاسل التى يقيد فيها الكفار يبلغ طولها سبعين ذراعاً أى حوالى أربعين متراً، كيف يسير بها أو يتحرك؟ والأسوأ من هذا أنه يحاول أن يخرج من النار فتضربه الملائكة بمقامع من حديد، والمقامع قطع ضخمة من الحديد أعدت لهؤلاء الكفار.

أحمد: أعوذ بالله من النار وعذابها، ولكن يا أبى إذا وضعنا إنساناً فى نار الدنيا احترق جلده فيحس بألم شديد، ثم يهدأ الألم، لأن الجلد الذي يحس بالألم قد احترق، فكيف يظل الكفار يحسون بالألم بعد احتراق جلودهم؟

الأب: لقد حدثنا القرآن الكريم أن هؤلاء الكفار كلما نضجت جلودهم واحترقت بدلهم الله جلوداً غيرها حتى يظل إحساسهم بعذاب النار قوياً، قال تعالى: ﴿ كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ (النساء: ٥٦).

عمر: وهل يأكل الكفار فى النار ويشربون؟ وما طعامهم وشراهم؟

الأب: نعم يا بُنَى، أعاذنا الله مما يأكلون ويشربون.. إنهم يأكلون من شجرة خبيثة الطعم مرة المذاق تسمى شجرة الزقوم وثمارها شكلها بشع خفيف شبهها الله براءوس الشياطين، يأكلون منها فيتحول الأكل فى بطونهم إلى مُهْلٍ وهو النحاس المذاب فيظل يغلى فى بطونهم كما يغلى الماء الشديد الحرارة.

زينب: أعوذ بالله.. أعوذ بالله.. إنى خائفة يا أبى.

الأب: لا تخافى يا ابنتى، فهذا جزاء الكافرين المعاندين لله ورسله، ونحن بحمد الله مؤمنون متقون، وقد وعد الله أن ينجي المتقين، ويبعدهم عن عذابها فلا يسمعون صوتها وهى تتأجج وتلتهب، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ

عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ (الأنبياء: ١٠١، ١٠٢) فنكتف بهذا القدر.

عمر: ولكنك لم تحدثنا عن شرابهم وثيابهم.

الأب: رفقا بأختك يا عمر، وعموماً فقد أخبرنا الله أن شرابهم هو الحميم والغساق، فأما الحميم فهو الماء المتناهي الحرارة الذي يقطع الأمعاء، وأما الغساق فهو الصديد الذي يسيل من جلود أهل جهنم، وأما ثيابهم فقد قطعت لهم قطع من النار يلبسونها كما قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ (الحج: ١٩).

انتهينا يا زينب، انتهينا من الحديث عن النار وعذابها، وفي المرة القادمة إن شاء الله سيكون حديثنا كله ممتعاً، لأنه سيكون عن الجنة ونعيمها.

الجنة

”لا إله إلا الله“ مفتاح الجنة

أقبل الأب على أسرته فحياهم في بدء الجلسة، وكان الأولاد متشوقين إلى سماع حديث الجنة ونعيمها، وسارعت زينب إلى أبيها تسأله.

زينب: هل كل المسلمين سيدخلون الجنة يا أبي؟

الأب: كل من شهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة كما قال رسولنا الكريم ﷺ.

زينب: هذا أمر سهل فكلنا نقول: لا إله إلا الله عشرات المرات في اليوم الواحد.

الأب: نعم يا ابنتي، ولكن لا إله إلا الله لها حقوق كثيرة إذا لم نؤدّها كما طلبها الله فقد نحرم من الجنة.

زينب: ما هذه الحقوق يا أبي؟

الأب: أول هذه الحقوق هو الإخلاص، فلا يكفي أن نتلفظ بها بألستنا، بل ينبغي أن نؤمن بها في قلوبنا إيماناً صادقاً، ثم يتبع ذلك أن نؤمن بكل ما طلب الله منا الإيمان به، فنؤمن بكل ما حدثكم عنه في جلساتنا السابقة: نؤمن بالملائكة والكتب والرسل والبعث والحساب والجنة والنار، ولكن الإيمان وحده لا يكفي بل لابد أن يقرن به أداء الفرائض التي فرضها الله علينا من صلاة وصوم وزكاة وحج، وهذا هو الحق الثاني من حقوق لا إله إلا الله، والحق الثالث أن نتجنب كل ما نهى الله عنه من المحرمات فلا نرتكب كبيرة من الكبائر فلا نظلم ولا نسرق ولا نكذب، والحق

الرابع هو أن نلتزم بعمل الخير ونلتزم بأخلاق الإسلام التي وردت في القرآن الكريم والحديث الشريف.

الأم: إن الله حينما يتحدث عن جزاء المؤمنين لا يكتفى بذكر إيمانهم فقط، بل يقرر أنهم يعملون الصالحات، فكثير من آيات القرآن الكريم تقول: "الذين آمنوا وعملوا الصالحات"، فالصالحات كل عمل خير فيه إرضاء لله ونفع للناس.

الأب: هذا حق.. ورسولنا الكريم ﷺ ينفي الإيثار عن المسلم الذي لا يؤدي حق جاره فهو يقول: "والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن من بات شعبان وجاره جائع" أي أن المسلم ينبغي أن يتعرف أحوال جاره حتى يساعده، وانظروا إلى تكرار نفي الإيثار عنه لتأكيد الأمر وحديث آخر يتحدث عن عدم إيمان من يخشى جاره شره فيقول ﷺ: "والله لا يؤمن - ويكررها أيضاً - من لا يأمن جاره بوائقه" والبوائق هي الأمور المسيئة للجار المؤذية له، فالحديث ينفي الإيثار عن المسلم الذي يؤدي جاره، وكذلك يخرج الرسول ﷺ الغشاش من دائرة المسلمين فيقول: "من غشنا فليس منا" كما أن تارك الصلاة عمداً يخرج من دائرة الإيثار إلى دائرة الكفر، لأن الصلاة هي فرق ما بين المسلم والكافر كما حدثنا رسول الله ﷺ.

زينب: نسأل الله أن يعيننا على أدائها.

عمر: حدثنا يا أباي عن النعيم الذي يتمتع به المؤمنون في الجنة.

ألوان النعيم في الجنة :

الأب: ألوان النعيم في الجنة كثيرة، أهمها ما يلقيه من رضا الله عليهم وما يأنسهم من ألوان التقدير والتحية من الملائكة، وما ينعمون به من سرور وراحة نفسية.. هذا إلى جانب المتع الكثيرة من طعام وشراب وغيرهما.

عمر: نريد توضيحاً لهذه الألوان المتنوعة إذا سمحت.

الأب: من علامات رضا الله عليهم أنه يسمح لهم برؤيته كما قال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ۖ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٢، ٢٣) ومنذ اللحظة الأولى لدخولهم الجنة بل قبل الدخول تحييمهم الملائكة، يحدثنا القرآن الكريم أن الملائكة عندما تتوفى المؤمنين الصالحين يقولون لهم: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٣٢)، وإذا ساقتهم الملائكة إلى الجنة وجدوا أبوابها مفتحة انتظاراً لهم، وقابلهم خزنتها مرحبين قائلين لهم: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (الزمر: ٧٣)، وباختصار لا يسمعون في الجنة إلا كل ما يسرهم، وعبارات الترحيب بهم، قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۖ (٢٥) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ (الواقعة: ٢٥، ٢٦)، ومن مظاهر سرورهم وراحتهم في الجنة أنهم يجلسون مع أصحابهم جلسات مريحة وقد اتكئوا على الأرائك - أى الكنب الفاخر - وتقابلت وجوههم يشيع بينهم السرور والصفو، وتدور بينهم الأحاديث الممتعة.

أحمد: وعن أى شىء يتحدثون يا أبي؟

الأب: أحاديث متنوعة تتناول ذكريات حياتهم الدنيا، فأحياناً يذكرون أنهم كانوا خائفين من عذاب الله في الآخرة، ولكن الله وقاهم عذاب الآخرة الشديد بمنه وكرمه، كما حدثنا القرآن الكريم: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۖ (٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُتَشَفِّعِينَ ۖ (٢٦) فَمَنْ أَلَّهَ عَلَيْهِمْ وَعَفَنَّا عَنْ ذَابِ السَّمُورِ﴾ (الطور: ٢٥ - ٢٧)، وأحياناً يتذكر أحدهم صاحباً له في الدنيا من الكافرين كان يحاول إغراءه بالكفر بالله وبالبعث، ويدعو أصحابه إلى النظر في النار فيجدون هذا الكافر يتعذب في وسطها، ثم يملؤهم السرور حينما يتذكرون أنهم لن يموتوا مرة أخرى، ولن يتعرضوا لعذاب

الآخرة كما حدثنا القرآن عن ذلك في قوله تعالى: ﴿أَمَّا نَحْنُ بِمَبِيتَيْنِ﴾ (٥٨) ﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّيْنَ﴾ (٥٩) ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (الصفات: ٥٨: ٦٠).

الأم: إنى كلما قرأت سورة المطففين، ووصلت إلى آخرها يهزنى منظر المؤمنين وهم جالسون على آرائكهم ينظرون إلى النار، فيجدون الكفار الذين كانوا يسخرون من المؤمنين في الدنيا لإيمانهم، ويتغامزون عليهم إذا مروا بهم استهزاء بشأنهم، فيحمد المؤمنون الله على أن الأحوال تبدلت فأصبحوا هم الذين يضحكوا من الكفار.

عمر: أنا أحفظ هذه الآيات، هل أقولها؟

الأب: قل يا عمر.

عمر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ (٢٩) ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ (٣٠) ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ (٣١) ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ (٣٢) ﴿وَمَا أَرْسَلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ (٣٣) ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ (٣٤) ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ (٣٥) ﴿هَلْ تُؤَبُّوهُمُ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (المطففين: ٢٩: ٣٦).

الأب: أحسنت يا عمر.

زينب: لكن ماذا يأكلون في الجنة وماذا يشربون؟

الأب: اسمعى يا زينب.. في الجنة كل أنواع النعيم التى لا يمكن للإنسان أن يتخيلها كما قال الله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ (الزخرف: ٧١)، وكما قال ﷺ: "فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر" وقد ذكر الله أمثلة من الطعام والشراب نكتفى ببعضها، قال تعالى: ﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ فِيهَا زُجْجَ حَمْرٍ مَّاءٍ شَبَبُونَ﴾ (الطور: ٢٢)، وقال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ (١٧) ﴿يَا كُؤَابَ وَأَبَارِيْقَ وَكُلَّ شَيْءٍ مِّنْ مَّعِينٍ﴾ (١٨) ﴿لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يَنْزِفُونَ﴾ (١٩) ﴿وَفَنَاجِيٍّ مِّمَّا يَخَيَّرُونَ﴾ (الواقعة: ١٧: ٢٠).

عمر: ماذا في الأكواب والأباريق والكأس؟

الأب: فيها الماء الزلال العذب، والعسل المصفى، واللبن والخمر.

زينب: الخمر؟ الخمر حرام.

الأب: الخمر في الدنيا حرام، لأنها تؤثر في الإنسان تأثيراً سيئاً فتصيبه بالصداع وتذهب عقله فيتصرف كالمجانين، ولكن خمر الآخرة خلت من هذين الأمرين كما قال تعالى في الآية السابقة: ﴿لَا يَصَدُّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ﴾ ❁ ومعنى "ينزفون" تذهب عقولهم، أظن الآن يا أولادى أننا تناولنا جميع أسس الإيمان التى تضمنتها الشهاداتتان، وأريد من زينب أن تذكرنا بهذه الأسس.

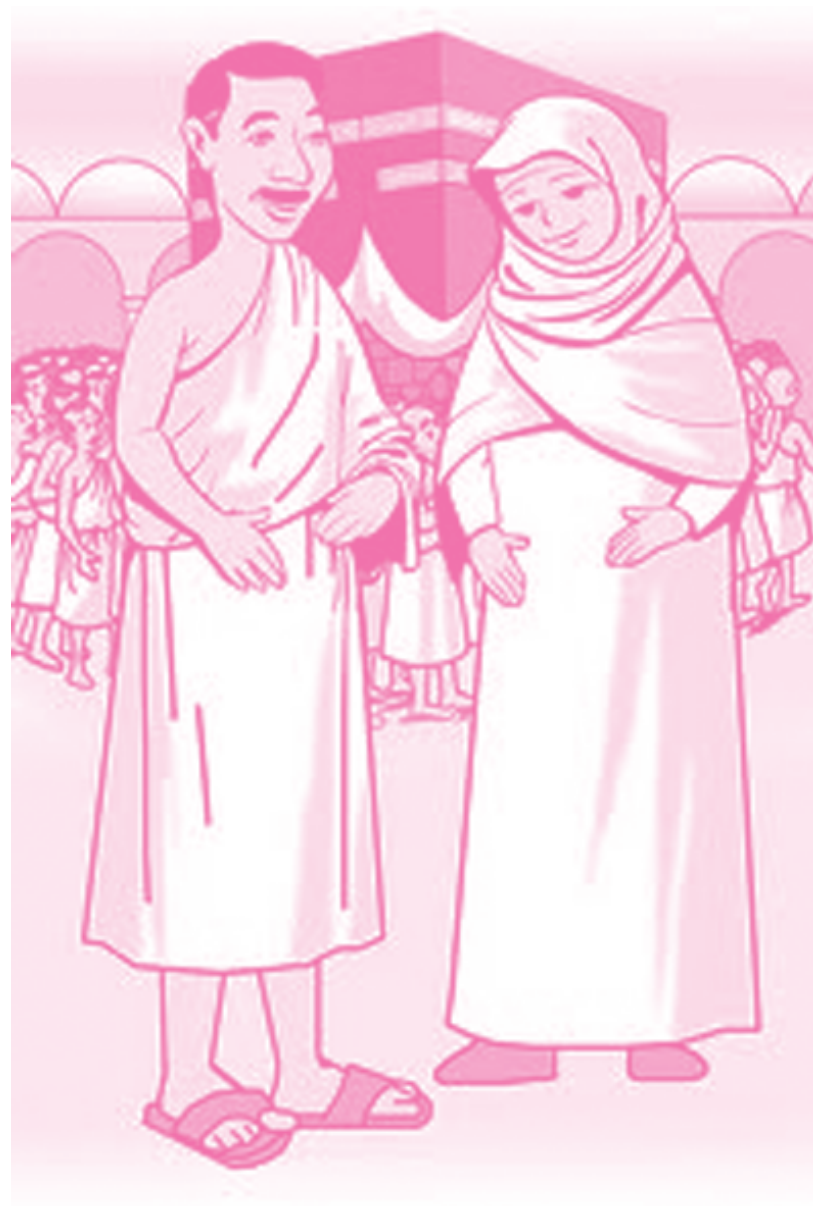
زينب: الإيمان بالله الواحد، والإيمان بالملائكة، والإيمان بالرسول، والإيمان بالكتب المنزلة عليهم، والإيمان باليوم الآخر وما فيه من بعث وحساب وجنة ونار.

الأب: أحسنت يا زينب وفتح الله عليك، ولكن هذه الأسس يا أولادى تمثل ركناً واحداً من أركان الإسلام الخمسة، وإن كان أهم ركن فيها، وهذا الركن نسميه العقيدة، فعقيدة كل مسلم لا تصح إلا بهذا الإيمان، لكن يبقى بعد ذلك أربعة أركان تتضمن الأعمال التى ينبغى للمسلم أن يقوم بها حتى يتم إيمانه، وهذه الأركان هى: العبادات التى فرضها الله على المسلم، لأن الإسلام عقيدة وعمل، ولا يقبل أحدهما إلا مع الآخر، ذكّرنا يا عمر بهذه الأركان.

عمر: الصلاة والزكاة وصوم رمضان وحج البيت.

الأب: أحسنت يا عمر.. وأرجو أن تتاح لنا فرصة في جلسات قادمة لتتناولها بالمناقشة، وشكراً لكم على حسن إصغائكم ومناقشاتكم، وفقكم الله.

الأولاد: شكراً لك يا أبانا، شكراً لك يا أمنا.. جزاكم الله عنا خيراً.



عباداتنا

- الصلاة.
- الزكاة.
- صوم رمضان.
- الحج.



الصلاة

وبدأت جلسة المساء الدينية، وكان الأولاد فرحين مستبشرين أنهم سيبدءون حلقة جديدة من سلسلة ثقافتهم الدينية، لقد انتهت حلقة العقيدة، وقد وعدهم أبوهم أنه سيبدأ معهم حلقة جديدة عن العبادات فهم متشوقون لما سيسمعون، مثلهم في ذلك مثل التلاميذ المتفوقين الذين أتموا فصلاً دراسياً بنجاح وبدأوا فصلاً دراسياً جديداً فهم متحفزون للمعرفة والاستيعاب، وأقبل الأب مبتهجاً بحرص أولاده على معرفة دينهم، وبعد أن حياهم سألمهم:

الأب: لقد أتمنا دروس العقيدة، فهل استوعبتم ما قلنا فيها.

الأولاد: نعم وقد استفدنا كثيراً.

الأب: إن دروس هذه الحلقات دروس عملية تتطلب منا العمل، وأما دروس الحلقات السابقة فكانت تتصل باعتقاد المسلم أى تصديقه بما عرف في قرارة نفسه تصديقاً مؤكداً وهو ما نسميه الإيمان، فالإيمان مكانه القلب ولا يطلع عليه ولا يعرف صدقه إلا الله سبحانه وتعالى، وأما العبادات وغيرها مما سنناقشه فهي أمور ظاهرة يطلع عليها الناس، لأنها عمل يقوم به الإنسان، فنحن نصلى ويرانا الناس نصلى، ونصوم فيعرف من حولنا أننا صائمون وهكذا، ولا بد للمسلم أن يجمع بين الأمرين معاً: الإيمان والعمل ليكون مسلماً مستحقاً الثواب من الله، ولذلك كان الله يقرن دائماً الإيمان بالعمل الصالح ليكون مسلماً مستحقاً الثواب من الله، فكثيراً ما يردد

القرآن تعبير.. الذى آمنوا وعملوا الصالحات.. كما ذكرت لكم فى الدروس السابقة، وقبل أن نبدأ الحديث عن العبادات أطلب من أحداكم أن يذكرنا ببقية أركان الإسلام الخمسة.

زينب: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج.

الأب: فلنبدأ بأولها وأهمها وهو الصلاة، وأظنكم جميعاً تعرفون الصلوات المفروضة وعدد ركعاتها.

عمر: نعم.. الصبح ركعتان، والظهر أربع، والعصر أربع، والمغرب ثلاث، والعشاء أربع.

الأب: قبل أن نستمر فى تفصيل أفعال الصلاة أحب أن أنبهكم إلى منزلة العظيمة التى تحتلها الصلاة فى أركان الإسلام، ويكفيها شرفاً أول ما فرضت من العبادات، وفرضت بالأمر المباشر من الله سبحانه وتعالى إلى رسوله دون واسطة، وقد فرضها الله أول الأمر خمسين صلاة ثم جعلها خمساً رافة بعباده.

عمر: كيف فرضت الصلاة بالأمر المباشر دون واسطة؟

الأب: تعرفون أن الرسول ﷺ أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عُرِج به إلى السماء، وظل جبريل يرافقه حتى بلغا سدره المنتهى، وهى شجرة عظيمة لا يمكن للملك من الملائكة أن يتجاوزها، ولذلك تقدم الرسول ﷺ وحده، فأمره الله بالصلاة: خمسين صلاة فى اليوم والليلة، وظل يخفضها حتى بلغت خمساً ولكن الله أبقى ثوابها، ثواب خمسين صلاة تكريماً لعباده المسلمين.

عمر: كيف يكون ثواب الخمس مساوياً لثواب الخمسين؟

الأب: لأن الله وعد عباده أن يضاعف لهم الحسنة عشرة أضعاف كما قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَلِهَا﴾ (الأنعام، الآية: ١٦٠).

أحمد: ولكن لماذا كان للصلاة كل هذه الأهمية؟ ولماذا تتكرر خمس مرات في اليوم.

الأب: لأن الصلاة هي الصلة بين العبد وربّه، فأنت حينما تكون واقفاً تصلى تكون واقفاً بين يدي الله تتأخّره وتخطّبه، وأما تكرارها كل يوم فلكي يكون الإنسان دائم الصلة بربه ففي مطلع النهار يصلى الصبح، وبعد ساعات يصلى الظهر، وبعد ساعات أقل يصلى العصر، ثم المغرب كذلك التي تعقبها بعد أكثر من ساعة واحدة العشاء، وهكذا يكون الإنسان مع ربه طوال اليوم، وهذا يدفعه إلى مراقبة ربه في كل عمله فيبتعد عن كل عمل يسيء، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (العنكبوت: ٤٥).

الأم: ومعنى ذلك يا أولادى أن المسلم إذا واطب على الصلاة من غير أن يجتنب الأمور السيئة من كذب أو سرقة أو خيانة فلا خير في هذه الصلاة ولا ثواب لها.

الأب: نعم.. ولأهمية الصلاة اعتبرت عماد الدين، وركنه الأساسى حتى قال الرسول ﷺ: "فرق ما بين المسلم والكافر إقامة الصلاة" وهذه الأهمية العظيمة جعل الإسلام لها شروطاً سابقة عليها لا تصح الصلاة إلا إذا تحققت، وهذه الشروط هي: الأول الوضوء، والثانى لبس الثياب التى تستر العورة.. الشرط الثالث دخول الوقت والشرط الرابع طهارة المكان والثوب، والشرط الخامس: استقبال القبلة، أظنكم تعرفون كل هذه الشروط ولكن لا بأس من بعض التفصيل لهذه الشروط.

زينب: أنا أعرف كيف أتوضأ.

الأب: جميل قولي لي ما هي فرائض الوضوء؟

زينب: غسل الوجه وغسل اليدين إلى المرفقين، ومسح جزء من الرأس، وغسل الرجلين إلى الكعبين.

عمر: هل أذكر سنن الوضوء؟

الأب: تفضل.

عمر: غسل اليدين إلى الرسغين أول الوضوء، والمضمضة ثلاثاً والاستنشاق ثلاثاً، وغسل الوجه ثلاث مرات، ومسح الرأس كله ومسح الأذنين.

الأب: بورك يا عمر.

زينب: ما معنى الرسغين يا أبي؟

الأب: الرسغان هما العظمتان اللتان في نهاية الكف.

زينب: ما الفرق بين الفرض والسنة؟

الأب: الفرض ويسمى أيضاً الركن، هو ما لا يتم العمل إلا به، وإذا تركه الإنسان بطل العمل الذي يعمل به، ويجب عليه إعادته، وأما السنة فهي أشياء مكملية ليأتي العمل على أحسن وجه، فالفرض في الوضوء غسل الوجه مرة واحدة، والسنة غسله ثلاث مرات، فإذا لم يغسل وجهه بطل الوضوء، ولكن إذا غسله مرة واحدة لم يبطل وضوؤه، ويكون قد ترك السنة، وينقص ثوابه والسنة هي كل ما فعله الرسول ﷺ ولكنه لم يأمر بفعله على سبيل الفرض.

زينب: وهل نصلي بالوضوء الواحد أكثر من صلاة؟

الأب: نعم ما دام الوضوء لم ينتقض، وأظنك تعرفين نواقض الوضوء.

زينب: طبعاً.

عمر: فإذا لم يستطع الإنسان الوضوء لأنه مريض مثلاً ماذا يفعل؟

الأب: يتيمم.

زينب: ما معنى يتيمم؟

الأب: التيمم معناه أن يضع الإنسان كفيه على تراب أو رمل أو ما أشبه ذلك بشرط أن يكون طاهراً، ثم ينفض كفيه ويمسح بهما وجهه ويضعهما مرة أخرى على التراب أو غيره مما يكون من جنس الأرض، ثم ينفضهما ويمسح بهما يديه إلى المرفقين، هل تعرفين المرفقين يا زينب.

زينب: نعم العظمتان اللتان في منتصف الذراع.

أحمد: متى يصح للإنسان أن يتيمم.

الأب: إذا لم يستطع الإنسان الحصول على الماء بأن كان في مكان منعزل ليس به ماء أو كان الماء الذي معه لا يكفي إلا لشربه ويخشى ألا يجد ماء لبعده عن العمران، أو يكون عنده ماء ولكنه لا يقدر على استعماله بأن كان مريضاً ونصحه الطبيب بعدم استخدام الماء.

عمر: بعض زملائي بالمدرسة عندما يريدون الوضوء لا يخلعون "الشراب" ويغسلون أرجلهم ولكن يمسحون على "الشراب" فهل هذا صحيح؟

الأب: هذا نوع من التيسير على المتوضىء، ويعرف بالمسح على الخفين، والخف

نعل مثل الحذاء ولكنه أخف منه، فيجوز للإنسان أن يتوضأ أولاً ويغسل رجليه، ثم يلبس الخف، فإذا أراد الوضوء بعد ذلك يتوضأ ويمسح على الخف من غير أن يغسل رجليه، ولكن المسح على الشراب له شرط مهم وهو ألا يكون "الشراب" خفيفاً يوصل الماء إلى الرجل بل يكون سميكاً لا ينفذ منه الماء.

عمر: وكلما أراد الوضوء مسح على الخف أو الشراب؟

الأب: لمدة أربع وعشرين ساعة فقط إذا كان غير مسافر، وإذا كان مسافراً فمدته ثلاثة أيام وبعد انتهاء المدة في الحالتين يجب نزع الخف والوضوء الكامل، وإذا خلعت الإنسان الخف أو الشراب في أى وقت قبل مضي المدة يجب أن يتوضأ وضوءاً كاملاً. والشرط الثانى لصحة الصلاة بعد الوضوء: هو أن يكون المصلى مرتدياً ثياباً تستر عورته.

عمر: ما المقصود بالعورة؟

الأب: العورة هى أجزاء الجسم التى لا يجوز للمسلم أن يكشفها فى أى وقت من الأوقات أمام الناس، وهى فى الرجل تختلف عنها فى المرأة، فالرجل ينبغى أن يستر جسمه من فوق سرته إلى أسفل ركبتيه، وأما المرأة فينبغى أن تستر جسمها كله ما عدا وجهها وكفيها.

والشرط الثالث دخول الوقت، فلا يصح أن يصلى فرضاً قبل دخول وقته، والأوقات أصبحت الآن محددة تحديداً دقيقاً نقرأها فى الصحف ونسمع أذانها من مكبرات الصوت فى كل مسجد، ولكل فرض زمنه المحدد، وللمسلم أن يصلى فى أى فترة من زمن الفرض، ولكن تستحب المبادرة إلى الصلاة فى أول وقتها.

الشرط الرابع: طهارة الثوب وطهارة المكان، فلا تصح الصلاة في ثوب نجس بأن يكون عليه بول أو دم أو غير ذلك، كما ينبغي أن يكون المكان الذي يصلى فيه طاهراً.

أحمد: وكيف أعرف أن المكان طاهر؟

الأب: إذ لم تشاهد وقوع نجاسة فيه ولم يخبرك أحد بأنه نجس وكان المكان جافاً ونظيفاً وليس عرضة للتلوث، فلا يصح مثلاً أن نصلى في مكان تلقى فيه الزبالة.

الشرط الخامس والأخير هو استقبال القبلة، فإذا أراد المسلم الصلاة يتجه نحو القبلة أى اتجاه الكعبة، فهى قبلة المسلمين جميعاً في جميع أنحاء العالم في صلاتهم.

أحمد: لكن نحن نبعد عن الكعبة آلاف الأميال، فكيف نتحقق أن اتجاهنا نحو الكعبة؟

الأب: المسلم الذى يصلى في المسجد الحرام عليه أن يتجه نحو الكعبة ذاتها من أى زاوية فهى أمامه يشاهدها، وأما خارج المسجد الحرام مهما كان المصلى بعيداً عن الكعبة فعليه أن يتجه إلى الجهة التى تقع فيها مكة جغرافياً، فنحن في مصر نتجه نحو الجنوب الشرقى الذى تقع فيه المملكة العربية السعودية.

عمر: ولماذا يتجه المصلى نحو الكعبة؟ ولماذا لا يصلى إلى أية جهة لأنه يصلى لله

والله في كل مكان؟

الأب: الحكمة في استقبال القبلة في الصلاة هى توحيد قلوب المسلمين وتوجيههم

نحو اتجاه واحد في صلاتهم، وكما أخبرنا في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا

تَوَلَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ (البقرة: ١١٥) فإنه أمرنا أيضاً أن نتجه نحو المسجد الحرام في

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا

وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ (البقرة: ١٥٠).

هذه هي الشروط التي يجب أن تتحقق قبل الدخول في الصلاة، وهناك سنة مؤكدة ينبغي الإتيان بها قبل الصلاة أيضاً - وإن كانت تصح الصلاة بدونها - هذه السنة هي الأذان والإقامة، فالأذان هو الإعلام بدخول الوقت، وأنتم تسمعون في جميع الأوقات.

الأم: إنه نشيد إلهي جميل، كلما سمعت الأذان ازدادت إيماناً بالله وبدين الإسلام، فهو يبدأ بهذه العبارة التي تملأ النفوس اطمئناناً "الله أكبر" فهو أكبر من الظالمين، وأكبر من كل عدو يريد بنا شرّاً مهما بلغت قوته، ثم يأتي العبارة التالية التي يجدد فيها كل مسلم إيمانه بالله وبرسوله: "أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمداً رسول الله" ثم الدعوة إلى الصلاة: "حي على الصلاة" أي أقبلوا على الصلاة، ثم عبارة تبين نتيجة الصلاة وهي الفلاح والفوز "حي على الفلاح" ثم يختتم النشيد بما بدأ به "الله أكبر" وبعدها الإقرار بوحداية الله "لا إله إلا الله" فأى ثقة بالله تملأ قلوب المؤمنين حينما يسمعون هذا النشيد العظيم الذي يتكرر يومياً.

الأب: حقاً إنه الشعار المميز للمسلمين، وأما الإقامة فعلى كل مصلٍّ حتى لو كان يصلي وحده أن يقيم قبل صلاته، والإقامة تتفق مع الأذان في أنها تشتمل على كل عباراته ولكنها تختلف عنه في تكرارها هذه العبارات، فالأذان يكرر "الله أكبر" أربع مرات، والإقامة تكررهما مرتين، ثم العبارات التالية تكرر مرتين في الأذان ولا تكرر في الإقامة وتتفقان في الختام فتكرر "الله أكبر" مرتين فيهما "ولا إله إلا الله" مرة واحدة فيهما أيضاً، وفي الإقامة يقول بعد "حي على الفلاح" قد قامت الصلاة مرتين، ونكتفي الليلة بهذا القدر وإلى الجلسة المقبلة إن شاء الله.

فرائض الصلاة

وفي الجلسة التالية بعد أن حيا الأب أسرته قال:

الأب: فرغنا من الحديث عن الشروط أو السنن التي تسبق الصلاة، والليلة نتحدث عن الصلاة نفسها، فما فرائض الصلاة يا أحمد؟

أحمد: فرائض الصلاة هن: تكبيرة الإحرام، القيام، القراءة، الركوع، السجود.

الأب: حسن يا أحمد، لكنك نسيت ثلاثة أركان.

عمر: نسي ركن النية.

الأب: صح.. ركنان آخران هما: الطمأنينة بين الأركان، والقعود الأخير بمقدار التشهد.

زينب: أرجو يا أبى أن توضح لنا هذه الأركان.

الأب: بكل سرور يا زينب.. أول فرض - أو ركن فلا فرق بين الفرض والركن - هو النية: أى أن الإنسان قبل أن يدخل في الصلاة ينوئ في قلبه أنه سيصلى وقت كذا على حسب الوقت الذى سيصليه، والحقيقة يا أولادى أن النية مطلوبة في كل عبادة، وهى أساس ثواب الله على هذا العمل، وقد قال ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات"^(١)، أى أن قيمة العمل ترتبط بما نواه الإنسان، فلو فرضنا أن شخصاً أخذ يزاول الرياضة فأتى بحركات مثل حركات الصلاة تماماً، ولكنه لم ينو الصلاة، فلا يعتبر ما فعله صلاة، وليس بشرط أن يتلفظ المصلى بالنية فيقول: نويت أن أصلى كذا.. بل يكفي أن ينوئ ذلك في قلبه أى يكون عارفاً أنه سيصلى فرض كذا.

(١) رواه البخارى بسنده عن عمر بن الخطاب .

والفرص الثاني: تكبيرة الإحرام: وهى أول تكبيرة يدخل بها المصلى الصلاة.

عمر: ولماذا سميت ”تكبيرة الإحرام“؟

الأب: لأنها التكبيرة التى يحرم بعدها على المصلى ممارسة أى فعل خارج عن الصلاة.

والفرص الثالث هو القراءة ويشترط قراءة الفاتحة فى كل ركعة وسورة معها أو بعض آيات فى الركعتين الأوليين.

أحمد: عندما أصلى جماعة ألاحظ أن بعض الأئمة يبدأ القراءة بـ “بسم الله الرحمن

الرحيم”، وإمام آخر يبدأ بـ “الحمد لله رب العالمين”، فما سر ذلك؟

الأب: هذا اختلاف مذاهب، فالتشريع الإسلامى ويسمى ”الفقه“ اشتهر من

أئمتهم أربعة هم: أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وقد تفقها فى

الدين، واشتهروا بعلمهم الغزير، واجتهادهم فى مسائل فرعية من الدين. وكان

لكل إمام من هؤلاء الأئمة تلاميذ تتلمذوا عليه وأعجبوا بأرائه فنشروها بين الناس،

وألفوا فيها كتباً فنشأت بذلك المذاهب الأربعة، وهذه المذاهب لا تختلف إلا فى بعض

المسائل الفرعية التى لم يأت فيها نص قرآنى صريح، أو حديث مؤكد عن الرسول ﷺ،

ومن هذه المسائل الفرعية الجهر بالبسملة عند القراءة، أو قراءتها سرّاً فبعضهم قال

بالجهر، وبعضهم قال بعدم الجهر، ولكنهم جميعاً متفقون على أن يقرأ المصلى البسملة

وهذا كله فى الصلاة الجهرية أى الفجر والمغرب والعشاء، وأحب أن أنبهكم إلى أن

اختلاف هؤلاء الأئمة فى أمور قليلة وثانوية لا تؤثر فى جوهر العبادات، وسبب هذا

الاختلاف كما ذكرت أن بعض الأئمة لم يصله حديث نبوى اعتمد عليه إمام آخر، أو

فهم النص القرآنى فهماً مختلفاً عن إمام آخر.

والفرض الرابع من فروض الصلاة: القيام.

عمر: ولكنى أرى جدى أحياناً يصلى قاعداً.

الأب: القيام فرض فى صلاة الفريضة لمن يقدر عليه دون ألم، وأما فى صلاة السنن والنوافل فليس فرضاً ويجوز للمصلى أن يصليها قاعداً دون عذر.

والفرض الخامس الركوع: والركوع الصحيح أن يستوى ظهر الرأع ويمسك ركبتيه بيديه.. والسادس السجود، والأعضاء التى يجب أن تمس الأرض فى أثناء السجود: الجبهة والأنف والكفان والركبتان والقدمان ولا بد أن يسجد المصلى سجدتين فى كل ركعة.

والفرض السابع الطمأنينة فى أداء أركان الصلاة، ومعنى ذلك أن المصلى إذا ركع اطمأن فى ركوعه بقدر ما يقول: ”سبحان ربى العظيم“ ولو مرة واحدة، وإذا رفع من ركوعه اطمأن واقفاً لحظة، وإذا سجد اطمأن فى سجوده لحظة بقدر ما يقول: ”سبحان ربى الأعلى“ ولو مرة واحدة.

عمر: ولكننا نقول ”سبحان ربى العظيم“ ثلاث مرات فى الركوع، و”سبحان ربى الأعلى“ ثلاث مرات فى السجود.

الأب: هذه هى السُّنة ويمكن أن نزيد على ذلك، ونضيف إلى التسبيح فى السجود الدعاء، ولكن ما ذكرته هو الحد الأدنى لصحة الصلاة، وكذلك إذا أتم سجوده الأول يجلس مطمئناً بين السجدتين لحظة وهكذا فى كل الركعات هذا معنى الطمأنينة.. وأما ما يفعله بعض المصلين من السرعة فى الصلاة ونقرها نقرأ فهذا يفسد الصلاة، وقد نهى عن ذلك رسول الله ﷺ ورأى رجلاً يصلى بهذه الطريقة - طريقة

النقر - فقال له: "صلّ فإنك لم تصلّ".

الأم: إن الله سبحانه وتعالى حينما يأمرنا بالصلاة يقول: أقيموا الصلاة، أو أقم الصلاة.. ولم يقل أدوا الصلاة، ومعنى ذلك أن المطلوب إقامتها أى أدائها على الوجه الأكمل.

الأب: هذا صحيح، والفرض الثامن والأخير هو القعود الأخير بمقدار ما يقول التشهد، أتعرفين التشهد يا زينب؟

زينب: طبعاً.. التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

الأب: بورك يا زينب.

عمر: ولكنها لم تذكر بقيته وهو: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

الأب: التشهد هو ما ذكرته زينب فقط، وهو فرض في نهاية الصلاة، والصلاة على النبي ﷺ التي ذكرتها يا عمر هي سنة إذا لم يذكرها المصلى لا تبطل صلاته ولكن ينقص ثوابه.

وهناك أمور مكّمة للصلاة مطلوب عملها لكي تكون الصلاة كاملة وثوابها كامل وهي التكبير بين الأركان، فإذا نزل المصلى للركوع قال الله أكبر وكذلك إذا نزل للسجود بين السجدين، وإذا رفع للقيام، لكن إذا رفع من ركوعه يقول: "سمع الله

لمن حمده"، ويتبع ذلك بقوله ربنا لك الحمد.

ومن سُنن الصلاة أيضاً الجلوس بعد الركعتين الأوليين في الصلاة الرباعية والثلاثية، وقراءة التشهد فقط دون ذكر الصلاة على النبي ﷺ، وهذا التشهد سنة مؤكدة، وبعض الأئمة يعتبره واجباً، فهو لو نسيه يسجد للسهو في نهاية الصلاة، كما سأذكر لكم، ومن سُنن الصلاة أيضاً الجهر بالقراءة في صلاة الليل في الركعتين الأوليين فقط، وهي صلاة الفجر وصلاة المغرب والعشاء، وفي نهاية الصلاة يسلم عن يمينه وعن يساره ونكتفى بهذا القدر الليلة ونكمل في الجلسة المقبلة إن شاء الله.

النوافل

وبدأت الجلسة التالية فسأل عمر:

عمر: نسمع كلمة صلاة النفل، فما معنى النفل؟ وما هي صلواته؟

الأب: النفل والنافلة والنوافل معناها في اللغة الزيادة، إذن هي صلاة زائدة على الفرض، وهي نوعان: سنة وتطوع، والفرق بينهما أن صلاة السنة كان الرسول ﷺ حريصاً على أدائها ويحث المسلمين على فعلها وهي عشر ركعات: ركعتان بعد المغرب، وركعتان قبل صلاة الظهر، وركعتان بعد صلاة الظهر، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء، ويضاف إلى ذلك ركعة الوتر وتكون في ختام صلاة الليل، ولا يصلي بعدها، وأما التطوع: فهو ما زاد على ذلك وبعضه كان يفعله الرسول ﷺ أحياناً ولكنه لا يواظب عليه مثل صلاة التراويح في رمضان وصلاة الضحى ووقتها بعد طلوع الشمس بنصف ساعة قبل الظهر، وهي ركعتان إلى ثمان ركعات، وللمصلي أن يصلي متطوعاً ما يشاء.

سجود السهو

أحمد: نريد أن نعرف شيئاً عن سجود السهو إذا سمحت يا أباي.

الأب: سجود السهو سجدتان يسجدهما المصلي بعد انتهاء الصلاة قبل أن يسلم أو بعد أن يسلم على حسب الظروف، فمثلاً إذا نسي أن يقعد للشهد الأول، أو نسي أن يقرأ سورة مع الفاتحة في الركعتين الأوليين، أو زاد في صلاته ركعة فإنه يسجد للسهو قبل السلام، وأما إذا سلم وتذكر أنه نسي ركعة أو أكثر فإنه يصلي ما نسيه ثم يسجد للسهو، وأحب أن أذكركم أن سجود السهو يكون في السهو عن سنة مؤكدة، أما السهو عن فرض كأن ينسى الركوع أو السجود مثلاً فعليه أن يعيد صلاته ولا ينفع في ذلك سجود السهو.

صلاة الجماعة

عمر: بعض الناس يحبون الصلاة في المسجد مثل حضرتك ومثل أحمد أخي.. فهل صلاة الجماعة أفضل من الصلاة الفردية.

الأب: نعم.. هي سنة مؤكدة، وهي أفضل من صلاة الفرد كثيراً، فقد حدثنا الرسول ﷺ أن صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة^(١) أي أن ثوابها يساوي ثواب صلاة المنفرد سبعاً وعشرين صلاة.

عمر: ولماذا كان لها كل هذا الثواب؟

الأب: لأن الإسلام يحب تجمع المسلمين، لأن في تجمعهم زيادة التعارف

(١) رواه البخاري بسنده عن ابن عمر .

والتعاون بينهم، وهو يريد أن يكون المسلمون مترابطين متماسكين كما عبر عن ذلك الحديث الشريف: ”المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً“، ولذلك حث على صلاة الجماعة في الصلوات المفروضة ليكون المسلم على اطلاع دائم على أحوال جيرانه ومعارفه، كما وسع دائرة الاجتماع كل أسبوع في صلاة الجمعة، ومرتين كل سنة في صلاة العيدين، ثم المؤتمر الأعظم في موسم الحج السنوى الذى يجمع كثيراً من شعوب العالم الإسلامى فى ساحته.

عمر: هل تجوز صلاة الجماعة في غير المسجد؟

الأب: نعم، فيصح أن نصلّى معاً في البيت، وتعتبر صلاتنا معاً جماعة، وكذلك صلاة كل اثنين فأكثر معاً في أى مكان تعتبر صلاة جماعة، ولكن الجماعة في المسجد أفضل.

زينب: لكن أمى تصلّى دائماً في البيت.

الأب: لقد أعفى الإسلام المرأة من صلاة الجماعة، وجعل صلاتها في بيتها مساوية لصلاة الجماعة، ولو ذهبت وصلت مع الجماعة فلا بأس.

عمر: أذهب أحياناً إلى المسجد فأجد الإمام قد صلى ركعة أو أكثر فماذا أفعل؟

الأب: ادخل مع الإمام في الصلاة، وبعد أن يسلم لا تسلم أنت وتقوم لتصلّى ما فاتك، وإذا أدركت الإمام قبل أن ينتهى من ركوعه وركعت معه تحتسب لك الركعة، ولكن إذا أدركته بعد قيامه من الركوع لا تحسب لك الركعة وتعمل حسابك أن تقعد للشهد الأول بعد تمام ركعتين حتى لو أدركت الشهد مع الإمام.

قضاء الفوائت

أحمد: أحياناً تضطرني ظروف أن أترك صلاة مفروضة حتى يفوت وقتها وأحياناً

أنسى حتى يفوت الوقت فماذا أفعل؟

الأب: بحث الإسلام حثاً قوياً على أداء كل صلاة في وقتها، فالله يقول لنا في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ (النساء: ١٠٣) أى أنها فريضة محددة بوقت ينبغي أن تؤدى فيه، فلا يصح للمسلم أن يترك أداءها في وقتها ما دام قادراً على ذلك، فإن اضطرت ظروف خارجة عن إرادته ألا يصليها في وقتها أو نسي أداءها في وقتها فعليه أن يصليها بمجرد أن يتذكرها، أو تزول الظروف التي اضطرت به إلى تأخيرها، وذلك قبل أداء الفرض التالى لها.

عمر: فإذا فاتته أكثر من وقت؟

الأب: عليه أن يصلى الصلاة الفائتة بترتيبها قبل الصلاة الوقت إلا إذا زادت الفوائت عن خمس فليس عليه أداؤها بالترتيب قبل صلاة الوقت، ويستحسن أن يصلى كل فرض منها مع الفرض المشابه له، فيصلى الظهر الفائت قبل الظهر الحالى، والعصر الفائت قبل العصر الحالى وهكذا، وهذه الصلاة تسمى قضاءً وأرجو ألا تلجؤوا إلى القضاء إلا للضرورة القصوى حتى لا يفوتكم ثواب أداء الصلاة في وقتها فهو عظيم كما أخبرنا الرسول ﷺ حينما سئل - أى الأعمال أفضل؟ فقال: "الصلاة على وقتها"^(١).

صلاة الجمعة

عمر: عرفنا أنه من الممكن أن نصلى صلاة الجمعة في البيت ولنا ثواب الجماعة، فهل يصح أن نصلى صلاة الجمعة أيضاً في البيت؟

(١) رواه الشيخان بسنديهما عن ابن مسعود .

الأب: لا، إن الجمعة أمرها مختلف تماماً، فالشرط الأول فيها اجتماع الناس للصلاة في المسجد، وقد اهتم الإسلام بشأن صلاتها، فدعا كل المسلمين أن يتركوا أعمالهم ويتوجهوا إلى صلاة الجمعة، وقد صدر الأمر الإلهي بذلك في سورة سميت سورة الجمعة، وقال الله تعالى فيها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الجمعة: ٩)، وقد كان البيع أهم شاغل يشغل الناس في ذلك الزمان.

عمر: هل لابد من الخطبة قبل الصلاة؟

الأب: الخطبة لابد منها فهي شرط لصحة صلاة الجمعة، وأنتم تعرفون أن صلاة الجمعة ركعتان فقط، وليست أربعاً، وذلك من أجل الخطبة.

عمر: لكن الإمام يخطب خطبتين.

الأب: نعم وهذه سنة الرسول ﷺ كان يخطب خطبة ثم يجلس قليلاً ثم يقوم ليخطب خطبة ثانية.

أحمد: إذا اضطررتني ظروفٌ لأن أذهب بعد انتهاء الخطبة هل تصح صلاتي؟

الأب: نعم تصح، ولكن لا ينبغي أن يكون هذا عادة لك، فإن ثوابك ينقص إذا حضرت متأخراً دون عذر، فقد بين الرسول الكريم ﷺ الثواب العظيم لمن يحضر المسجد مبكراً قبل وقت الجمعة، ويظل الثواب يتناقص حتى يقوم الخطيب لإلقاء الخطبة فلا يكون للذهاب بعد ذلك ثواب غير ثواب حضور الصلاة، وهناك أشياء ينبغي مراعاتها لمن يحضر صلاة الجمعة، منها: أن يغتسل - أى يستحم - ويتطيب

ويلبس أحسن ثيابه، أو على الأقل يلبس ثياباً نظيفة، فإذا دخل المسجد والإمام يخطب دخل في هدوء لا يكلم أحداً، ولا يصفح أحداً، وقد شدد الرسول ﷺ على التزام الهدوء في أثناء الخطبة حتى لقد قال: "إذا قلت لصاحبك والإمام يخطب: أنصت فقد لغوت"^(١)، واللغو أى كلام لا خير فيه وهو يؤدى إلى إبطال ثواب صلاة الجمعة.

أحمد: ومن حضر متأخراً بعدما أقيمت الصلاة ماذا يفعل؟

الأب: يدخل مع الإمام فى صلاته، فإذا حضر قبل ركوع الإمام الركعة الأولى فقد أدرك الجمعة كلها، وإذا حضر بعدما قام من ركوعه الأول تحتسب له ركعة ويصلى الركعة الثانية بعدما يسلم الإمام، لكن إذا حضر بعد انتهاء الإمام من ركوع الركعة الثانية فإنه يستمر مع الإمام حتى يسلم ثم يصلى أربع ركعات صلاة الظهر.

عمر: هل تجب صلاة الجمعة على كل المسلمين؟

الأب: لا، وإنما تجب على الرجال الذين وصلوا سن البلوغ وهو حوالى الثالثة عشرة فما فوقها، غير المسافرين والمرضى.

أحمد: معنى ذلك أن المرأة والصبي والمسافر والمريض لا يحضرون صلاة الجمعة، ولكننا نرى نساء يصلين الجمعة فى المسجد مع الرجال، وكذلك الصبيان ونرى مرضى يجلسون على كراسٍ يصلونها أيضاً.

الأب: هى ليست واجبة على هؤلاء جميعاً تخفيفاً من الله ورحمة وينوب عنها صلاة الظهر بالنسبة لهم، ولكن إذا حضروها صحت صلاتهم، ولهم ثوابها.

(١) رواه البخارى عن أبى هريرة.

عمر: اشرح لنا صلاة العيد يا أبى إذا سمحت.

الأب: بكل سرور ولكن فى الجلسة المقبلة إن شاء الله.

صلاة العيدين

وبدأت الجلسة بحديث الأب عن صلاة العيد.

الأب: للمسلمين عيدان هما: عيد الفطر الذى يبدأ عقب انتهاء صوم رمضان احتفالاً بتوفيق الله المسلمين لإتمام صومهم، وعيد الأضحى الذى يأتى فى العاشر من ذى الحجة عقب وقوف الحُجَّاج بعرفة وإتمامهم ركناً من أهم أركان الحج، فيشاركهم المسلمون جميعاً فى كل بقاع الأرض فرحتهم بإتمام الحج، فيذبحون الأضاحى يوم العيد ابتهاجاً بذلك، وأريدكم أن تلاحظوا أن الله سبحانه وتعالى يريدنا أن نتقرب إليه بالصلاة فى كل مناسبة، فى الفرح والحزن والخوف والرجاء، فشرع صلاة العيدين بداية لفرحة العيد، وشرع صلاة الجنازة توديعاً للميت كما شرع صلاة الكسوف والخسوف والاستسقاء كما سنعرف.

عمر: نلاحظ أن صلاة العيدين تختلف عن صلاة الجمعة فما الفرق بين الصلاتين؟

الأب: هناك فروق واضحة: فصلاة الجمعة فرض عين لا يجوز تركها إلا لضرورة، وصلاة العيدين سنة مؤكدة يجوز تركها ولكن يحرم التارك لها ثوابها، وصلاة الجمعة تأتى فى وقت فرض وهو الظهر وتنوب عنه، وصلاة العيد لها وقت مخصوص هو بعد شروق الشمس بثلاث ساعة على الأقل، ويؤذن لصلاة الجمعة، ولا يؤذن لصلاة العيد بل يقال: الصلاة جامعة، والخطبة فى صلاة الجمعة قبل الصلاة، ولكنها فى صلاة العيد بعد الصلاة، وكذلك تختلف صلاة العيد فى شكلها عن صلاة

الجمعة بعض الشيء هل تستطيع يا أحمد أن تصف لنا صلاة العيد؟

أحمد: يبدأ الإمام عقب تكبيرة الإحرام بالتكبير سبع مرات بصوت عال ويسكت بين كل تكبيرة وتكبيرة لحظة قصيرة، ثم يقرأ الفاتحة وسورة ويتم الركعة بالطريقة العادية، وفي بداية الركعة الثانية يكبر قبل القراءة خمس تكبيرات غير تكبيرة القيام بنفس الطريقة ثم يتم الركعة الثانية ويتشهد ويسلم، ومع كل تكبير يرفع يديه ويفعل المصلون مثله.

الأب: حسن.. وهناك فروق أخرى بين صلاة الجمعة وصلاة العيد منها: أن صلاة العيد يستحب أن تصلى في الخلاء خارج المدن إذا أمكن ذلك، ويمكن صلاة العيد في المنزل جماعة أو على انفراد ولكن الأفضل حضور الجماعة، ومنها أنه يستحب في صلاة العيد أن يحضرها النساء والأطفال ولو لم يصلوا، لأن المقصود إظهار البهجة والسرور في هذا اليوم.

زينب: أنا أسمع المصلين يكبرون كثيراً بصوت عال في الشوارع وهم ذاهبون إلى الصلاة.

الأب: نعم، التكبير سنة في العيدين، ولكن يختلف الأمر في عيد الفطر عنه في عيد الأضحى، ففي عيد الفطر يُسن التكبير من وقت الخروج للصلاة حتى بداية الصلاة، ولكن في عيد الأضحى يُسن للمصلي أن يبدأ التكبير من فجر يوم عرفة أى اليوم التاسع من ذى الحجة، ويظل يكبر حتى عصر اليوم الثالث عشر من ذى الحجة أى رابع أيام العيد، ويكون التكبير عقب الصلوات الخمس فقط.

عمر: وما صيغة التكبير؟

الأب: صيغة التكبير المأثورة عن الرسول ﷺ هي: الله أكبر.. الله أكبر.. لا إله إلا الله.. والله أكبر الله أكبر والله الحمد، ويمكن أن يزيد المصلون عن ذلك كما تسمعون في المساجد.

أحمد: كثير من المصلين ينصرفون بعد الصلاة ولا يسمعون الخطبة فهل تصح صلاتهم؟
الأب: نعم تصح، ولكن الأفضل أن يبقوا حتى يسمعون الخطبة، وهذا لن يؤخرهم كثيراً فما هي إلا دقائق.

أحمد: بعض الخطباء يطيلون الخطبة.

الأب: هذا خطأ، فينبغي أن تكون الخطبة موجزة تتضمن وعظ المسلمين بتقوى الله، وحثهم على عمل ما يصلح أحوالهم في الدنيا والآخرة بإيجاز وتركيز.

صلاة المسافر

أحمد: حضرتك ذكرت أن المسافر يعفى من صلاة الجمعة، وكذلك المريض فما السر في ذلك؟

الأب: السر في ذلك أن المسافر ظروفه غير مستقرة، فهو بعيد عن بلده وله احتياجات قد تؤثر فيها صلاة الجمعة، فمن يسر الإسلام أنه خفف عن المسافر الصلاة، فبالإضافة إلى إعفائه من صلاة الجمعة ويصلي الظهر بدلاً من منها جعل الله الصلاة الرباعية وهي الظهر والعصر والعشاء ركعتين فقط أى على النصف من صلاة غير المسافر.

زينب: والمغرب والفجر.

الأب: تبقيان كما هما، لأن المغرب ثلاث ركعات فهو خفيف، والفجر ركعتان فهو أخف منه فلا يحتاجان إلى تخفيف، وتخفيف الصلاة هكذا يسمى قصراً.

أحمد: هل يجوز لكل مسافر أن يقصر الصلاة، حتى لو كانت مسافة قصيرة قريبة كأن يكون مسافراً إلى قليوب أو بنها مثلاً.

الأب: اشترط معظم الفقهاء ألا يقل السفر عن ٨٥ كم أى مثل المسافة بين القاهرة وطنطا، وهذا شيء طبعى؛ لأن السفر القريب ليس فيه مشقة تستوجب التخفيف.

عمر: وعندما يصل إلى البلد الذى يقصده هل يصلى الصلاة دون قصر؟

الأب: إذا كان سيقم خمسة عشر يوماً أو أكثر لا يقصر، وأما إذا كان سيقم أقل من ذلك، أو لا يعرف متى يسافر يظل يقصر الصلاة حتى يعود إلى بلده.

أحمد: إذا صلى المسافر فى جماعة فى صلاة رباعية كالظهر مثلاً، فماذا يفعل؟

الأب: إذا كان المسافر إماماً يخبر المأمومين أنه سيصلى قصراً وأن عليهم أن يتموا الصلاة الرباعية بعد أن يسلم، أما إذا كان مأموماً فعليه أن يصلى أربعاً ويسلم مع الإمام، وهناك تخفيف آخر للمسافر، فيجوز له الجمع بين صلاتى الظهر والعصر تقديماً، فيصلى الظهر مع العصر فى وقت الظهر، أو تأخيراً فيصلى الظهر فى وقت العصر، وكذلك المغرب مع العشاء.

عمر: بقيت صلاة المريض.

الأب: نؤجلها إلى الجلسة المقبلة إن شاء الله، ويكفيننا هذا الليلة.

صلاة المريض

أقبل الأب فحيا أسرته، وجلس بينهم فترة يحادثهم ثم قال لعمر:

الأب: ما الذى كنت تريده منى فى الجلسة الماضية يا عمر؟

عمر: أن تحدثنا عن صلاة المريض؟

الأب: حسن يا عمر.. الإسلام - كما عرفنا - دين يسر وقد قال الله تعالى:

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة: ١٨٥) من أجل هذا

يراعى الإسلام حالة الإنسان فلا يكلفه عملاً يرهقه، فإذا كان مريضاً والقيام يرهقه يصلى قاعداً، وإذا أعبه الجلوس يصلى بالطريقة التى تريحه حتى لو صلى وهو راقداً.

زينب: كيف يصلى وهو راقداً؟

الأب: يرقد على ظهره أو على الجنب الذى يريحه فى اتجاه القبلة، ويقرأ إذا استطاع

الفاتحة والسورة، وعند الركوع يخفض رأسه قليلاً وعند السجود يخفضها بدرجة أكثر، ويسمى هذا إيماء، وهكذا حتى ينتهى من صلاته.

الأم: لاحظتم يا أولادى مدى حرص الإسلام على أداء الصلاة، فهو لا يعفى

المسلم من أدائها مادام فيه نفس يتردد، ومادام عاقلاً للصلاة، ولكنه فى الوقت نفسه لا يطلب منه ما يتعبه.

عمر: إننى أرى عند صلاتى فى المسجد رجالاً يصلون وهم جلوس على الكراسى.

الأب: ذلك لأنهم لا يستطيعون الصلاة بالطريقة العادية، فالإسلام يبيح لهم

ذلك، فالإسلام حريص كما قالت أمكم على أن يؤدى المسلم صلاته، ولا يتركها أبداً

مهما كانت الظروف، لأن الصلاة هي أهم صلة بين العبد وربّه، فهو حينما يدخل في صلاته يصبح في حضرة الله يناجيه ويكلمه، والله لا يحب أن تنقطع صلة العبد به.

صلاة الكسوف والخسوف

أحمد: حضرتك حدثتنا عن أن المسلم يتقرب إلى الله بالصلاة في كل أوقاته وخصوصاً في أوقات الخوف أو الرجاء كما في صلاة الكسوف والخسوف والاستسقاء، فنرجو أن تحدثنا عن هذه الصلوات.

الأب: أنتم تعرفون ظاهرتي كسوف الشمس وخسوف القمر، والإسلام يطلب من المسلمين الصلاة في هذين الوقتين تضرعاً إلى الله القادر على كل شيء، ومن مظاهر قدرته ما يحدث أمامهم للشمس والقمر.

أحمد: ولكن يا أبى هاتان ظاهرتان طبيعيتان يحدثان في مواعيد محددة يحددها الفلكيون قبل موعد حدوثهما بشهور وربما بسنين، ولا خوف منهما ولا ضرر.

الأب: نعم يا بنى، ومعرفتنا بذلك حديثة بفضل ما أتاه الله للبشرية من تقدم علمي، ولكن هاتان الظاهرتان كانتا تحدثان عند القدماء رعباً وفرعاً، فقد كانوا يخشون أن يكون هذا نذيراً بفناء العالم، فجاء الإسلام ليطمئن الناس فأمرهم بالصلاة عند حدوثهما، وهذا يطمئنهم من ناحية، ويزيد صلتهم بالله من ناحية أخرى، فهم يرجعون كل أمر إليه، وإذا كان تالقدماء يصلون في هذا الوقت تضرعاً إلى الله أن يلفظ بهم، ويعيد الأمور إلى نصابها، فنحن نصلي اليوم بعدما عرفنا سرهما أولاً: اقتداء برسولنا العظيم ﷺ، ثانياً: تعبيراً عن إقرارنا وتسليمنا بقدرته الله وهيمنته على كل ظواهر الكون.

الأم: لقد تذكرت أمراً متصلاً بالكسوف يبين مدى عظمة رسولنا الكريم ﷺ، وصدق رسالته، لقد كسفت الشمس يوم موت ابنه الحبيب إبراهيم، فقال الصحابة: لقد كسفت الشمس من أجل موت إبراهيم، فلو أن رسولنا العظيم كان مدعياً وانتهازياً لأيدهم في قولهم هذا، أو على الأقل كان سكت وتركهم يظنون هذا الظن، ولكنه لأنه صادق وعظيم سارع بتكذيب هذا الظن، وقال لهم: "إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفن لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فادعوا وصلوا وكبروا وتصدقوا"^(١) فما أعظمه ﷺ.

الأب: لقد ذكرني قولك هذا موقفاً آخر من مواقف الرسول ﷺ ملأ قلبي إعجاباً بعظمته وصدق نبوته، فاسمحوا لي أن أذكره لكم وإن كان خارج موضوعنا.. إنه موقف بسيط ولكنه عظيم الدلالة، لقد كانت ابنته فاطمة زوجة ابن أخيه على رضى الله عنهما تعيش حياة خشة تقوم فيها بالخدمة الشاقة في بيتها من غسل وطحن وخبز وغير ذلك من أعمال المنزل، لأنها وزوجها لا يمكنهما شراء جارية تساعد في أعمال البيت، فسمعت أن المسلمين في إحدى غزواتهم أحضروا بعض الأسرى، وفي نظام الحروب القديمة كان الأسرى يصبحون عبيداً، فذهبت إلى أبيها ليعطيها عبداً أو جارية فلم تجده، فأوصت السيدة عائشة بذلك، ولما علم النبي العظيم الأب بحاجة ابنته.. فماذا تصورون ما فعله.

أحمد: لا بد أنه أرسل إليها ما تريد بل أكثر مما تريد.

الأب: لو فعل ذلك ما احتجت إلى أن أذكر لكم هذا الموقف، فهو موقف طبيعي

(١) رواه البخارى عن ابن عمر.

من ملك أو أمير نحو ابنته الحبيبة، ولكنه رسول عظيم.. لقد ذهب إليها وكان معها زوجها فقال لهما: "ألا أعلمكما خيراً مما سألتماي إذا أخذتما مضاجعكم (أي إذا ذهبتما إلى النوم) تكبران أربعاً وثلاثين، وتسبحان ثلاثاً وثلاثين، وتحمدان ثلاثاً وثلاثين، فهو خير لكم من خادم" ^(١) وتركهما وانصرف، فكروا وقارنوا.

الأم: هذه هي العظمة الحقيقة.

زينب: ولماذا لم يعط ابنته ما طلبت ما دام عنده؟

الأب: لأنه وجد غيرها من المسلمين أحوج إلى هذا العبد.

نعود إلى موضوعنا وهو صلاة الكسوف أو الخسوف، هي سنة عن الرسول ﷺ، فقد كان يدعو المسلمين عندما تحدث إحدى هاتين الظاهرتين إلى الصلاة في جماعة، فيصلى بهما ركعتين يساويان أربع ركعات.

أحمد: ما معنى أنها يساويان أربع ركعات؟

الأب: لأن كل ركعة تشتمل على ركوعين، يقرأ قبل الركوع الأول الفاتحة وسورة، وعندما يرفع من الركوع لا يسجد بل يقرأ الفاتحة وسورة ثم يركع ركوعاً ثانياً ثم يسجد، ويفعل في الركعة الثانية مثل ذلك.

صلاة الاستسقاء

عمر: ذكرت حضرتك صلاة تسمى صلاة الاستسقاء، فمتى تكون، وكيف تكون؟

الأب: الاستسقاء معناه طلب نزول المطر، وأنتم تعرفون أن في المطر حياة

(١) متفق عليه (أى رواه البخارى ومسلم).

الإنسان والحيوان والزرع، وأن كل بلاد العالم في حاجة إلى المطر حتى البلاد التي بها أنهار تحتاج أيضاً إلى المطر، لأن المطر هو الذى يملأ الأنهار، وإذا تأخر نزول المطر فترة طويلة حدث الجذب والقحط فأرشد الرسول ﷺ المسلمين أن يلجؤوا إلى الله داعين أن ينزل عليهم المطر وبعد الصلاة يخطب الإمام خطبة يستغفر الله فيها ويدعوه أن ينزل المطر، وأكرر لكم يا أولادى كى لا تنسوا أن الله يريد منا أن نكون على صلة دائمة به، نذكره في جميع الأوقات، وخصوصاً أوقات الشدة.

عمر: أظن أننا قد عرفنا الآن جميع أنواع الصلاة.

صلاة الجنازة

الأب: بقيت صلاة الجنازة التي يودع بها المسلمون موتاهم.

أحمد: صلاة الجنازة تختلف عن الصلاة العادية.

الأب: نعم، فليس فيها ركوع أو سجود، وإنما يقف المصلون خلف الإمام الذى يضع النعش أمامه ثم يكبر رافعاً يديه ناوياً في قلبه الصلاة على الميت، ويكبر المصلمون خلفه رافعى أيديهم، ثم يقرءون جميعاً في السر الفاتحة، ثم يكبر الإمام ويكبر خلفه المصلون سرّاً دون رفع أيديهم، ويصلون على النبي ﷺ وصيغة الصلاة هي الصلاة التي تلى التشهد، ثم يكبرون الثالثة ويدعون للميت، ثم يكبرون الرابعة ويدعون لأنفسهم وللمسلمين، ثم يسلم الإمام وبعده المصلون وهكذا نكون أيها الأولاد الأعزة قد انتهينا من الركن الثانى من أركان الإسلام الخمسة، وفي الجلسة المقبلة إن شاء الله نتناول الركن الثالث.

الزكاة

وبدا الأب الجلسة المعهودة في أسرته، وبادلهم بعض الحديث الخفيف ثم قال:

الأب: لقد أتممتنا الحديث عن الركن الثاني وهو الصلاة، وسنتحدث اليوم عن الركن الثالث.. ما هو يا زينب؟

زينب: إيتاء الزكاة.

الأب: ما معنى إيتاء الزكاة يا عمر؟

عمر: إعطاؤها لمستحقيها من الفقراء.

الأب: أحسبتم وأحب أن تعرفوا أن إعطاء الزكاة لمستحقيها ركن هام من أركان الإسلام لا يقل أهمية عن إقامة الصلاة، ولذلك قرنها الله في آيات كثيرة جداً بالصلاة فيقول تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ (من أمثلة ذلك سورة البقرة: ٤٣، ٨٣) عدة مرات، وكذلك يقول: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ (التوبة: ٥، ١٢) عدة مرات، وكذلك يقول: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ (المائدة: ٥٥ والنمل: ٣) إلى غير ذلك من التعبيرات القرآنية التي تقرن الصلاة بالزكاة.

الأم: ولا تنسوا الموقف التاريخي الذي وقفه سيدنا أبوبكر **E** من مانعي الزكاة بعد وفاة الرسول ﷺ، فقد أصرَّ على قتالهم حتى يؤتوا الزكاة، وقال: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، لأن الذين امتنعوا عن الزكاة ظلوا على إسلامهم فكانوا يصلون ولكنهم رفضوا إخراج الزكاة، لأنهم اعتبروها - خطأ - جزية، وقد نجح

سيدنا أبوبكر في ردهم إلى الصواب.

الأب: وأحب أن أنبهكم إلى أن معنى الزكاة في اللغة هو التطهير والنماء وهذا يطمئن الغنى، لأنه يعرف أن ماله الذي دفعه زكاة سيظهر بقية المال ويزيد منه بما يجعله الله فيه من بركة نتيجة إخراج الزكاة، وقد صرح الله بهذين المعنيين في قوله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ (التوبة: ١٠٣).

أحمد: ما الفرق بين الزكاة والصدقة؟

الأب: هما بمعنى واحد في الاستعمال القرآني، ولكن في اصطلاح الفقهاء الزكاة هي الفريضة والصدقة هي التطوع.

عمر: هل الزكاة فرض على كل مسلم كالصلاة؟

الأب: الإسلام دين عملي واقعي لا يمكن أن يفرض الزكاة على كل مسلم، بل على الغنى فقط، والحد الأدنى للغنى الذي يطالبه الإسلام بالزكاة هو أن يمتلك مبلغاً من المال يساوي خمسة وثمانية جراماً ذهباً، أى ما يساوى في أيامنا هذه حوالى ألفين وخمسمائة جنيه - وهذا المبلغ يسمى نصاباً - ويشترط أن يكون هذا المبلغ فائضاً عن حاجاته الأساسية، وأن يمر عليه حول أى سنة كاملة من يوم امتلاكه، فإذا امتلك هذا المبلغ في شهر رجب مثلاً، وبقي عنده حتى حل شهر رجب التالى وجبت عليه زكاته، وخدوا بالكم الحول يحسب بالشهور الهجرية، وليس بالشهور الميلادية.

عمر: ما المقدار الذى يجب أن يدفعه من عنده هذا المبلغ أو أكثر منه؟

الأب: مبلغ بسيط جداً وهو $\frac{1}{40}$ من ماله أو كما نقول الآن ٥, ٢٪ فإذا كان عنده مبلغ ثلاثة آلاف جنيه فزكاته خمسة وسبعون جنيهاً، أى أن كل ألف يدفع عنها خمسة وعشرين جنيهاً.. كثير هذا؟

أحمد: لا، ولكنه قد يصل إلى ملايين عند كبار الأغنياء.

الأب: ولكنه يظل بسيطاً بالنسبة لمن يملكون مئات الملايين، فإذا قلت لك إن أحد الأغنياء دفع زكاة ماله خمسة وعشرين مليون جنيه، فكم تبلغ ثروته؟
أحمد: تبلغ ألف مليون جنيه أى ملياراً.

الأب: فهل الخمسة والعشرون مليون جنيه كثيرة لمن عنده ألف مليون، إنه لا يحس بخروجها، ولا تؤثر في ماله، ولكنها ستنفع آلاف الأسر الفقيرة.

زينب: ماما عندها مصوغات ذهبية، هل تدفع عليها زكاة؟

الأم: نعم، أنا أدفع عنها زكاة لأنها أكثر من النصاب.

الأب: هناك خلاف بين علماء الفقه في دفع زكاة حلي المرأة - أى مصاغها كما نقول - فبعضهم يرى أنه من لوازمها فلا زكاة عليه، وبعضهم يرى أن عليها أن تزكى عنه، وفي رأيي أنه لا زكاة في حلي المرأة إلا إذا كثر كثره غير عادية بالنسبة لزينتها، وكان الهدف منه الادخار.

الأم: ليس عندي ذهب يزيد على النصاب كثيراً ولكنى أزكى عنه احتياطاً.

الأب: وهذا أسلم.

أحمد: وهل على الفلاح زكاة عن محصول أرضه وهل على التاجر زكاة في تجارته؟

الأب: نعم، وستكلم عن هذا في الجلسة المقبلة إن شاء الله.

زكاة التجارة

وفي الجلسة التالية كرر أحمد سؤاله عن زكاة التجارة، فقال:

أحمد: هل يجب على التاجر زكاة على ماله كله الذى يتاجر فيه؟ أو يحسب الزكاة

على الربح فقط؟

الأب: تحسب زكاة التجارة على المال كله الذي يتاجر فيه، إذا كان مملوكاً له، فالتاجر عندما يبدأ تجارته يحسب رأس المال، فإذا كان يبلغ رأس ماله نصاباً أى مبلغاً من المال يساوى قيمة خمسة وثمانين جراماً من الذهب أو أكثر فإذا حال على تجارته حول هجرى يحصى رأسه، فإذا ظل نصاباً أو أكثر زكى عنه كله.

مثلاً إذا بدأ تجارته بعشرين ألف جنيه في شهر شوال، وفي شهر شوال من العام التالى وجد تجارته بلغت خمسة وعشرين ألفاً يزكى عن الخمسة والعشرين كلها، فيدفع عنها ستمائة وخمسة وعشرين جنيهاً.. وهكذا في كل عام.

زكاة الزروع والثمار

أحمد: وهل على الفلاح زكاة في محصول أرضه؟ وكيف يخرج الزكاة؟

الأب: زكاة الزروع والثمار تختلف عن زكاة النقود، وعن زكاة التجارة، وذلك أنها تجب على صاحب الأرض عند حصاد زرعه أو ثمره، ولا ينتظر حتى يحول الحول، فإذا بلغ محصوله نصاباً، والنصاب في الزرع حوالى نصف طن أو أكثر قليلاً، وكانت الأرض تنبت الزرع أو الثمر دون أى جهد من الزارع فهى تسقى بماء المطر ولا يستخدم آلات لريها فعليه أن يخرج من محصوله عُشْر ما أخرجته الأرض من زرع أو ثمر، أما إذا كانت تروى بالآلات أو يستخدم في زراعتها آلات، فزكاتها نصف العشر فقط أى خمسة فى المائة.

زكاة الحيوان

أحمد: نعرف أن معظم أموال المسلمين الأولين كانت الماشية من إبل وبقر وغنم، فكيف كانوا يدفعون زكاتها.

الأب: كانوا يخرجون زكاتها ماشية أيضاً، فإذا كان عند رجل أربعون رأساً من الغنم يدفع عنها خروفاً أو نعجة، كل سنة وأقل من ذلك لا يدفع عنها شيئاً ولكل نوع من الماشية نصاب معين، وزكاته محددة، وتفصيل هذا تجدونه في كتب الفقه، ولا حاجة لنا بذكره، لأنه من النادر أن تجد غنياً الآن في بلادنا ثروته من الماشية.

زينب: ما معنى الفقه يا أبي؟

الأب: المراد بالفقه هو العلم الذي يتناول أحكام الشريعة الإسلامية في العبادات والمعاملات وغير ذلك، وهناك كتب كثيرة تتناول هذه التشريعات وتتنوع طبقاً للمذاهب الفقهية التي حدثكم عنها فهناك كتب الفقه الحنفى وكتب الفقه المالكي، والفقه الشافعي، والفقه الحنبلي، والاختلافات بينها ليست كثيرة، وهى فى المسائل الفرعية وليست المسائل الأساسية، وبعض هذه الكتب ضخمة يقع فى ألف صفحة أو أكثر.

زينب: ياه - ومن يقرأ كل هذا؟

الأب: يقرؤه المتخصصون، ويرجع إليه من يريد من علماء الدين فى الموضوع الذى يهمهم.

مصارف الزكاة

عمر: ومن الذى يستحق أن تدفع إليه الزكاة؟

الأب: لقد حدد الله ثمانية أصناف تدفع إليهم الزكاة، وسأقرأ لكم الآية التى تحدد هذه الأصناف، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهِمُ وَالْمَوْلَةَ فَلُوهُمُ فِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٦٠).

أما الصنفان الأولان وهما الفقراء والمساكين فيجمعهما معنى واحد هو الاحتياج، وقد يكون بعضهما أحوج من بعض، وأما الصنف الثالث وهو العاملون عليها فالمقصود به العاملون الذين كانوا يقومون بجمع الزكاة، وذلك لأن معظم الأموال في بلاد العرب كانت الإبل والبقر والغنم، فكان يعين عامل مهمته أن يحصى هذه الأموال، ويذهب لأخذها عندما يحول الحول، ولكن الآن لم يعد هناك عاملون لهذا الغرض لسببين: السبب الأول: أن الحكومات في البلاد الإسلامية أصبحت لا تتدخل في مسألة الزكاة، وتركها لضمير المسلم، والسبب الآخر: أن الأموال لم تعد حيوانات ظاهرة للعيان، وإنما أصبحت نقوداً.

أحمد: إذن يلغى هذا البند من مصارف الزكاة.

الأب: يلغى مؤقتاً إلى أن توجد حكومات إسلامية تحرص على جمع الزكاة كما تحرص على جمع الضرائب، وأما المصرف الثالث فهو المؤلفة قلوبهم.

عمر: ما معنى المؤلفة قلوبهم؟

الأب: هم قوم من الشخصيات الهامة في قبائلهم في زمن الرسول ﷺ ولم يكن الإيمان دخل قلوبهم، فكان الرسول ﷺ يعطيهم نصيباً من الزكاة ليحبب إليهم الإيمان فينشروه في قبائلهم، وقد ألغى سيدنا عمر هذا البند وقال لهؤلاء الأشخاص عندما جاءوا يطلبون الزكاة كما كانوا يفعلون في عهد الرسول ﷺ وعهد سيدنا أبي بكر **ع**: لقد أغنى الله الإسلام عن أمثالكم، ولم يعد في حاجة إليكم.

عمر: وهل هم كانوا فقراء؟

الأب: لا، ولو كانوا فقراء لأعطاهم سيدنا عمر **ع** من بند الفقراء، ولكنهم كانوا أغنياء ومن عهد سيدنا عمر توقف هذا المصرف.

الأم: لقد قرأت رأياً أعجبني لبعض المعاصرين يرى أن يعود مصرف المؤلفة قلوبهم وينفق من حصيلته على نشر الدعوة الإسلامية وجذب أتباع للإسلام ولا سيما من ذوى الديانات غير السماوية كما يفعل المبشرون المسيحيون فهم ينفقون أموالاً طائلة لإدخال هؤلاء في الديانة المسيحية.

الأب: هذا رأى وجيه ولا مانع من توجيه جزء من الزكاة في هذا السبيل. والمصرف الخامس وهو "في الرقاب" فالمقصود به مساعدة الرقيق أى العبيد والجواري الذين كانوا يريدون التحرر من الرق في نظير دفع مال لأسيادهم الذين يملكونهم فجعل الله لهم نصيباً في الزكاة، وقد ألغى هذا المصرف أيضاً لإلغاء الرق.

أحمد: ولماذا لم يبلغ الإسلام الرق كما حرم شرب الخمر؟

الأب: لم يكن ممكناً إلغاء الرق في بداية الإسلام، لأن العبيد في شتى أنحاء العالم كانوا عماد الاقتصاد، فقد كانوا يشتغلون في المزارع، وكانوا اليد العاملة في كل مجالات الحياة المعروفة في العصور القديمة، وإلغاء الرق عند بدء الإسلام كان سيؤدى إلى ثورة عارمة، ويمنع معظم الناس من دخول الإسلام، فأبقاه الإسلام ولكنه حث المسلمين على تحرير العبيد، وجعل تحريرهم كفارة عن كثير من المعاصي.

وأما المصرف السادس وهو "الغارمون" فالمراد بهم الذين ركبتهم الديون، وأصبحوا عاجزين عن سدادها، وكانت هذه الديون نتيجة لأعمال مشروعة كأن يبدأ أحد الناس مشروعاً من المشروعات فلا يوفق فيه، ويقترض كثيراً من المال، ثم لا يقدر على سدادها، فمثل هذا يُعطى جزءاً من مال الزكاة.

والمصرف السابع "في سبيل الله" ويشمل هذا المصرف كل إنفاق يؤدى إلى إعلاء شأن الإسلام وعلى رأس هذا الإنفاق مساعدة المجاهدين ضد الاحتلال الأجنبي

مثل المجاهدين الفلسطينيين ضد الاحتلال الإسرائيلي والمجاهدين المسلمين في كشمير والفليين وغيرها من بقاع العالم التي يُضطهد فيها المسلمون، ومثل نشر التعليم بين أبناء المسلمين وغير ذلك من وجوه الإنفاق.

والمصرف الأخير هو "ابن السبيل" وهو المسافر الذي انقطع عن أهله وليس معه نقود تكفي احتياجاته.

عمر: أنا أقابل بعض هؤلاء أحياناً، وأسمعهم يقولون: حضرت من الصعيد وضاعت محفظتي ولا أجد ثمن تذكرة القطار.

الأب: هذا يعتبر ابن سبيل إذا كان صادقاً، ولكن - للأسف - بعضهم يدعى ذلك للاستيلاء على المال، ويتخذ ذلك حرفة، ولذلك ينبغي أن تقوم جمعيات خيرية لجمع الزكاة، وصرفها في مصارفها الصحيحة بعد التأكد من حقيقة المحتاجين.

الأم: يا سلام، لو أدى الأغنياء الزكاة كما أمرهم الله، ولم ييخل أحد بما أعطاه الله ما كان بين المسلمين الآن فقير.

الأب: لقد حدث في عهد عمر بن عبدالعزيز الخليفة الأموي أن بعض الولايات الإسلامية كان الحاكم لا يجد بها مصارف للزكاة، لأن الناس لم يعودوا محتاجين، فكان يردّها إلى بيت المال لتتفق عند الحاجة، وذلك بسبب عدل الحاكم وزهده وحزمه في تطبيق القوانين الإسلامية.

أحمد: لقد قرأت أن الدول النفطية عليها أن تخرج من عائدات النفط عشرين في المائة، لأن النفط ركاز، فما معنى ركاز.

الأب: الركاز هو المال أو المعادن التي يُعثر عليها مدفونة في باطن الأرض ويدخل فيها النفط والمعادن المختلفة من ذهب أو فضة أو حديد ولذلك تفصيلات لا محل لها

هنا.. المهم أن الإسلام يعتبر أن للفقراء حقاً في أموال المسلمين لا بد أن يُدفع إليهم، يقول تعالى: ﴿ **وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ** ﴾ (الذاريات: ١٩) فالله قد اعتبر ما يعطيه الغنى للفقير حقاً له واجباً، وليس منة من أحد، وذلك لصون كرامة الفقير من ناحية، ولحث الغنى على المبادرة إلى إخراج زكاته من ناحية أخرى.

عمر: هل هناك صدقة أخرى واجبة غير الزكاة؟

الأب: نعم، زكاة الفطر أو صدقة الفطر.

عمر: متى تخرج هذه الزكاة؟ وما مقدارها؟

الأب: يجب إخراجها قبل صلاة عيد الفطر بيوم أو أكثر، لأنها صدقة متصلة بصوم رمضان، ولا يُثاب الصائم على صيامه ثواباً كاملاً إلا إذا أخرج هذه الصدقة، ويخرجها رب الأسرة عن جميع أفراد الأسرة الذين يعولهم صغاراً أو كباراً.

عمر: وما مقدار هذه الصدقة؟

الأب: كان المجتمع في الماضي بسيطاً، وكان الفقير يحتاج إلى طعام يأكله، فكان الإسلام ييسر له هذا الأمر، فيأمر المزيكين أن يعطوا المحتاجين من الطعام الشائع في البلد قمحاً أو ذرة أو أرزاً أو تمرّاً أو زبيباً أو غير ذلك، وكانت هذه الحبوب كلها تكال بمكيال عندهم يسمى صاعاً، فكان الواجب إخراج صاعاً أو نصف صاع على حسب نوع الطعام، ولكن الآن ألغيت هذه المكيال فيمكن تقدير هذه الأنواع بالوزن، ولكن الشائع الآن إخراج القيمة نقداً، فهو أنفع للفقير وهذه القيمة تختلف من وقت إلى آخر بحسب الغلاء أو الرخص وتقدر في وقتنا بحوالى خمسة جنيهاً.

أحمد: سمعت خطيب المسجد في رمضان الماضي يقول: إن هذه الزكاة واجبة على كل الناس حتى الفقراء منهم إذا كان لديهم ما يفيض عن قوت يومهم.

الأب: هذا رأى بعض الفقهاء، ويرى آخرون أنها تجب على من تجب عليه زكاة المال: أى أن يكون مالاً للنصاب، والرأى المعقول أنها تجب على كل من لديه مال زاد عن حاجته الأساسية حتى لو حصل عليها عن طريق ما أخذه من الزكاة فهناك فقراء تتاح لهم فرص أكثر في الحصول على الصدقة، وهناك من لم يتيسر له ذلك.

عمر: هل هناك صدقات أخرى غير زكاة المال وزكاة الفطر؟

الأب: نعم.. فالإسلام يحرص على توفير احتياجات الفقير فجعل التكفير عن بعض المعاصي في صورة مال يُعطى للفقراء مثل كفارة اليمين، فالذى يقسم على أن يفعل شيئاً ثم لا يفعله فقد عصى الله، وكفارة ذلك أن يطعم عشرة مساكين أو يكسوهم، وهناك كفارات أخرى فيها إطعام للفقراء ليس مجال ذكرها الآن ثم هناك صدقة التطوع.

زينب: ما هى صدقة التطوع؟

الأب: هى كل صدقة يتصدق بها الإنسان غير الزكاة أو صدقة الفطر أو الكفارات، وقد حث القرآن المسلمين كثيراً على التصديق، ووعدهم بأنه سيضاعف لهم ثواب هذه الصدقة أضعافاً كثيرة، وتأملوا معي هذا المثل القرآن الرائع.. يقول تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦١) فانظروا إلى مدى الثواب الذى يحصل عليه المتصدق.. إنه يصل إلى سبعمائة ضعف وربما أكثر، وقد سمى الله الصدقة فى آيات كثيرة قرضاً حسناً، وأن الذى يقترضه هو الله.. وأنتم تعرفون أن القرض واجب السداد فما بالكم والمقترض هو الله.. يقول الله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ (البقرة: ٢٤٥)

والرسول ﷺ يدعو بإلحاح إلى التصديق مهما كانت الصدقة قليلة، إنها تنجيه من النار، فيقول: "اتقوا النار ولو بشق تمرة"، تصوروا نصف تمرة تنجى صاحبها من النار، ولكن ينبغي أن تفهموا أن المراد بهذا المثل هو الحث على الصدقة مهما كانت قليلة، فالغنى إذا تصدق بنصف تمرة لن ينفعه ذلك، ولكن الذى لا يجد إلا تمرة لو تصدق بنصفها فأجره كبير، وهناك أحاديث كثيرة تحث على الصدقة.

وهكذا نكون قد أتممنا الكلام عن الركن الثالث، وإلى الجلسة المقبلة إن شاء الله.

صوم رمضان

وبدأت الجلسة الدينية الأسرية المحببة إلى قلوب هذه الأسرة الفاضلة، قال الأب بعد أن حيا أسرته:

الأب: سنتحدث اليوم عن الركن الرابع من أركان الإسلام.. ترى ما هو يا عمر؟
عمر: صوم رمضان.

الأب: أحسنت يا عمر، وما هي الأركان الثلاثة السابقة يا زينب؟
زينب: شهادتنا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة.
الأب: أحسنت يا زينب.. فصوم رمضان إذن ركن أساسي من أركان الإسلام لا يتم إسلام المسلم إلا بأدائه.

عمر: ولماذا اختار الله شهر رمضان ليصوم المسلمون فيه؟
الأب: لقد حدثنا الله في قرآنه الكريم عن سر اختيار شهر رمضان للصوم في قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ (البقرة: ١٨٥) فقد اختاره الله تكريماً له، لأنه الشهر الذي أنزل فيه القرآن الذي جعله الله هداية للناس، ومبيناً لتعاليم دينهم، من أجل ذلك فضله الله على سائر الشهور، واختصه بأشياء لا توجد في غيره، فقد قال رسول الله ﷺ - عندما دخل شهر رمضان: "قد حضركم شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه، فيه تُفتح أبواب الجنة، وتُغلق فيه أبواب الجحيم، وتُغْلَقُ فيه الشياطين فيه ليلة خير من

ألف شهر^(١).

عمر: ولماذا تفتح أبواب الجنة؟ هل سيدخلها الناس في رمضان؟

الأب: ليس الأمر كذلك، وإنما هو تكريم لهذا الشهر، وحث للناس على الصيام وعمل الخير، فالجنة قد استعدت وفتحت أبوابها إعلماً للناس بأن الطريق إليها هو صوم هذا الشهر المبارك، وأما الجحيم فقد أغلقت أبوابها، لأنها مصدر العذاب، وشهر رمضان هو مصدر الرحمة.

أحمد: وما معنى تغل الشياطين؟

الأب: تقيّد بالأغلال، والأغلال جمع غُلّ وهو السلسلة التي تُربط في العنق.

أحمد: معنى ذلك أن الشياطين تحجب عن الناس وبالتالي يتوقف الشر في رمضان مع أن الواقع غير ذلك.

الأب: هو معنى رمزي أيضاً يبين أن الشياطين في رمضان لن يكون الأمر سهلاً بالنسبة إليهم في إغواء المسلمين، لأنهم سيقاومون إغواءهم بشدة بسبب صيامهم، فكأن الشياطين في هذا الشهر تصبح عاجزة كأنها مقيدة بالأغلال، وأظنكم تلاحظون أن بعض المسلمين الذين يكثر شرهم في سائر شهور السنة يتعدون بعض الشيء عن ممارسة شرهم احتراماً لشهر الصوم.

أحمد: وليلة القدر هل هي خاصة بشهر رمضان ولا تكون في غيره؟

الأب: نعم.. وهذا واضح من الحديث الشريف السابق، وقد أشار القرآن إلى ذلك فقد قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ (البقرة: ١٨٥) ثم

(١) رواه أحمد عن أبي هريرة.

قال في سورة أخرى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر: ١).

عمر: في أى ليلة من رمضان تكون ليلة القدر؟

الأب: يقول رسولنا الكريم: "التمسوها في وتر العشر الأواخر من رمضان"^(١)، والوتر هو العدد الفردى وهذا ينطبق على ليالى ٢١، ٢٣، ٢٥، ٢٧، ٢٩ من رمضان.

أحمد: ولكن الدولة تحتفل كل عام ليلة السابع والعشرين.

الأب: لأن هذا رأى معظم العلماء والمفسرين لأدلة ذكروها.

عمر: ولماذا لم يحددها رسول الله ﷺ؟

الأب: ربما ليجتهد المسلمون في العبادة في أكثر من ليلة، وقد كان الرسول ﷺ يجتهد في العشر الأواخر من رمضان فيعتكف في المسجد ليلاً ونهاراً لا يخرج منه إلا لضرورة.

أحمد: هناك بعض المسلمين يعتكفون الآن في المساجد.

الأب: نعم.. وهذا شىء طيب بشرط ألا يعطل المعتكف عمله الذى يرتزق منه أو يضر بمصالح الناس. نعود إلى صوم رمضان تلك الفريضة العظيمة التى وعد الله تعالى بأن يتولى هو بنفسه تقديم الجزاء عليها للصائم، فقد قال تعالى فى حديثه القدسى: "كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزي به"^(٢).

أحمد: أستأذنك يا أبى فى أن نخرج عن الموضوع قليلاً قبل شرح هذا الحديث،

فأسأل عن معنى الحديث القدسى، وما الفرق بينه وبين الحديث النبوي؟

الأب: هناك أحاديث يروىها الرسول ﷺ وينسبها إلى الله تعالى فيحدث أصحابه

(١) رواه الشيخان بسنديهما عن أبى هريرة ؓ .

(٢) رواه البخاري.

قائلاً: يقول الله تعالى أو قال الله تعالى أو إن الله يقول.. وما أشبه ذلك من العبارات التي يفهم منها السامع أن هذه الأقوال من الله وأن الله أوحى معناها إلى رسوله الكريم، فعبر عنها الرسول بألفاظه، وأما الحديث النبوي فمعناه ولفظه من الرسول ﷺ.

أحمد: وما الفرق بينه وبين القرآن الكريم؟

الأب: الفرق أن ألفاظ القرآن الكريم من الله تعالى نزل بها الوحي، وأما الحديث القدسي فيلهم الله نبيه المعنى ويصوغه الرسول ﷺ بلفظه هو، ولذلك لا تصح الصلاة به كما تصح بالقرآن.

أحمد: شكراً يا أباي، تفضل بشرح الحديث لنا.

الأب: نفهم من الحديث أن كل العبادات التي يعملها ابن آدم فيها جانب مظهرى يطلع عليه الناس، فالمصلى يذهب إلى المسجد فيصلى ويعرف الناس عنه ذلك، ولكن الصيام سر بين العبد وربّه لا يطلع عليه أحد من الخلق، فالإنسان قد يتظاهر أمام الناس بالصيام، ويأكل وحده ما شاء دون أن يراه أحد، ولذلك كان الصيام بعيداً عن الرياء، وكان لله وحده، فكان الجزاء عليه عظيماً عند الله.

عمر: لكن يا أباي هناك مشكلة بالنسبة لشهر رمضان فهو شهر قمرى يبدأ بظهور الهلال، وهذا يجعل المسلمين غير واثقين من بداية الشهر، ويظلون في حيرة حتى تعلن الحكومة ثبوت رؤية الهلال، وربما كان ذلك في أول النهار، فلماذا لم يجعله الله في شهر من شهور السنة الشمسية؟

الأب: ضاحكاً: إن سر اختيار الشهر القمرى أنه الشهر الذي كان يعرفه العرب وكثير من الشعوب حولهم في هذا الوقت، وأما رؤية الهلال فلم تكن مشكلة بالنسبة للمسلمين الأولين، لأن الله يسرها لهم، فإذا كان الجو صافياً خرج بعض المسلمين

ليلة الثلاثين من شعبان أى بعد مغرب اليوم التاسع والعشرين لرؤية الهلال يتقدمهم الحاكم أو القاضى فينظرون فى السماء، فإذا رأوا الهلال وجب الصوم، وإذا لم يروه أكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً، ولكن إذا كان الجو غيماً يكملون عدة شعبان ثلاثين يوماً، وكانت كل منطقة تصوم على حسب رؤيتها للهلال، وأما فى عصرنا - عصر التقدم العلمى فالحساب الفلكى تكفل بتحديد أول الشهر تحديداً دقيقاً. ومع ذلك لابد من محاولة الرؤية بالعين - وإن كانت تساعد وتقويها المناظير المكبرة والمقربة - وهى لا تختلف مع الحساب الفلكى إلا نادراً ويكون ذلك بسبب خطأ بشرى فى الحساب الفلكى أو فى رؤية العين - كما أن سرعة الاتصال تكفلت بإعلام جميع المسلمين بثبوت الرؤية بعد تحققها بدقائق.

أحمد: إذن لابد من ثبوت رؤية الهلال لبدء الصوم.

الأب: رؤية الهلال شرط لوجوب الصوم، وقد أكد رسولنا الكريم صلوات الله عليه ذلك فى قوله: "صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً"^(١) ومعنى الحديث أن يوم الصيام يتحدد برؤية هلال رمضان، وكذلك نهايته تتحدد برؤية هلال شوال.

الأم: إن فى اختيار شهر قمرى للصيام حكمة عظيمة، فنصوم فى كل عدة أعوام فى جو مختلف وزمن مختلف: نصوم مرات فى الصيف حيث اليوم الطويل، والجو الحار، ومرتات فى الشتاء حيث اليوم القصير والجو البارد، وأحياناً فى الربيع أو الخريف حيث اليوم المعتدل الطول والجو المعتدل، وتصوروا لو أن الله فرض الصيام فى شهر أغسطس لظل الزمن ثابتاً، ولما تحمل الصيام كثير من الناس، وكذلك لو

(١) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة.

فرضه في يناير حيث الجو البارد، والاستيقاظ للسحور شديد الصعوبة في برد يناير.

أحمد: هل لصوم رمضان أركان كأركان الصلاة؟

الأب: نعم.. له ركنان: الركن الأول: الإمساك عن كل شيء مفطر من طعام وشراب وغيره من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، والركن الثاني النية: أي ينوى المسلم أن يصوم اليوم التالي وتكون النية قبل الفجر، لأن الله لا يقبل عبادة من العبادات إلا بالنية، فلو فرضنا أن أحداً قرر أن يفطر يوماً من رمضان لعذر من الأعذار، ونام على هذه النية، وأصبح فلم يتمكن من تناول الطعام والشراب حتى غربت الشمس لا يعتبر صائماً مع أنه فعل فعل الصائمين تماماً، فالمعتبر النية، والنية محلها القلب، فلا حاجة للصائم التلفظ بها بل يكفي أن ينوى في نفسه أنه سيصوم غداً، وقيامه للسحور يكفيه، لأنه استعداد للصوم.

عمر: بعض الناس يقولون: إن وضع الروائح والعطور تفطر، فهل هذا صحيح؟

الأب: ليس هذا صحيحاً، فهذه أشياء لا علاقة لها بالطعام والشراب، وما يمتنع بالصيام.

أحمد: والحقن والقطرة هل تفطر؟

الأب: الحقن بجميع أنواعها والقطرة لا تفطر.

عمر: أنا أكلت مرة في رمضان وأنا ناسٍ فيما قالت لي: لم تفطر.

الأب: نعم، فرسولنا ﷺ قال: إن هذا رزق ساقه الله للصائم.

الأم: لكن تأكدوا أن الصيام لا يجوز إلا إذا كان الإنسان ناسياً حقاً أي لا يدعى ذلك.

أحمد: فإذا أكل مخطئاً بمعنى أنه وضع طعاماً على طرف لسانه فأخطأ وابتلعه فهل

يفطر؟

الأب: نعم يفطر، وعليه قضاء هذا اليوم، ولكن أحب أن أنبهكم أنه إذا أخطأ الصائم وأكل يظل ممتنعاً عن الأكل بعد ذلك مع أن صومه بطل احتراماً للشهر.

أحمد: وإذا أكل متعمداً، ما حكمه؟

الأب: عليه قضاء يوم بدله سوى الكفارة ويعاقبه الله عقاباً شديداً بسبب إفطاره إلا إذا تاب وندم على ما فعله، ولم يكرره بعد ذلك، فقد قال رسول الله ﷺ: "من أفطر من غير عذر ولا مرض لم يكفه صوم الدهر وإن صامه"^(١) يعنى لو صام طوال عمره بعد ذلك لا يكفيه عن فطر هذا اليوم، ولكن الله وعد التائبين بالمغفرة.

أحمد: أظن أن المسافرين والمريض لهما حق الفطر في رمضان.

الأب: طبعاً، فقد ذكر الله تعالى ذلك فقال: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (البقرة: ١٨٥) أى أن الذى يُضطر إلى السفر في رمضان مسافة قصر الصلاة التى ذكرناها وهى حوالى خمسة وثمانين كيلو متراً له أن يفطر ويقضى ما أفطره بعد رمضان، وكذلك المريض له أن يفطر ويقضى، وكذلك المرأة الحامل والمرضع إذا خافتا على أنفسهما أو على الجنين.. وهؤلاء جميعاً يقضون الأيام التى أفطروا فيها بعذر أو سبب، كما خفف الله عن الذين لا يتحملون الصيام إلا بمشقة شديدة مثل كبار السن والضعفاء، والذين يعملون أعمالاً شاقة لا يستطيعون أداءها مع صيامهم: رخص الله هؤلاء وأمثالهم الفطر في رمضان مع أداء فدية عن كل يوم من رمضان وهى إطعام مسكين، ويسقط عنهم الصوم.

وقبل أن أختتم حديثي عن صوم رمضان أحب أن أنبه إلى شيء هام، هو أن الله

(١) رواه أبو داود وابن ماجه والترمذى بأسانيدهم عن أبى هريرة ؓ .

عندما فرض علينا العبادات من صلاة وصوم وغيرهما لم يكن الهدف منها مجرد العبادة فقط، بل لتصلح من سلوك الإنسان في تعامله مع الآخرين، يبين ذلك قول الله تعالى عن الصلاة: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (العنكبوت: ٤٥) وكذلك الصيام فقد بيّن الله الهدف منه في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٣)، فالهدف من الصيام هو التقوى، والتقوى تعنى طاعة الله في كل ما يأمر به، واجتناب كل ما ينهى عنه، فلكى يتقبل الله صوم الصائمين لابد أن يلتزموا إلى جانب الصوم السلوك الحسن والخلق الحميد، وقد بيّن الرسول ﷺ أن الصائم إذا لم يجتنب المنكرات، فلا قيمة لصيامه فقال: "من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه" (١) وقول الزور هو الكذب، فالكذاب لا صوم له، وكذلك السارق وكل من يعصى الله بقول أو عمل. ولذلك اعتبر الرسول ﷺ أن "الصوم جُنة" أى وقاية تقى الصائم من فعل السوء كى لا يفسد صومه فعلى الصائم أن يحتذى بصيامه من كل شر كما أرشدنا الرسول ﷺ "الصيام جُنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ولا يجهل وإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني صائم، إني صائم" (٢).

عمر: نريد شرح الحديث من فضلك.

الأب: الرسول ﷺ يرشدنا في هذا الحديث إلى السلوك الطيب الذى يليق بالصائم فنهاء عن ثلاثة أمور تسمى إلى الآخرين، أولها: الرفث وهو التلطف بالألفاظ

(١) رواه البخارى بسنده عن أبى هريرة .

(٢) رواه البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى هريرة .

الفاحشة المنافية للأدب، وثانيها: الصخب أى العراك ورفع الصوت بطريقة تؤذى السامعين وتستفزهم، وثالثها: الجهل أى السفاهة والطيش مثل المسارعة إلى الشتم أو الضرب لمن نتعامل معهم، ثم ذكر الأسلوب اللائق بالصائم حينما يتعرض لسب أحد من السفهاء أو محاولة الاعتداء عليه، وذلك أن يذكر نفسه ويذكر الذى يسيء إليه بأنه صائم، فلن يرد إساءته، وبذلك يسيطر على غضبه، وينبه خصمه إلى السيطرة على غضبه أيضاً.

صوم التطوع

عمر: هناك ناس يصومون فى غير أيام شهر رمضان.. ما هذه الأيام؟

الأب: الله يحب من عباده المؤمنين أن يتقربوا له بعبادة مشابهة لما فرضه عليهم من عبادات ويحثهم على ذلك، فنرى من يصلى أكثر من الصلوات الخمس المفروضة ومن يصوم فى غير رمضان، ومن يتصدق بأموال أكثر من الزكاة، يفعل كل ذلك تقرباً إلى الله، وهذه العبادات الزائدة تسمى ”نفلاً“ أى زائدة، أو ”تطوعاً“ أى يفعلها العابد دون أن تكون فرضاً عليه، وقد حدثتكم عن النوافل فى الصلاة والزكاة وأحدثكم الآن عن صوم النفل أو التطوع، فقد رغب الرسول ﷺ فى الأيام التالية:

١- ستة أيام من شوال يصومها من يريد متتابعة أو متفرقة وله ثواب عظيم فى صيامها وهى إذا ضمت إلى صوم رمضان يساوى ثوابها ثواب صيام سنة كاملة لأن الحسنة بعشرة أمثالها.

٢- صوم يوم عرفة: وهو اليوم التاسع من ذى الحجة.

٣- صوم يوم عاشوراء: وهو اليوم العاشر من المحرم ويستحب صيام يوم قبله

ويوم بعده.

٤- صيام يومى الاثنين والخميس .

٥- صوم ثلاثة أيام من كل شهر هجرى هى أيام الثالث عشر والرابع عشر، والخامس عشر، وتسمى الأيام البيض لازدهار القمر فيها.

وباختصار يستطيع المسلم أن يصوم تقرباً إلى الله ما استطاع، وله ثوابه على ذلك، وإن لم يصم فلا حرج عليه، ويكفيه صوم رمضان، على أن هناك أياماً نهى الرسول ﷺ عن الصوم فيها فينبغى للمسلم أن يتجنبها وهى:

١- يوماً عيد الفطر وعيد الأضحى، لأنها يوماً احتفال للمسلمين.

٢- أيام التشريق الثلاثة الواقعة عقب يوم عيد الأضحى .

٣- صوم يوم الجمعة منفرداً، وكذلك صوم يوم السبت منفرداً.

٤- صوم يوم الشك وهو يوم الثلاثين من شعبان.

عمر: ولم سُمى بيوم الشك؟ وما سبب النهى عنه.

الأب: سُمى بيوم الشك، لأن الناس يشكون هل هو المتمم لشعبان أو بداية رمضان، ونهى عن صومه حتى لا يعتاد الناس صومه، ثم يأتى زمان يظنون أنه فرض مثل رمضان.

ولعلكم تذكرون صدقة الفطر التى لا يتم الصيام إلا بأدائها وقد حدثتكم عنها عند كلامنا عن الزكاة، وبهذا نكون أتممنا الحديث عن الركن الرابع من أركان الإسلام.

الأولاد: شكراً لك يا أبى، شكراً لك يا أمى .. وجزاكم الله عنا خيراً.

الحج

وبدأت جلسة جديدة وأخذت الأسرة أماكنها، وبدأ الأب حديثه عن ركن الإسلام الخامس.

الأب: الحج يا أولادى يختلف عن الأركان الأخرى فى أنه لا يتكرر، بل هو مرة واحدة فى العمر، وأن وقته ممتد يستطيع المسلم أن يحج فى أى عام يشاء وإن كان الأفضل المبادرة متى كان المسلم مستطيعاً للحج.
أحمد: ومتى يكون المسلم مستطيعاً للحج.

الأب: يكون المسلم مستطيعاً إذا توافر لديه من المال ما يمكنه من الإنفاق على تكاليف السفر والإقامة فى أماكن الحج، وأن يترك لأسرته ما يكفيهم من النفقة فى أثناء غيابه عنهم، وأن يكون فى صحة تمكنه من أداء الحج، وأن يكون الطريق آمناً.. إذا تحققت هذه الشروط كان المسلم مستطيعاً.

أحمد: فإذا لم يتحقق شرط من هذه الشروط، فهل يكون المسلم مقصراً؟
الأب: لا، لأن الله جعل الاستطاعة شرطاً لأداء الحج، فقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (آل عمران: ٩٧) لأن الإسلام يراعى دائماً قدرات المسلم كما رأينا فى الصلاة والصوم ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.
أحمد: ولكننا نرى بعض المسلمين يستدين لأداء الحج، أو يحرم بعض أفراد أسرته من بعض ضروريات الحياة ليوفر نفقة الحج، فهل يجوز حجه؟

الأب: نعم يجوز حجه ولكنه مخطئ، لأنه فعل أمراً لم يطلب منه وكان فيه ضرر بالآخرين.

عمر: هناك من يذهب إلى الحج وليس معه نقود ينفق منها ويتسول.

الأب: وهذا أيضاً مخطئ، لأن الله لم يطلب منه هذا بل بالعكس طلب من الحجاج أن يتزودوا في سفرهم، أى يأخذوا معهم طعامهم، ولا يعيشوا على التسول والصدقة فقال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ (البقرة: ١٩٧).

زينب: حضرتك قلت: إن الحج مرة واحدة في العمر لكن جدى حج ثلاث مرات.

عمر: وأنا أعرف آباء بعض زملائي حجوا مرات كثيرة.

الأب: الحجة الأولى هي الفرض، والحجبات الأخرى تطوع.

زينب: ما معنى تطوع؟

الأب: التطوع هو أن يتقرب الإنسان إلى الله ببعض العبادات غير المفروضة عليه كمن يصلى الظهر وهو فرض، ثم يصلى بعده ركعتين أو أكثر فهذا تطوع، وكمن يصوم أياماً في غير رمضان، فصومه هذا تطوع، وكذلك من يحج أكثر من مرة.

الأم: لو تأملت يا أولادى فى العبادات التى فرضها الله علينا تجدون أن أسهلها كرر الله فرضه فى اليوم خمس مرات وهى الصلاة، فأداؤها سهل ميسور لا يكلف شيئاً، وما فيه مشقة زائدة فرضه مرة فى السنة وهو الصوم، وأما الذى مشقته أعظم وتكاليفه أكثر ففرضه مرة فى العمر، وهو الحج.

الأب: وهناك ملاحظة أخرى وهى أن بعض هذه العبادات تكلف الإنسان مشقة بدنية، ونفعها يعود عليه وحده، وهى الصلاة والصيام، فهما لا تكلفان الإنسان مالاً، ولكن فيهما جهد بدنى، وأداؤها يعود عليه وحده بالثواب وهناك عبادة ليس

فيها مشقة بدنية، ولكن تكلف الإنسان مالا، ونفعها عائد على مجموعة كبيرة من الناس إلى جانب الثواب الذي يعود على فاعلها وهي الزكاة، وأما الحج فيشتمل على الأمرين ففيه مشقة السفر والمناسك وهي مشقة بدنية، وفيه إنفاق مالى من تكاليف السفر وتكاليف الإقامة وفيه نفع للمقيمين في أماكن الحج حيث تروج تجارتهم إلى جانب ما ينال الحاج من ثواب.

أحمد: يذهب بعض الناس إلى أداء العمرة، فهل العمرة تكون بدلاً من الحج؟

الأب: لا، فالحج فرض لا يمكن أن يسد مسده شيء، وأما العمرة فهي سنة في رأى كثيرة من الفقهاء وبعضهم قال إنها فرض ولكن لا تغنى عن الحج.

عمر: ما الفرق بين الحج والعمرة؟

الأب: العمرة يجوز أداؤها في كل وقت من السنة، ولكن الحج له وقت محدد كما قال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ﴾ (البقرة: ١٩٧) وهذه الأشهر المعلومات هي: شوال وذو القعدة وثلاثة عشر يوماً من ذى الحجة^(١).

زينب: ياه.. أكثر من سبعين يوماً، ولكن أى حاج يذهب ويعود في عشرين يوماً أو أقل.

الأب: هذا صحيح.. وذلك لأننا في عصر السرعة عصر الباكسة والطيارة والقطار والسيارة، أما قبل ذلك من حوالى مائة وخمسين سنة لم يكن إلا المراكب الشراعية والجمال، فتصورى حاجاً من المغرب أو الهند أو حتى من مصر، كم يحتاج من الوقت للوصول إلى مكة؟! ومع ذلك فليس المقصود أن يبدأ الحاج أعمال الحج

(١) يتم ركنا الحج وهما الوقوف بعرفة وطواف الإفاضة يوم التاسع والعاشر واليومان التاليان أو الثلاثة لرمى الجمار.

من أول شوال، ولكن المقصود أن الحج لا يبدأ قبل هذا الوقت، ويجوز أداء أعماله في أى وقت بعد ذلك، والمهم أن يصل الحاج إلى مكة قبل يوم الثامن من ذى الحجة حيث تبدأ الأعمال الأساسية للحج كما سنرى.. الفرق الثانى بين العمرة والحج أن العمرة أعمالها قليلة مقارنة بالحج فهى تتلخص فى الطواف سبع مرات بالكعبة والسعى سبع مرات بين الصفا والمروة ثم الحلق أو التقصير كما سأحدثكم عن ذلك بالتفصيل.

أعمال الحج

أحمد: ليتك يا أبى تحدثنا عن أعمال الحج خطوة خطوة.

الأب: أفعل إن شاء الله.

الإحرام: أول أعمال الحج الإحرام.

زينب: وما معنى الإحرام؟

الأب: صبراً يا زينب ولا تتعجلى، إذا نوى المسلم الحج فإنه يحرم عليه لبس ملابسه العادية المخيطة.

زينب: عفواً يا أبى.. ما معنى المخيطة؟

الأب: المخيطة هى التى تخاط بالإبرة كالقميص والجلباب وغيرهما من سائر الملابس التى نلبسها، يتجرد الحاج من ملابسه هذه ويلبس بدلاً منها (بشكيرين) أو ما يشبههما أحدهما يضعه على كتفيه ويسمى رداء، والآخر يلفه حول وسطه ويسمى إزاراً، ويشترط ألا يكون فيهما أى خيط، وأظنكم تشاهدون فى التلفزيون ما يرتديه الحجاج.

زينب: وهل تلبس النساء الإزار والرداء؟

الأب: لا، المرأة تظل بثيابها العادية ويستحب أن تكون بيضاء ولكن لا يجوز لها

أن تغطي وجهها.

أحمد: وهل يجوز للرجل أن يضع على رأسه شيئاً أو يلبس حذاء في رجله؟

الأب: لا، على الحاج أن يترك رأسه عارياً طوال فترة الإحرام، ولا يلبس حذاء بل نعلًا لا خيوط فيه أي (شيشب) مثل شبشب الحمام التي نعرفها، وينبغي للحاج قبل أن يحرم أن يغتسل ويقص شعره وأظافره ويتطيب، لأن هذه الأشياء ستصبح محرمة عليه بعد نية الإحرام، فلا يصح له أن يفعلها حتى يتم حجه، ومن أجل ذلك سُمي "الإحرام" لأنه يحرم على صاحبه أشياء كثيرة كانت مباحة له من قبل.

أحمد: هل للإحرام زمان معين أو مكان معين؟

الأب: نعم.. فزمانه من أول شوال كما قلت لكم، وأما مكانه فيختلف باختلاف البلد الذي يأتي منه الحاج، وهذه الأماكن تسمى مواقيت الحج لا يجوز لأي مسلم يريد أن يحج أن يتجاوزها ألا وهو محرم، وميقات المصريين مكان يسمى "رابع" قبل جدة بقليل.

أحمد: كيف نعرف هذا المكان ونحن مسافرون بالطائرة أو البخرة؟

الأب: إن المسؤولين فيهما يعلنون للركاب قبل الاقتراب منهما للاستعداد للإحرام، فإذا أعلنوا ذلك أخذ كل حاج بخلع ثيابه، ويرتدي الإزار والرداء بعد أن يكون قد اغتسل وفعل ما قلته لكم من حلق للشعر أو تقصير وقص للأظافر.. إلخ، وينوي في نفسه ما يريد عمله من حج فقط أو عمرة فقط أو حج وعمرة معاً، ثم يأخذ في التلبية قائلاً: لبّيك اللهم لبّيك.. لبّيك لا شريك لك لبّيك.. إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك" ويظل يردد هذه التلبية في كل مناسبة: عندما ينتقل من مكان إلى مكان، عندما يقابل رفقاء أو أصدقاء، حتى ينتهي من أعمال الحج.

أحمد: بعض الحجاج يذهبون إلى المدينة أولاً، هل يجرمون أيضاً من "رابع"؟
الأب: لا، يذهبون إلى المدينة بشبابهم العادية ويزورون قبر الرسول ﷺ وعند توجههم إلى مكة يجرمون من ميقات أهل المدينة وهو مكان يعرف بأبيار على.
عمر: لكن بعض الحجاج يذهبون إلى المطار وهم في ملابس الإحرام.
الأب: يجوز الإحرام قبل الميقات، لكن عند الميقات أفضل.
أحمد: نريد توضيحاً لأنواع النية التي ذكرتها حضرتك.

الأب: الحاج له اختيارات: إما أن يكون قاصداً للحج فقط فينويه فقط ويسمى "مُفَرِّداً" لأنه أفرد الحج وحده، وإما أن يكون قاصداً للحج والعمرة معاً فينويهما وهذا يسمى "قارناً" لأنه قرن الحج بالعمرة ولم يتحلل بينهما، وإما أن يكون قاصداً للحج والعمرة ولكنه يريد أن يؤدي العمرة أولاً، ثم يتحلل منها، فيلبس ثيابه العادية ويفعل ما يفعله غير الحاج دون التقيد بشيء، ثم عندما يحين موعد الحج ينوى الحج ويحرم له، وهذا يسمى متمتعاً لأنه تمتع بالحياة العادية في الفترة بين أداء العمرة وأداء الحج. وأحب أن أنبهكم إلى أن بعد نية الحج والإحرام لا يجوز للحاج أن يرفث في قوله - أى يتكلم كلاماً بذيئاً منافياً للأدب - وألا يرتكب أية معصية، وألا يخاصم الآخرين، ويكثر من جدالهم بغير فائدة فقد قال تعالى: ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ (البقرة: ١٩٧).

والآن تعالوا نتابع الحاج منذ دخوله مكة إلى نهاية الحج.
طواف القدوم: عندما يدخل الحاج المسجد الحرام أول ما يفعل الطواف حول الكعبة سبع مرات. يبدأ من الحجر الأسود وينتهي إليه، وفي كل مرة يقبل الحجر

الأسود إن أمكنه ذلك دون مزاحمة أحد وإيذائه، فإذا لم يمكنه ذلك يشير إليه، وتشترط الطهارة في الطواف فيكون الطائف متوضئاً، فالطواف مثل الصلاة يشترط له الوضوء، وبعد انتهاء الطواف يصلي ركعتين في مقام إبراهيم ÷ ، وهو مكان قريب من الكعبة، ويسمى هذا الطواف طواف القدوم.

السعى بين الصفا والمروة: بعد الانتهاء من الصلاة يتوجه الحاج إلى الصفا والمروة - وهما جبلان صغيران متقابلان قريبان من الكعبة، وهما الآن في داخل المسجد الحرام. يبدأ بالصفا فيقف عليه ويوجه وجهه نحو الكعبة داعياً ملبياً، ثم يسعى إلى المروة، يمشى الرجل مشياً عادياً حتى إذا كان عند الميل الأخضر يهرول حتى يصل إلى الميل الأخضر الثاني، ثم يمشى مشياً عادياً إلى المروة، فيقف عليه ويوجه وجهه نحو الكعبة داعياً ملبياً، ثم يعود إلى الصفا ويفعل مثل ما فعل في الشوط الأول، وهكذا حتى يتم سبعة أشواط، وأما المرأة فلا تهرول بين الميلين الأخضرين^(١).

عمر: نرجو أن تحدثنا عن سبب السعى بين الصفا والمروة.

الأب: سبب السعى بينهما هو إحياء ذكرى السيدة هاجر أم سيدنا إسماعيل، فقد أخذها سيدنا إبراهيم ÷ إلى مكة هي وطفلها الرضيع إسماعيل لبيعدها عن زوجته سارة لضيقها بها وبابنها كما حدثتكم عن ذلك عند الحديث عن الرسل، ترك إبراهيم ÷ هاجر وحدها هي وطفلها الرضيع في هذا المكان المهجور ومعهما بعض الزاد وبعض الماء، فلما نفذ الماء أخذ إسماعيل ييكي من العطش، فصعدت الصفا وكان قريباً منها، وأخذت تنظر هل ترى أحداً تجده عنده بعض الماء فلم تر أحداً، فذهبت إلى المروة ففعلت مثل ذلك حتى أتمت سبعة أشواط، فلما يئست عادت إلى

(١) الميلان الأخضران علامتان ترشدان الحاج إلى المسافة التي يهرول فيها.

ابنها لتجد أن الله أكرمهما بعين ماء وهى زمزم.

ويشترط لصحة السعى أن يكون عقب الطواف مباشرة، وبعد إتمام السعى تنتهى أعمال العمرة لمن كان متمتعاً أى ناوياً العمرة فقط فيحلق أو يقصر ويتحلل حتى يقترب موعد الحج فيحرم له، وأما المفرد فلا تعتبر هذه عمرة له بل جزءاً من أعمال الحج فلا يتحلل حتى ينتهى من الحج وكذلك القارن.

بدء أعمال الحج

فى يوم الثامن من ذى الحجة يذهب جميع الحجاج إلى منى وهم محرمون، ومنى ضاحية من ضواحي مكة تبعد عنها بحوالى ستة كيلو مترات وبها الجمار الثلاث التى يرميها الحجاج ابتداء من يوم العاشر من ذى الحجة.

يذهب الحجاج إلى منى يوم الثامن ويقيمون بها، وفى صبيحة التاسع من ذى الحجة يتوجه الجميع إلى عرفة أو عرفات، وإن كان معظم الحجاج فى عصرنا يتوجهون مباشرة إلى عرفة دون المرور بمنى نظراً لشدة الزحام.

الوقوف بعرفة: يوم التاسع من ذى الحجة هو يوم الركن الأعظم للحج، وهو الوقوف بعرفة - وقد قال عنه الرسول ﷺ "الحج عرفة"^(١) فمن أداه فى وقته، وهو أى وقت من ساعة الظهر إلى فجر اليوم التالى، فقد تم حجه، ومن فاته الوقوف فى جزء من هذا الوقت فقد فاته الحج، والسنة أن يقف جزءاً من النهار ويستمر فترة بعد غروب الشمس.

زينب: هل يظل الحجاج واقفين ولا يجلسون؟

(١) رواه أحمد بسنده عن عبدالرحمن بن يعمر .

الأب: ليس المقصود بالوقوف بعرفة أن يقف الحاج على قدميه، بل المقصود مجرد الوجود بعرفة في هذا الوقت حتى لو كانت نائماً أو مغمى عليه.

عمر: ولماذا لم يقولوا الوجود بعرفة أو الحضور بعرفة؟

الأب: قالوا: الوقوف بعرفة، لأن الحجاج يحرسون على التوجه إلى الله بالدعاء في هذا اليوم، ويكون أغلبهم واقفين، وبعضهم يصعد جبلاً صغيراً بعرفة يسمى "جبل الرحمة" يقفون عليه ويدعون كما كان يفعل الرسول ﷺ وإن كانت ظروف الزحام في عصرنا تحول بين معظم الحجاج وصعود هذا الجبل والوقوف عليه.. وبعرفة مسجد يسمى مسجد نمرة يصلى فيه من استطاع من الحجاج الظهر مع الإمام الذى يخطب فيهم كخطبة الجمعة، ويصلون العصر مع الظهر جمع تقديم قصراً: أى ركعتين ركعتين.

عمر: كم مرة حج النبي ﷺ؟

الأب: حج مرة واحدة قبل وفاته بأشهر قليلة، وسُميت هذه الحجة بحجة الوداع، لأن الرسول ﷺ كان يودع المسلمين وهو يوصيهم ببعض أمور الدين، فكان يقول لهم في خطبته التى سميت أيضاً خطبة الوداع: لَعَلَّيْ لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا.

الإفاضة من عرفات: بعد غروب شمس يوم التاسع من ذى الحجة يفيض الحجاج من عرفات - أى ينصرفون منها - إلى المزدلفة وهى مكان بين عرفة ومنى، وتعرف بالمشعر الحرام، ومنها يلتقط الحجاج الحصى الذى يرمون به الجمار فى منى، ويصلى الحجاج بالمزدلفة المغرب والعشاء فى وقت العشاء جمع تأخير.

زينب: ما هى الجمار يا أبى؟ ولم يرمونها بالحصى؟

الأب: الجمار جمع جمرة ولها معنيان: المعنى الأول: الحصاة الصغيرة، والمعنى

الثاني: شكل حجرى قبيح مقام بمنى، وهى ثلاث جمرات: هى جمرة العقبة، والجمرة الوسطى، والجمرة الصغرى، وبين كل جمرة والأخرى حوالى مائة متر أو أكثر قليلاً، أما لماذا يرميها الحجاج بالحصى فلأنها رمز للشيطان، ورميها يعنى أن الحاج لن يستجيب لوسوسة الشيطان ويعلن التبرؤ منه، كما أن فى هذا الرمي إحياء لذكرى قصة ذبح سيدنا إسماعيل التى عرفتوها، فعندما أمر الله نبيه إبراهيم ÷ بذبح ابنه إسماعيل عن طريق رؤيا منامية أخبر ابنه إسماعيل بذلك، فقال له: افعل ما تؤمر، فأراد الشيطان أن يستغل هذه الفرصة ويوسوس لإبراهيم وآله حتى يحملهما على عصيان الله، فتعرض لسيدنا إبراهيم وأخذ يستفزه ضد إرادة الله فزجره إبراهيم، ورماه بسبع حصيات، فلم يئأس وتعرض له مرة ثانية فى مكان آخر، فزجره أيضاً ورماه بسبع حصيات، فظل الشيطان على إصراره وتعرض له مرة ثالثة فى مكان آخر فزجره أيضاً ورماه بسبع حصيات، فيئس الشيطان وأقيمت هذه الجمرات فى هذه الأماكن تذكيراً للمسلمين بمكايد الشيطان، وحرصه على إغوائهم، فنحن نفتدى بسيدنا إبراهيم ÷ ، ونحاول طرد الشيطان من قلوبنا بهذا الرمي.

الأم: معنى ذلك يا أولادى أن الحاج ينبغى أن يعود من حجه، وقد تغيرت حاله إلى الأفضل، وعزم ألا يستجيب لوساوس الشيطان، فيطرد الشيطان من حياته كلها، فليست المسألة تمثيلاً ينتهى بعد أداء الدور.

الأب: نعم، هذا هو الحج المبرور الذى قال عنه الرسول ﷺ "ليس له جزاء إلا الجنة" نعود إلى موضوعنا يجمع الحاج الحصى من المزدلفة.

عمر: ما عدد هذا الحصى؟

الأب: تسع وأربعون حصاة يرمى فى اليوم الأول جمرة العقبة وحدها بسبع

حصيات يوم العاشر من ذى الحجة، وفي اليوم الثانى يرمى الجمرات الثلاث كل جمرة بسبع حصيات فيكون المجموع إحدى وعشرين، وكذلك فى اليوم الثالث فيكون المجموع الكلى تسعاً وأربعين حصاة.

يبقى الحجاج بالمزدلفة حتى صلاة الفجر، ثم يتوجهون إلى منى ليرموا جمرة العقبة بعد شروق الشمس وبعد رميها يلقون أو يقصرون، والمرأة لا تحلق بل تقص جزءاً من شعرها، وإذا كان الحاج قارناً أو متمتعاً فعليه أن يذبح الهدى وهو شاة أى - خروف - أو يشترك مع ستة فى جمل أو بقرة، فإن لم يستطع يصم ثلاثة أيام فى الحج وسبعة أيام عندما يعود إلى بلده، وبعد الذبح يستطع الحاج أن يلبس ثيابه العادية.

وقد وضعت إدارة الحج نظاماً لذبح الأضاحى لتريح الحجاج من الذبح وما يترتب عليه من مشاق تتمثل فى كثرة الضحايا التى تعد بمئات الألوف، ومعظمها ملقى فى الطريق لا يستفيد به أحد، فطلبت من الحاج الذى يريد أن يضحي أن يودع المصرف الخاص بذلك ثمن الهدى، ويوكله فى ذبحه وتوزيعه على الفقراء ويقوم المصرف بذبح الهدى، وتجميده فى ثلاجات خاصة ثم يوزع على فقراء المسلمين فى أنحاء العالم.

الأم: نعم هذا النظام، أذكر عندما ذهبنا إلى مكان الذبح لنذبح الهدى كان المنظر بشعاً، آلاف الخرفان المذبوحة ملقاة على الأرض فى منظر مفرز وليس هناك من يأخذها لكثرتها بالنسبة للمحتاجين فى هذا المكان.

الأب: وهذا واجب المسلمين أن يفهموا روح الإسلام، ويستفيدوا بمخترعات العصر ليحققوا أهدافه.

طواف الإفاضة

ثم يتوجه الحاج إلى مكة ليطوف حول الكعبة سبع مرات، ويسمى هذا الطواف طواف الإفاضة أو الزيارة، وهو الركن الثاني من أركان الحج، من لم يؤديه يبطل حجه، ويفعل فيه مثل ما يفعل في طواف القدوم.

وبعد إتمامه هذا الطواف يتحلل الحاج تحللاً كاملاً، أى يحل له كل ما كان محرماً عليه من قبل.

رمى الجمار

بعد إتمام الطواف يعود الحاج إلى منى ليبيت فيها ويرمى الجمار في اليوم التالي والذي يليه أى يوم، الحادى عشر والثانى عشر من ذى الحجة.

أحمد: ما الوقت الذى يرمى فيه الحاج الجمار، هل هو بعد شروق الشمس إلى الزوال كالיום الأول؟

الأب: الوقت المختار لرمى الجمرات الثلاث فى اليوم الثانى والثالث هو من وقت الظهر إلى غروب الشمس، ولكن نظراً لكثرة الحجاج وشدة الزحام فى عصرنا فقد أفتى بعض الفقهاء بجواز الرمى فى أى وقت من النهار أو الليل.

وبانتهاء رمى اليوم الثانى عشر تنتهى أعمال الحج إلا إذا اضطر بعض الحجاج للبقاء بمنى حتى غروب الشمس فيجب عليهم المبيت بها ورمى الجمرات الثلاث يوم الثالث عشر أيضاً، ولكن هذا لا يحدث إلا نادراً.

الأم: لو فهم المسلمون حكمة العبادات فى دينهم لما وصلوا إلى هذا الحد من التفرق والتشتت الذى هم عليه الآن، فالإسلام كما هو دين التوحيد فى العقيدة

هو دين الوحدة للأمة والتعاون والترابط، وكل العبادات تراعي هذا المعنى، فصلاة الجماعة وصلاة الجمعة وصلاة العيدين كلها تحت المسلمين على التلاقي والتجمع، ولكن في نطاق البلد الواحد، ثم يأتي موسم الحج فيتجمع كثير من المسلمين من جميع أرجاء العالم في مكان واحد وزمان واحد، فلو استغل المسلمون هذا المؤتمر الضخم لتقوية الروابط بينهم، والتباحث في حل مشكلاتهم، واتفقوا على سياسة معينة تحقق مصالحهم، لو حدث هذا لتحققت وحدة المسلمين، ولما طمع أعداؤهم.

الأب: هذا حق، وقد شبه الرسول ﷺ المسلمين في تراحمهم وتوادهم بالجسد إذا اشتكى منه عضو تألمت له جميع الأعضاء، وفي حديث آخر شبههم بالبناء المتماسك الذي يشد بعضه بعضاً، وهكذا ينبغي أن يكون المسلمون.

أحمد: لكنهم ليسوا كذلك، بل هم دائماً متفرقون بل ربما يعادى بعضهم بعضاً، ويتحالف فريق مع أعداء الإسلام ضد فريق آخر.

الأب: هذا صحيح للأسف، وما ذلك إلا لبعدهم عن روح الإسلام وفهمهم له على أنه مظاهر شكلية لا يعرفون حكمتها ولا الهدف منها.

عمر: بقي أن تحدثنا عن العمرة.

الأب: لقد حدثتكم عنها ولكن لا بأس بإعادة الحديث مرة ثانية، ولكن قبل أن أحدثكم عن العمرة أذكركم أن الحاج بعدما ينتهي من رمي الجمار ويريد أن يعود إلى بلده عليه أن يطوف بالبيت طوافاً ثالثاً يسمى طواف الوداع يفعل فيه كما فعل في سابقه، وذلك ليكون آخر عهده بمكة الطواف حول البيت.

العمرة

تختلف العمرة عن الحج في أنها ليس لها وقت محدد بل يجوز أداؤها في كل وقت

من أوقات السنة، فالذى يريد العمرة يتوجه إلى مكة، ثم يحرم عند الميقات وهو رابع بالنسبة للمصريين، فيرتدى ملابس الإحرام: الإزار والرداء وذلك بعد أن يغتسل ويقص أظافره ويتطيب ثم يزخذ في التلبية، وعندما يدخل مكة يتوجه إلى الحرم فيطوف حول الكعبة سبعة أشواط، ثم يصلى ركعتين في مقام إبراهيم ﷺ، ثم يسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط أيضاً يبدأ بالصفا وينتهي بالمروة، وبعد إتمام السعى يخلق أو يقصر، وبذلك تتم عمرته فيتحلل.

عمر: وهل يذبح الهدي؟

الأب: ليس في العمرة ذبح.

أحمد: حضرتك قلت: إن هناك مواقيت لا يجوز للحاج أو المعتمر اجتيازها إلا محرماً، فماذا يفعل المقيم في مكة أو جدة أو الطائف مثلاً؟

الأب: المقيم في مكة عليه - إذا أراد العمرة - أن يخرج من مكة إلى مكان يسمى "التنعيم" قريب من مكة فيحرم منه، وأما المقيم في جدة أو غيرها من البلدان القريبة من مكة، فيحرم من بيته، ويتوجه إلى مكة محرماً.

عمر: زيارة الرسول ﷺ في المدينة، هل هى جزء من الحج؟

الأب: لا علاقة لهذه الزيارة بالحج أو العمرة، وإنما هى تحية يؤديها المسلم لصاحب الرسالة بزيارة قبره، وتجديد العهد بالالتزام بتعاليمه وسُننه.

الأولاد: شكراً يا أبانا شكراً يا أمنا، وجزاكما الله عنا خيراً.

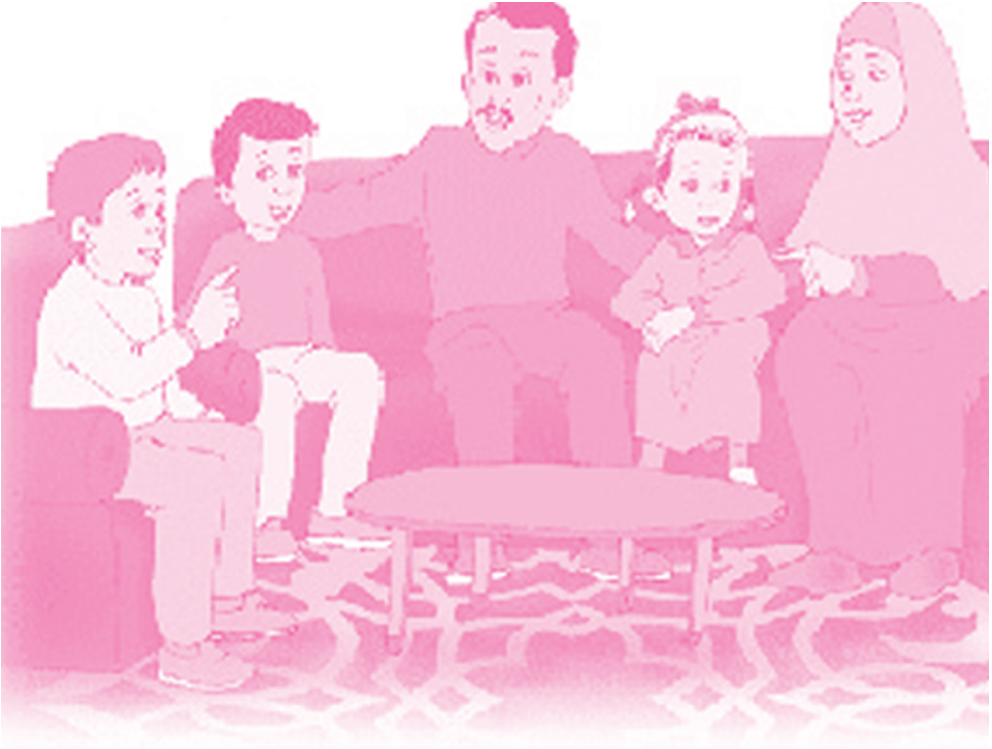
الأب والأم: بارك الله فيكم، وأعانكم على الالتزام بدينكم.

زينب: لقد تمت بحمد الله أركان الإسلام الخمسة.

الأب: نعم، ولكن الأركان وحدها لا تقيم بيتاً كاملاً بل لابد من أشياء أخرى مكّلة، سأحدثكم عنها في الجلسة المقبلة إن شاء الله، أم تراكم مللتم هذه الجلسات.

الأولاد: معاذ الله.. إننا نسعد بهذه الجلسات.

الأب: شكراً لكم.



قيمنا

- الإسلام بناء متكامل.
- الرباط الأسري.
- رعاية حق الجار.
- حقوق المسلمين بعضهم على بعض.
- المسؤولية الاجتماعية.
- التسامح مع ذوى الأديان الأخرى.
- الرفق بالحيوان.



الإسلام بناءً متكامل

جلس الأولاد ينتظرون أباهم في شوق، فهم يتوقون إلى سماع حديثه عن الأشياء الجديدة التي تكمل بناء الإسلام إلى جانب الأركان التي عرفوها وأقبل الأب والأم فسلمها على الأولاد بسلام الإسلام وتحيته: السلام عليكم.. وبدأ الأب الحديث.

الأب: قلت لكم في الجلسة الماضية إن الأركان هي أساس البناء ولكنها ليست كل شيء فيه، فإذا أخذنا البيت مثلاً نجد البناء يقوم على الأركان - أى الجدران - ولكنه لا يصلح للسكنى حتى يستكمل أشياء أخرى مثل السقف والأبواب والنوافذ وغيرها من مكملات البناء. وكذلك الإسلام لا يمكن أن يوصف به الفرد إلا إذا حقق أركانه التي عرفناها ولكن لا يكتمل الإسلام في قلب المسلم إلا إذا التزم بأشياء أخرى لا يكون مسلماً كاملاً إلا بها من أهمها القيم والأخلاق، وحديثنا في هذه الجلسة والجلسات التي تليها سيكون عن القيم الإسلامية، ثم بعد ذلك الأخلاق الإسلامية.

زينب: ما معنى القيم يا أبي؟

الأب: القيم هي مجموعة الأشياء التي يحرص كل مجتمع أن يلتزم بها كل فرد من أفراده، وأن يحترمها، وإذا خرج فرد على هذه القيم نظر إليه المجتمع في احتقار.

القيم الإسلامية :

وللإسلام قيم كثيرة يدعو المسلمين إلى التمسك بها، وتميز المجتمع الإسلامى عن غيره من المجتمعات، من هذه القيم مثلاً: الرباط الأسرى، ورعاية حق الجار، والمسئولية الاجتماعية، والتسامح وغير ذلك مما سنعرض له في جلساتنا.

الرباط الأسري

وسنبداً بالحديث عن الأسرة وأسألکم عن أهم دعائم الأسرة.

عمر: الأب والأم.

الأب: ولكن قبل أن يكون الأب أباً والأم أمّاً، ماذا كانا؟

أحمد: زوج وزوجة.

الأب: نعم، إذن دعامة الأسرة الزوج والزوجة، ثم يوجد الأولاد، ويكبرون

فماذا يصبح الزوج والزوجة؟

أحمد: يصبحان أباً وأمّاً.

الأب: أحسنت.. فما الرابطة التي تربط بين الأولاد؟

أحمد: رابطة الأخوة فيصبحون إخوة وأخوات.

الأب: ثم يكبر الإخوة ويتزوجون ويكون لهم أولاد، فيكون الأب والأم جدّاً

وجدة، ويصبح الإخوة أعماماً وأخوالاً، وهكذا تتألف الأسرة.

معايير اختيار الزوج والزوجة

ولنبداً حديثنا عن الزوج والزوجة، لقد شجع الإسلام على الزواج، وحث

المسلمين عليه، ودعا كلاً من الزوج والزوجة إلى حُسن اختيار كل منهما للآخر، فما

المعايير التي وضعها الإسلام للاختيار؟ ما رأيك يا أحمد؟

أحمد: لقد كان مقررّاً علينا حديثاً نبوياً شريفاً يذكر معايير الاختيار، فجعلها

أربعة: المال والجمال والحسب والدين، ثم دعا المسلمين إلى اختيار المرأة المتدينة.

الأب: عظيم.. هذه المعايير التي ذكرتها هي التي يختار على أساسها الرجل الذي

يريد الزواج زوجته، ونص الحديث الشريف هو: ”تنكح (تُزوج) المرأة لأربع: لملها، وجمالها، وحسبها، ودينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك“^(١).

زينب: ما معنى العبارة الأخيرة يا أبي؟

الأب: تقصدين ”فاظفر بذات الدين تربت يداك“؟

زينب: نعم.

الأب: الظفر هو الفوز والحصول على الشيء، وتربت يداك عبارة يقصد بها تأكيد المعنى والحث عليه، فالحديث يحث المسلم على اختيار المرأة ذات الدين أى المتدينة، ويعتبر اختيارها غنيمة يفوز بها الزوج.

عمر: ما معنى الحسب؟

الأب: الحسب هو الجاه والسلطان والأسرة العريقة.

الأم: إن جعل الدين أهم مقياس في الزواج هو أساس نجاح أى زواج، وأما المقاييس الأخرى وحدها فقد تؤدي إلى فشل الزواج، فالمرأة الجميلة قد تغتر بجمالها فتسوء أخلاقها، وتنفق وقتها في المحافظة على جمالها، وتهمل بيتها وأولادها، والمرأة الغنية قد تتعالى على زوجها وتنظر إليه باحتقار إذا كان فقيراً، وتظن دائماً أنه تزوجها لملها، فتسوء العشرة بينهما، وكذلك المرأة بنت صاحب الجاه والنفوذ وسليمة الأسرة العريقة، وأما المرأة المتدينة فهي ترعى الله في زوجها وأولادها وبيتها وتعرف حق زوجها عليها.

الأب: وليس معنى ذلك أن الإسلام يدعو إلى اختيار المرأة القبيحة أو الفقيرة

(١) رواه البخارى بسنده عن أبى هريرة ؓ .

أو الخاملة، ولكنه يدعو إلى أن يكون الدين أساس الاختيار، ولا بأس أن يجتمع مع الدين الجمال أو الغنى والجاه، لكن إذا فقد الدين فلا قيمة للمقاييس الأخرى مهما كانت عظيمة.

أحمد: هذا بالنسبة للزوجة، فماذا بالنسبة للزوج؟

الأب: نفس المقياس، وهو الدين، فقد أمرنا الرسول الكريم ﷺ بذلك فقال: "إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير" ^(١)، ولاحظوا الجزء الأخير من الحديث: "إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير" فهو يحذرنا من الجرى وراء قيم أخرى مثل المال أو الجاه أو غيرهما من المظاهر الخادعة، لأن ذلك سيؤدي إلى إقامة بيوت الزوجية على أساس غير متين، فسرعان ما تنهار، وقد أفهمنا القرآن الكريم أن الفقر ليس أمراً ملازماً للإنسان، بل قد يغنى الله الفقير، فقال تعالى: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (النور: ٣٢).

أحمد: لكن يا أبا نرى كثيراً من الفتيات لا يراعين مبادئ الدين في سلوكهن، وكذلك يفعل كثير من الشبان، وهنا يكون العثور على الملتزمين والملتزمات بالدين أمراً صعباً.

الأب: يا بني إن المجتمع الإسلامي بخير، وسيظل إن شاء الله بخير ما دام بيننا القرآن الكريم والسنة النبوية، والمظاهر الشائنة التي تراها من بعض الفتيات والفتيان، والتي تخرج عن نطاق الفضيلة ليست هي القاعدة، وإنما الذي يضخمها وسائل الإعلام المختلفة جرياً وراء المدينة الغربية التي تحررت - أو بعبارة أدق -

(١) رواه الترمذي بسنده عن أبي حاتم المزني .

تحللت من الأخلاق الفاضلة، وبعضهم يسعى إلى أن يفعل بنا ذلك، وقد توعده الله الذين يحاولون دفع المجتمع إلى طريق الرذيلة بالعذاب الأليم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ (النور: ١٩)، أما الأغلبية العظمى من المسلمين والمسلمات فيتحلون بالفضيلة، ولكن الرذيلة هي الأكثر بريقاً، وجذباً للأنظار، فتبدو كأنها هي السائدة.

أحمد: لكننا نرى انصراف كثير من الشباب والشابات أيضاً عن الزواج.

الأب: هذا من تعقيدات المجتمع التي جعلت مشروع الزواج مشروعاً اقتصادياً ضخماً لا يقدر عليه إلا الأقلون، إلى جانب تساهل بعض الأسر نحو سلوك أبنائهم وبناتهم، فأُتيحت لهم فرص العلاقات الخاطئة، وهذا جعل بعض الشباب يعزف عن الزواج لعدم اطمئنانه إلى عفاف الفتاة.

أحمد: أريد أن تحدثنا عن موقف الإسلام من تعقيدات الزواج وتحرر أو تحلل بعض الشباب من قواعد السلوك الخلقى.

موقف الإسلام من تعقيدات الزواج والسلوك المتحرر للشباب

الأب: إن الزواج في رأى الإسلام عمل سهل لا يحتاج إلا إلى حُسن اختيار شريكى الحياة بعضهما لبعض، ومهر مناسب ليس فيه مغالاة، ومسكن يأوى الزوجين، هذه هي متطلبات الإسلام في الزواج، ولكن انظروا إلى أهل عصرنا وماذا يشترطون: أولاً شقة مناسبة، وما أدراكم ما الشقة، وما تحتاج إليه من مال يعجز عنه الشباب ذوو الدخل المتوسط، فما بالكم بالفقراء، ثم تجهيز هذه الشقة بالأثاث الذى يجب أن يتباهى به أهل الزوج أو أهل الزوجة، والأجهزة الكهربائية وما أكثرها.. فكيف يستطيع الشاب الزواج بهذه الطريقة.. إن هذه المغالاة يرفضها الإسلام، فقد

كان يحث على أن يكون المهر قليلاً، وهو كل ما كان يطلب من الزوج، فقال ﷺ: "إن أعظم النساء بركة أيسرهن مؤنة"^(١).

وأما رأى الإسلام في الأمر الآخر وهو تحلل بعض الشباب، فإن الإسلام يرفضه رفضاً باتاً، وقد توعد عليه بالعذاب الأليم، لقد وضع الإسلام دستوراً لسلوك الرجل والمرأة في العلاقة بينهما، فدعا الرجال الذين لا يستطيعون الزواج إلى التزام العفة فقال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (النور: ٣٣) وأوضح الرسول ﷺ وسيلة الاستغفاف في حديثه الشريف: "من استطاع منكم الباءة فليتزوج.... ومن لم يستطع فعليه بالصوم"^(٢)، والباءة هي القدرة على تكاليف الزواج، فالذى يستطيع أداء تكاليف الزواج فليتزوج، وأما الذى لا يستطيع فعليه أن يصوم، فاعتبار أن الصوم يضعف فورة الشباب مؤقتاً، فلا ينفق الشاب وقته في التفكير في الزواج، ومثل الصوم في أداء هذا الغرض ممارسة الألعاب الرياضية، أو الانهماك في نشاط اجتماعي أو ثقافي، وإن كان الصوم هو الأفضل، لأنه يسمو بنفس الإنسان، ويحقق له الثواب في الآخرة، كما دعا الإسلام الرجل إلى البعد عن مواطن الفتنة، فأمره أن يغض بصره إذا رأى امرأة في طريقه حتى لا تفتنه رؤيتها فيقع في الرذيلة.

زينب: ما معنى غض البصر؟

الأب: معناه تحويل النظر عن شيء ما، فإذا رأى رجل امرأة أو رأت امرأة رجلاً على كل منهما تحويل نظره إلى اتجاه آخر.

أحمد: يا أبى لقد أصبح النظر إلى المرأة الآن أبسط الأشياء، وحضرتك تعرف

(١) روى عن عائشة رضى الله عنها.

(٢) رواه البخارى ومسلم وغيرهما بأسانيدهم عن ابن مسعود ؓ.

وسائل الإغراء المتنوعة التي يحاول شياطين الإنس بها دفع الرجال والنساء إلى الرذيلة دفعاً.

الأب: نعم - مع الأسف - فهو مخطط شيطاني يريد أن يشيع الانحلال بأشع صوره في المجتمع، وهذا يلقي على كاهل الأسرة عبئاً ثقيلاً لتحمي أفرادها من هذا الطوفان والله المستعان.

ولأن المرأة هي موطن الفتنة فقد أمرها الإسلام إلى جانب غض البصر بالحشمة فقد أمرها الله بعدم إظهار زينتها للرجال إلا إذا كانوا أقرباء محارم، أى يحرم على كل واحد منهما أن يتزوج من الآخر كالأب وابنته، والأخ وأخته، وغيرهما ممن تُحرّم عليهم القرابة القريبة أو المصاهرة زواج بعضهم من بعض.

أحمد: ما الحد المباح للمرأة أن تظهره من جسمها للرجال غير المحارم؟

الأب: الوجه والكفان.. وما عدا ذلك لا يجوز إظهاره أمام الرجال.

عمر: لكن هناك نساء يضعن النقاب على وجوههن ويلبسن في أيديهن قفازات ليسترنها، فهل هذا مطلوب؟

الأب: لا، ليس مطلوباً فهذه مبالغة لا حاجة إليها.

زينب: إذن المطلوب الحجاب فقط.

الأب: نعم، الحجاب فرض على كل مسلمة بلغت الرابعة عشرة أو نحوها وهذا أمر رباني أتى به القرآن الكريم، وكل دعوة إلى مقاومته تعتبر معارضة للدين، وإلى جانب الحجاب على المرأة أن تبتعد عن الملابس التي تكشف عن جسمها، لأنها شفافه تصف ما تحتها، أو ضيقة تحدد ما تحتها.

الخطبة

أحمد: قبل الزواج تكون الخطبة فما الذى يحل للشاب والشابة في هذه الفترة؟ وهل ما نراه من انفراد الخطيبين وحدهما، والخروج معاً وحدهما، والتصرف في كثير من الأشياء كأنهما زوجان.. هل هذا حلال؟

الأب: لا، هذا حرام بكل تأكيد، وهو تقليد لقيم الغرب، فالخطبة من منظور الإسلام مشروع زواج قد يتم وقد لا يتم، وقد أباح الإسلام للرجل أن يدقق النظر إلى المرأة التى يريد أن يتزوجها، فإذا أعجبته تقدم لخطبتها، وفي أثناء الخطبة لا بأس من أن يجلس معها بحضور أحد محارمها، ولكن لا تظهر من زينتها إلا الوجه والكفين، لأن الرجل لا يزال غريباً عنها، وكل هذه الاحتياطات صون لكرامة المرأة، وإبعادها عن كل شبهة، فإذا فشل مشروع الزواج لا تخسر شيئاً، ولقد قرأنا كثيراً من مشروعات للزواج فشلت، وخسرت المرأة كثيراً لأنها ابتعدت عن قيم الإسلام في فترة الخطوبة.

واجبات كل من الزوجين وحقوقهما تجاه الآخر

الأب: بعد أن يتم الزواج يرسم الإسلام لكل من الزوجين حقوقه وواجباته.

الأم: لقد حدد القرآن الكريم هدف الزواج في آية عظيمة تبين سمو نظرة الإسلام إلى الزواج، ولخص هذا الهدف في ثلاثة أمور: السكن، والمودة، والرحمة، فقال تعالى:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم: ٢١) أما السكن فهو الاطمئنان والراحة، فكل من الزوجين يجد لدى الآخر ما يزيل عنه هموم الحياة ومتاعب العمل ويحس براحة نفسية عميقة معه تملأ النفس رضاءً، وتجعلها مستعدة لتحمل مشاق الحياة معها

صعبت، وأما المودة فهي الحب المتبادل بين الطرفين، حب هادئ عميق يجعل للحياة طعماً، وأما الرحمة فهي إحساس كل طرف بالآلام الآخر، وإشفاقه عليه ومساعدته على تحملها، أليس كذلك يا زوجي العزيز؟

الأب: بلى يا زوجتي العزيزة، لقد أحسنت الشرح والتحليل، ونحمد الله أن حباننا بهذه المشاعر، ونسأله أن يحقق لأولادنا مثلها.

أحمد: أدام الله عليكما نعمته.. نريد أن نعرف حقوق كل زوج على الآخر، وهل للزوج الرياسة المطلقة، والكلمة النافذة في كل شؤون الأسرة كما يُقال؟

الأب: يا بني، الزواج شركة بين اثنين، وهو رابطة يريد الإسلام لها الدوام وسيستج عن هذه الشركة أولاد، ويُحتاج إلى تدبير أمورهم، وتدبير شأن المنزل وغير ذلك من متطلبات الحياة، فهل يترك الأمر مشاعاً في هذه الشركة يتصرف كل من الطرفين حسبما يريد دون تخطيط أو تدبير، لو حدث هذا لدبت الفوضى في هذه الشركة.. إذن لا بد أن يكون فيها مسؤول يخطط لها ويدبر أمورها، وبطبيعة الحال يكون هذا المسؤول هو الرجل لسببين ذكرهما الله تعالى في قوله: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ (النساء: ٣٤) ولعلكم فهمتم السببين: الأول هو فضل الرجل في قوة البدن وقوة العقل، وذلك أن الله حين خلق الجنس شاء للرجل أن يتحمل هو المسؤولية فمنحه قوة في جسمه وقوة في عقله، ففرى الرجل من حيث التكوين الجثمانى أقوى من المرأة، فغالباً ما يكون هو الأطول والأشد عضلاً والأقوى تحملاً وصبراً، ومن حيث العقل نجد لديه قدرة أكبر على تقبل المعارف واستيعابها، وعلى حل معضلات الأمور، واختراع الأشياء وغير ذلك.

أحمد: (ضاحكاً) ما رأيك يا ماما في هذا الكلام؟

الأم: إنني موافقة عليه تماماً. فأنا أكره أشد الكره مخالفة الفطرة التي فطر الله الناس عليها، ولا يعيننا هذا - نحن النساء - فإذا كان الله قد حبا الرجال بأمور فقد حبا النساء بأشياء أخرى لا تقل عنها أهمية، فمنها رقة الإحساس، وقوة العاطفة، والقدرة على التضحية والإيثار.

الأب: صدقت أمكم.. عموماً هذه الخصائص بوجه عام.. بمعنى أن الرجال في مجموعهم يتصفون بقوة الجسم والعقل، وأن النساء في مجموعهن أقل من الرجال في هاتين الصفتين، ولا مانع أن توجد نساء أقوى في الجسم والعقل من بعض الرجال، ولكن الإسلام يضع تشريعاته على الأعم الأغلب.

وأما السبب الثاني لقوامه الرجال على النساء: فهو الإنفاق من أموالهم، فهم المسؤولون عن الإنفاق على الأسرة، ولا تطالب المرأة بالإنفاق عليها حتى لو كانت الزوجة غنية، والزوج فقيراً إلا إذا تفضلت بالإنفاق من مالها تبرعاً وتكرماً دون إجبار.

أحمد: إننا نسمع عن كثير من الرجال يأخذون مرتبات زوجاتهم العاملات وينفقون منه، ولا يبقون لهن شيئاً.

الأب: هذا خطأ يرفضه الإسلام.. فالإسلام يترك مال الزوجة لها مهما كثر، ولا حق للزوج فيه بل يترك لها حرية التصرف فيه، وهذا سبب من أسباب قوامته، وأحب أن أنبهكم إلى أن قوامه الرجال على النساء لا تعنى الاستبداد بأمر الأسرة، والإساءة إلى الزوجة، بل إن المسألة مسألة تنظيمية لتسيير أمر الأسرة، وعلى الزوج مراعاة ذلك، وأن يعرف أنه إذا كان له حق على زوجته، فلزوجته عليه حق مثله، ولكن الزوج يزيد على زوجته درجة هي حق الإدارة والبت في أمور الأسرة، وقد صرح القرآن الكريم بذلك فقال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ

دَرَجَةُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ❁ (البقرة: ٢٢٨) وانظروا إلى ختام الآية، فقد وصف الله نفسه فيها بصفتين مناسبتين للموقف هما: العزة والحكمة، فهو عزيز لا يغلبه أحد قادر على أن ينزل عقابه بمن يخالف أمره، وهو حكيم يضع الأمور في نصابها، وقد اقتضت حكمته أن يجعل للرجال على النساء درجة لا من أجل الاستعلاء عليهن وظلمهن، وإنما من أجل تسيير شؤون الحياة الأسرية.

أحمد: ما حقوق كل من الزوجين على الآخر؟

الأب: هناك حق متبادل بينهما، وهو حُسن معاشرة كل منهما للآخر، وبذل كل جهد لجعل الحياة الزوجية مريحة تحقق ما شرع الله الزواج من أجله وهو السكن - أى الاطمئنان والراحة النفسية - والمودة والرحمة وقد أوصى الله الزوج خاصة أن يحسن عشرة زوجته حتى لو كرهها، وألا يجعل مشاعره نحوها - إذا كرهها - تتحكم في سلوكه معها فيسيء معاملتها، وتأملوا قول الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ١٩) فالله في هذه الآية يحث المسلم على حُسن معاملة زوجته وإنه لو كرهها فقد يحقق الله على يديها الخير الكثير له.

الأم: إننا نشاهد أمثلة كثيرة في مجتمعنا على صدق هذا، فقد يتزوج الرجل امرأة لا يحبها، ولكنها بعقلها وحُسن تديرها، وطيب عشرتها، وبحسن تربية أولادها تجعل حياة زوجها هائلة مريحة وتحقق له السلام والطمأنينة في بيته، فتكون النتيجة تحول مشاعر زوجها نحوها إلى حب واحترام، والعكس يحدث كثيراً فكم رأينا رجالاً تزوجوا عن حب وظنوا أن هذا الحب سيحقق لهم السعادة، ولكن سرعان ما انقلب الحب كرهاً بسبب سوء أخلاق الزوجة، وعدم تقديرها لمسؤوليات البيت والأسرة.

الأب: لذلك يجب ألا ينخدع الرجل وكذلك المرأة بالمظاهر الخادعة، وقد أوجب الإسلام أيضاً على الزوج - إلى جانب حُسن العشرة - الإنفاق الكامل على الزوجة من مطعم ومشرب وملبس ومسكن.

وأما حق الزوج على زوجته - إلى جانب الحق الأساسي المتبادل بينهما وهو حُسن العشرة - فهو طاعتها إياه في كل ما يطلب منها من الأمور التي لا تخالف الشرع ولا العرف الصحيح الجارى في المجتمع، وهذا أمر طبيعي بما له من حق القوامة، وعليها أيضاً أن تحافظ على ماله الذي تحت يدها، وتنفقه في وجهه الصحيح، وأن تلتزم بفضيلة العفة وتلتزم بقواعد الأخلاق الحميدة، وكذلك عليها ألا تسمح لأحد بدخول منزله في غيابه ممن تعرف أنه لا يريد دخولهم منزله في غيابه.

أحمد: ولكن قد يحضر لزيارتها في غيابه بعض أقاربها ابن عمها مثلاً أو ابن خالتها.

الأب: هؤلاء الأقارب غير محارم للزوجة فلا يصح أن يدخلوا عليها في غياب زوجها، وألا تخلو معهم في مكان، وأما إذا كان الزوار من المحارم كالعم والخال أو بعض قريباتها، وكانت تعلم أن زوجها لا يمانع في دخولهم فعليها أن تستقبلهم في غيابه، وأظن أنه يكفيها الآن الحديث عن الزوجين، ولنتقل إلى عنصرين هامين من عناصر الأسرة هما: الأبوان، ولكن في الجلسة المقبلة إن شاء الله، فقد طالت جلستنا هذه الليلة، وشكراً لكم.

الأولاد: الشكر لك يا أبى ولأمناء.. وجزاكم الله عنا خيراً.

الوالدان

وفي الجلسة التالية أخذ الأب زمام الحديث بعد أن حيا أسرته.

الأب: لقد اهتم الإسلام بالوالدين اهتماماً كبيراً يشمل ذلك في الوصايا الكثيرة

التي وردت في القرآن الكريم الذي جعل الإحسان إليهما تالياً للأمر بعبادة الله وعدم الإشراف به، تأملوا معنى هذه الآيات: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا﴾ (النساء: ٣٦)، و﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا﴾ (الأنعام: ١٥١)، و﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا﴾ (الإسراء: ٢٣) فكل هذه الآيات تدعو إلى عبادة الله وحده، ثم يتبع ذلك بالوصية بالإحسان إلى الوالدين، وأستطيع أن أقول: إن معظم آيات القرآن الكريم التي دعت إلى الإحسان بالوالدين جاءت على هذا النسق، بل إن هناك آية دعا فيها الله الإنسان إلى شكر الله وشكر الوالدين، يقول الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْهِ إِلَىٰ الْآخِرَةِ﴾ (لقمان: ١٤) وذلك لأن الله هو المنعم الأول على الإنسان بنعمة الوجود، والوالدان هما السبب المباشر في وجوده، وقد طلب الله من الأبناء ألا يسيئوا إلى الوالدين أية إساءة حتى لو كانت تتمثل في كلمة "أف" التي تدل على الضجر، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَلْبِغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (الإسراء: ٢٣) ولم تقف وصية القرآن الكريم عند حد عدم الإساءة إليهما بل أمرت أن يكون قول الابن لهما قولاً كريماً معبراً عن مدى حبه لهما، واعترافه بجميلهما عليه في تربيته الأولى وهو ضعيف صغير.

وانظروا إلى التعبير القرآني: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء: ٢٤) فهو يطلب من الابن أن يبدي للأبوين تواضعاً وتذلاً لهما في أثناء تعامله معهما، وقد خص القرآن حالة الكبر للوالدين لأنها الحالة التي يحتاج فيها الوالدان إلى حسن الرعاية لشعورهما بالعجز والضعف، كما أن

هذه الحالة قد تغرى الأبناء بإهمالهما والاستهزاء بهما.

وقد اختص القرآن الأم بمزيد من عناية، فتحدث عن معاناتها في أثناء الحمل والرضاعة كما مر في الآية السابقة ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ﴾ (لقمان: ١٤) والوهن هو الضعف أى أنها في حملها كانت تزداد ضعفاً على ضعف بسبب الحمل كما أنها أرضعته عامين أو أقل قليلاً، وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ (الأحقاف: ١٥) والمراد بالكره هنا المشقة أى كانت أمة تعاني في حمله وولادته مشقة شديدة.

والرسول ﷺ في أحاديث كثيرة دعا إلى بر الوالدين، ويكفي هذا الحديث الذى يدعو فيه على الابن الذى عاش مع أحد أبويه أو كليهما فلم يتخذهما وسيلة لدخول الجنة بأن يحسن إليهما ويكرمهما بل أساء معاملتهما فحرم من دخول الجنة.. يدعو الرسول ﷺ على هذا الابن برغم الأنف أى الذل، قال عليه الصلاة والسلام: "رغم أنفه.. من أدرك أبويه أو كليهما فلم يدخله الجنة"^(١)، وعندما سئل الرسول ﷺ عن أى الأعمال أفضل؟ قال: "الصلاة لوقتها، قيل: ثم أى؟ قال: بر الوالدين، قيل ثم أى؟ قال: الجهاد فى سبيل الله"^(٢)، فانظروا إلى منزلة الوالدين لقد جاء تالياً للصلاة فى وقتها وسابقاً على الجهاد فى سبيل الله، وكما خص القرآن الأم بعناية أكبر كذلك خصها الرسول ﷺ بعناية أكبر واطنكم جميعاً تحفظون الحديث المشهور: "من أحق الناس بحسب صحابتي".

زينب: أنا أحفظه، "سأل رجل النبي ﷺ: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال:

(١) رواه مسلم بسنده عن أبى هريرة ؓ .

(٢) رواه البخارى ومسلم بسنديهما عن ابن مسعود ؓ .

أمك، قال ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أبوك" (١).

الأب: نعم.. وفي هذا إشعار للأبناء بأن يكون تعاملهم مع الوالدين من مقام الإحساس بأنهما هما دائماً الأسمى مقاماً والأعلى منزلة في نظر أبنائهما، على فكرة يا زينب عندما أقول الابن أو الأبناء فأنا أقصد البنت والبنات ولكن أقول هذا من باب الاختصار.

زينب: أعرف يا أبى.

الأم: أذكر قصة في هذا الإطار وهو أن رجلاً كان يحمل أمه العجوز على كتفيه ويطوف بها حول الكعبة، وكان النبي ﷺ يطوف أو أحد الصحابة لا أذكر فالتفت إليه الرجل وقال له: أترانى أديت حق أمي؟ قال له: ولا أقل القليل فإنها كانت تحملك صغيراً وهى ترجو لك الحياة، ولكنك تحملها الآن وأنت تنتظر موتها.

الأب: وهكذا يحرص الإسلام على أن يقوم الأولاد ببر والديهم، وأن يبذلوا كل ما في وسعهم لإرضائهم، والتحجب إليهم وخصوصاً في حالة الكبر، حتى لو كان الوالدان كافرين على الأولاد العطف عليهما، لقد كانت أم السيدة أسماء بنت أبى بكر المعروفة بذات النطاقين مشرقة، وجاءت إلى ابنتها أسماء مرة تزورها، فذهبت أسماء إلى الرسول ﷺ وسألته: هل أصل أمي؟ قال لها: نعم صلى أمك، أى أكرمها وأعطيها بعض المال، ولو حاول الأبوان الكافران أن يمنعا أولادهما المسلمين من أداء فرائض الإسلام، وطلباً منهم الارتداد عن الإسلام، فعلى الأولاد ألا يطيعوهما في ذلك، ولكن يستمرون في حسن التعامل معهما كأبوين كما قال تعالى في هذا الشأن: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ (لقمان: ١٥) فبر الوالدين قيمة من أهم قيم الإسلام، وقد نهى الرسول ﷺ عن

(١) رواه البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى هريرة .

عقوق الوالدين، وجعله قريباً للإشراك بالله، فقال: "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس فقال: ألا وقول الزور"^(١).

أحمد: وهل ترانا يا أبى أولاداً بررة؟

الأب: والله يا أولادى، إنى أشهد الله أنكم أولاد بارون، وأبشركم بأن الله سيرزقكم بأولاد يكونون لكم بررة كما أنتم الآن، لأن الله يجزى كل إنسان بعمله فى الدنيا والآخرة.

الأم: وأنا أيضاً يا أولادى راضية عنكم وعن حُسن معاملتكم لنا، وأبشركم أيضاً بالذرية الصالحة التى تقرأ أعينكم، وقد ذكرنى هذا الحديث طُرفة تروى: وهى أن أحد الأبناء العاقين كان يسىء معاملة والده، ويضربه أحياناً بعضاً كان يحتفظ بها لهذا الغرض، وذات مرة بحث عنها فلم يجدها - وكان له ابن - فسأله عنها فقال الابن: لقد أخذتها وسأحتفظ بها عندى، فقال له أبوه: لماذا تحتفظ بها؟ قال له ابنه: لأضربك بها عندما أكبر مثلما تفعل بجدى.

الأب: كثيراً ما يحدث هذا.. فالله قد يمهّل ولكنه لا يهمل.

شكراً لكم يا أولادى.. سننهى حديثنا الليلة فاذهبوا واستريحوا.

الأولاد: شكراً لك يا أبى.. شكراً لك يا أمى، وجزاكم الله عنا خيراً.

الأقارب

وبدأ الأب حديثه فى الجلسة التالية - بعد أن حيا أسرته - قائلاً:

(١) رواه الشيخان عن أبى بكر.

الأب: حدثكم في الجلسة الماضية عن رعاية الوالدين، والأسرة لا تقتصر على الوالدين، بل عندما تكبر وتتفرع يكون فيها الإخوة والأخوات، والأعمام والعمات وغيرهم، ويطلق على هؤلاء جميعاً: أولو الأرحام، أو ذوو الأرحام.. وقد أوصى الله بهم كثيراً في قرآنه، وتسمى المعاملة الحسنة لهم "صلة الرحم" لأن الرحم معناها هنا القرابة - وجعل الله الإحسان إلى الأقارب تالياً للإحسان إلى الوالدين، فقال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ (النساء: ٣٦) وهناك أحاديث كثيرة تحت على صلة الرحم منها قوله ﷺ: "من أحب أن يُيسر له في رزقه، ويُيسر له في أثره فليصل رحمه"^(١) ومعنى ينسأ له في أثره: يؤخر له في أجله، أى يطول عمره، فالحديث يَعِدُ الذى يصل رحمه بأمرين محبوبين لكل البشر هما كثرة المال، وطول العمر، وفي حديث آخر أن رجلاً سأل الرسول ﷺ عن عمل يدخله الجنة ويباعده عن النار فقال له: "تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم"^(٢)، فانظروا منزلة صلة الرحم في الإسلام إنها في درجة قريبة من عبادة الله وحده وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

عمر: وكيف يصل الإنسان رحمه؟

الأب: إن صلة الرحم أمر يسير لا تكلف شيئاً، فأنت لك أعمام وعمات وأخوال وخالات وأولاد عم وأولاد خالة فما عليك إلا أن تزورهم بين الحين والحين، تسأل عن أخبارهم، وإن نجح أحدهم في الامتحان أو تزوج أو رُزق بمولود تذهب وتهنئه، وإن حدث لأحد منهم حادثة سيئة تذهب إليه لتواسيه، وهكذا تكون دائم السؤال

(١) رواه الشيخان بسنديهما عن أنس بن مالك .

(٢) رواه الشيخان بسنديهما عن أبي أيوب الأنصاري .

عنهم، فهل يكلفك هذا شيئاً؟

عمر: لكنهم أحياناً لا يؤدون لى الواجب، فأنا أعاملهم بالمثل.

الأب: هذا خطأ.. لقد نبهنا الرسول ﷺ ألا نفعل ذلك فقال: "ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل من إذا قُطِعَتْ رحمه وصلها" ومعنى الحديث أنه لا يعتبر واصلاً لرحمه ويستحق ثواب الله العظيم لذلك، الذى يكافئ أى الذى يفعل مثل ما فُعلَ له بأن يزور من زاره، ويقدم هدية لمن قدم له هدية، ولكن الواصل الذى يستحق الثواب العظيم هو الذى يزور أقرباءه الذين لا يزورونه، ويقدم هدية فى المناسبات إلى قريبه الذى لا يقدم له هدية فى مناسباته، فمثل هذا العمل يؤدى إلى أن تشيع المحبة بين الأقارب، فيحس المقاطع بخطئه فيرجع عنه.

الأم: انظروا يا أولادى إلى قول الله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت: ٣٤) فإذا كان أعداؤنا إذا أحسنا إليهم انقلبوا أصدقاء أعزاء، فما بالكم بالأقرباء.

زينب: المثل يقول: الأقارب كالعقارب.

الأب: أعوذ بالله.. هذا خطأ فاحش يا زينب، هذا المثل يعبر عن روح منافية للإسلام تماماً، ولا يُصدّق هذا المثل إلا إنسان يكره الناس جميعاً، ويريد دائماً أن يأخذ ولا يعطى.. إن الإسلام يرفض هذا المثل، ويعتبر صلة الرحم من أعظم القربات إلى الله، وسأذكر لكم حديثاً آخر يؤكد اهتمام الإسلام بصلة الرحم، فالحديث يصور لنا الرحم وكأنها شخص، وهى معلقة بالعرش وعرش الله تعالى - وتقول: "من وصلنى وصله الله، ومن قطعنى قطعه الله"^(١)، وفى حديث آخر يكمل هذا الحديث

(١) رواه الشيخان بسنديهما عن عائشة رضى الله عنها.

فيذكر أن الرحم تتعلق بالعرش وتخطب الله سبحانه وتعالى: ”هذا مقام العائذ بك من القطيعة“ أى أنا أقف هذا الموقف وأنا خائفة أن يقطعنى الأقارب فلا يصل بعضهم بعضاً، فيرد عليها قائلاً: ”أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: لك ذلك“^(١)، فإذا كان الحديث الأول يذكر دعاء الرحم لله أن يحسن إلى من يصلها ويعاقب من قطعها فإن الحديث الآخر يذكر استجابة الله لهذا الدعاء، فقد وعد الرحم أنه سيحقق لها ذلك.

عمر: لكن كيف تستطيع الرحم وهى معنى من المعانى أن تتعلق بالعرش وتتكلم وتدعو؟

الأب: هذه صورة رمزية يبين الرسول ﷺ من خلالها عظم ثواب من يصل رحمه، وعقاب من يقطعها، ولا مانع أن يجسم الله المعانى، ويجعلها فى صورة الإنسان. ونكتفى الليلة بهذا القدر، وسأحدثكم فى الجلسة المقبلة إن شاء الله عن قيمة أخرى من قيم الإسلام هى رعاية حق الجار، فى اللقاء.

الأولاد: إلى اللقاء يا أبى، وشكراً لك ولأمنا.

(١) رواه الشيخان عن أبى هريرة.

رعاية حق الجار

بدأ الأب الجلسة محيياً أسرته، وأخذ يسأل عن أحوالهم ثم قال:

الأب: لم يكتف الإسلام ببيان حقوق جميع أفراد الأسرة، بل ارتقى إلى مستوى إنساني آخر بعيد عن القرابة من النسب ولكنه قريب في المكان، وهو الجار فلا بد أن تسود بين الجيران عاطفة محبة ومودة وتراحم، لأن الجار ملازم لنا أكثر من ملازمة الأقارب أحياناً، فهو بجوارنا دائماً نلقاه صباح مساء، بينما قد يكون القريب في مكان بعيد، ولذلك وجبت رعاية الجار حتى يعم السلام والمحبة المجتمع الإسلامي كله، وقد بلغت عناية الإسلام برعاية حق الجار حدّاً كبيراً يصوره هذا الحديث الشريف: ”ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه“^(١)، فالرسول ﷺ يذكر أن جبريل - وهو رسول الله إلى أنبيائه - أكثر من توصيته برعاية الجار حتى ظن الرسول أنه سيجعل له نصيباً من الميراث كأقرب الأقرباء.

وقد دعا القرآن الكريم إلى الإحسان إلى الجار في قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ (النساء: ٣٦).

وقد قُسمت الآية الكريمة الجيران إلى ثلاث فئات: الجار ذى القربى، أى الجار الذى تربطه بجاره صلة قرابة كالأخ والعم والخال وغيرهم من الأقرباء حينما يكونون

(١) رواه الشيخان بسنديهما عن عائشة رضى الله عنها.

جيراناً فهو لاء لهم علينا حقان: حق القرابة وحق الجوار، والفئة الثانية الجار الجنب، وهو الجار الغريب الذى لا تربطنا به صلة قرابة، والفئة الثالثة "الصاحب بالجنب" والمراد به الرفيق فى السفر والزميل فى العمل أو المدرسة، فهذان النوعان لهما حق الجوار.

أحمد: ما هو حق الجار يا أبى؟

الأب: لقد سئل رسول الله ﷺ عن حق الجار فجاء جوابه جامعاً شاملاً يتضمنه هذا الحديث الشريف:

روى معاذ بن جبل **ع** قال: "قلنا يا رسول الله، ما حق الجار؟ قال: إن استقرضك أقرضته، وإن استعانك أعنته، وإن احتاج أعطيته، وإن مرض عدته، وإن مات تبعت جنازته، وإن أصابه خير سرك وهنأته، وإن أصابته مصيبة ساءك وعزيت، ولا تؤذه بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها، ولا تستطّل عليه بالبناء لتشرف عليه، وتسد عليه الريح إلا بإذنه، وإن اشتريت فاكهة فأهد له منها، وإلا فأدخلها سرّاً لا يخرج ولدك بشيء منها يغيطون بها ولده، وهل تفقهون ما أقول لكم؟ لن يؤدى حق الجار إلا القليل ممن رحم الله".

فهذا حديث جامع شامل تضمن حقوق الجار، وكلها حقوق لا تكلف الجار شيئاً ولكنها تغرس المودة والمحبة فى قلوب الجيران، وأظن معظم هذه الحقوق مفهوماً وواضحاً، ولكنى سأقف عند بعض المعانى التى تضمنها الحديث وتحتاج إلى توضيح: فمن هذه المعانى أن الرسول ﷺ ينهانا أن نؤذى جيراننا "بقتار قدورنا" والقتار هو رائحة الطعام الشهى المطبوخ وبخاصة اللحم، والقدور هى أوانى الطبخ - أى الحلل - ومعنى هذه العبارة إذن: أنه لا ينبغى لنا أن نجعل روائح الطعام الشهى تصل إلى بيوت الجيران إلا أن يكون فى نيتنا أن نهدى إليهم بعضه، أما إذا كان

الطعام لا يكفي، فلنحاول أن نخفي رائحته حتى لا يتأذوا بها هم وأولادهم، لأنهم محرومون من مثل هذا الطعام.

زينب: لكن جيراننا كلهم يطبخون كل الأطعمة، ونحن نشم رائحتها ولا نبالي.

الأب: لأننا نطبخ مثل طعامهم.. وفي هذه الحالة لا بأس بخروج رائحة الطعام إليهم، أما إذا كانوا فقراء فواجبنا أن نعطيهم بعض طعامنا الشهي أو نخفي رائحته. ومن المعاني التي تضمنها الحديث أيضاً ألا يترك الرجل أولاده يخرجون بالحلوى يأكلونها أمام أولاد الجار ليغيظوهم إلا إذا كان ينوي أن يهدي إليهم منها، ومن المعاني أيضاً ألا يستطيل عليه بالبنيان ليحجب عنه الهواء إلا بإذنه.. أى لا يعلى منزله فيسد الهواء على الجار إلا بعد استئذانه، فانظروا إلى هذه المعاني التي تعبر عن روح إنساني نبيل.

وأحب أن أنبهكم إلى أننا أيضاً جيران لجيراننا، وهم مأمورون مثلنا بإحسان معاملتنا، فإذا تحقق منا ومنهم ذلك سادت روح الوثام والمودة بين الناس.

عمر: لكن الجار قد يكون من غير ديننا، فهل نحسن معاملته أيضاً؟

الأب: طبعاً، فالإسلام لا يفرق بين المسلم وغيره في جميع المعاملات الدنيوية كما سآبين لكم ذلك في جلسة مقبلة إن شاء الله، وقد فسر بعض المفسرين (الجار الجنب) بأنه الجار الذمي أى غير المسلم.

لقد حذر الإسلام أشد تحذير من إساءة معاملة الجار، واعتبر الذى يسىء معاملة جاره ليس مؤمناً، فقد قال ﷺ: "والله لا يؤمن (وكررها ثلاثاً) فقيل: من

يا رسول الله؟ قال: الذى لا يأمن جاره بوائقه" ^(١)، والبوائق هى الأمور المؤذية من قول أو عمل، وانظروا إلى تكرار رسول الله ﷺ وذلك ليؤكد بُعد هذا الرجل عن الإيمان وهو الذى يؤذى دائماً جاره، ويظل جاره فى خوف وقلق من توقع إيذائه له، كذلك كرر الرسول ﷺ عبارة "والله لا يؤمن" فى حديث آخر، ولما سئل عن المقصود بذلك قال: من بات شبعان وجاره جائع، فليس المطلوب من المسلم ليكمل إيمانه أن يكف أذاه عن جاره فقط، بل ذكر لنا صورة من صور الضائقة المالية التى تمر بالجار وهى أنه لا يجد طعاماً فيبيت جائعاً، لكن صور الضيق المالى كثيرة وعلى الجار أن يحاول المساعدة بقدر ما يستطيع، وهذا ما يعبر عنه بالتكافل الاجتماعى.

زينب: ما معنى التكافل الاجتماعى يا أبى؟

الأب: التكافل الاجتماعى هو أن يشعر المسلمون كأنهم أسرة واحدة كل واحد منهم مسؤول عن مساعدة الآخر ومواساته كما سألين لكم الآن.

(١) رواه الشيخان بسنديهما عن أبى هريرة .

حقوق المسلمين بعضهم على بعض

الأب: الإسلام لم يقتصر على الاهتمام برعاية حق أفراد الأسرة كل منهم للآخر، أو رعاية حق الجار لجاره، بل امتد اهتمامه إلى رعاية كل مسلم لحق أخيه المسلم، فالإسلام يعتبر المسلمين جميعاً أمة واحدة، بل كياناً واحداً مثل البنيان الذي يقوى بعضه بعضاً، ومثل الجسد الذي يتألم كل عضو فيه لألم أحد أعضائه، فقال ﷺ: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً"^(١)، وقال: "مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى"^(٢)، فكما أن الجسد يتألم كله إذا أصيب عضو من أعضائه كذلك ينبغي أن يكون المسلمون إذا أصيب أفراد منهم بمصيبة فيبذلون جهدهم لمساعدتهم.. وهذا أمر طبعين لأن الإسلام جمع بين المسلمين وألف بين قلوبهم وأصبح رابطة لا تقل عن رابطة القرابة، ولذلك اعتبرهم القرآن الكريم إخوة فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ (الحجرات: ١٠) وكذلك اعتبرهم النبي ﷺ إخوة، وإن رابطة الأخوة تقضى بأن يحب المسلم لأخيه مثل ما يحبه لنفسه وإلا لن يكمل إيمانه قال ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"^(٣)، وهذا الحديث يلخص العلاقة التي ينبغي أن تسود بين المسلمين في هذه العبارة البليغة "يجب لأخيه

(١) رواه الشيخان بسنديهما عن أبي موسى الأشعري ٢ .

(٢) رواه الشيخان بسنديهما عن النعمان بن بشير ٤ .

(٣) رواه الشيخان بسنديهما عن أنس ٢ .

ما يحسب لنفسه“ المسلم يجب لنفسه الأمن والطمأنينة، فليحاول أن يوفر هذا لمن يعرف من المسلمين، المسلم يجب أن يأخذ حقه كاملاً فعليه ألا يظلم مسلماً حقه، المسلم يجب أن يتحقق أهدافه في العمل وغيره، فليتأكد ألا يكون ذلك على حساب غيره، وألا يكون هو عقبة في تحقيق أهداف الآخرين، وهكذا.

وهناك حديث جامع يبين حقوق كل مسلم على أخيه المسلم، يقول ﷺ: ”المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسْلَمُه.. من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كُرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة“^(١)، فهذا الحديث يقرر أولاً أن المسلم أخٌ للمسلم ويترب على هذه الأخوة عدة حقوق: أولاً: لا يظلمه أى حق من حقوقه لديه. ثانياً: أن يحميه من عدوان الظالمين إذا استطاع ذلك، وهذا معنى ”لا يسلمه“ ثالثاً: عليه أن يساعده في قضاء حوائجه، وحل مشكلاته، وقد وعد الرسول ﷺ من يفعل ذلك بأن الله سيساعده في قضاء حوائجه. رابعاً: إذا كان المسلم في ضائقة شديدة، فعلى أخيه المسلم أن يساعده في تفريج هذه الضائقة، وله بذلك أن يزيل الله عنه ضائقة شديدة من ضوائق يوم القيامة التى يتعرض لها الإنسان.

عمر: مثل ماذا يا أبي؟

الأب: الأمثلة كثيرة.. وأكتفى بمثل واحد: مدين اضطرت الظروف للاقتراض وكتب شيكاً بذلك دون أن يكون له رصيد في المصرف، وأصبح عرضة للسجن وعرفت حاله وأنه محتاج حقاً وليس محتالاً، وكان في إمكانك أن تقرضه وأن تزيل عنه أزمته فعليك أن تفعل.

(١) رواه الشيخان بسنديهما عن ابن عمر .

أحمد: لكن بعض الناس يحاول أن يأخذ أموال الناس وينوى ألا يردها ويتوسل إلى ذلك بالاقتراض، وكتابة الشيكات.

الأب: هذا مجرد مثل، وعلى المسلم أن يكون فطناً فيعرف من يستحق ومن لا يستحق.

خامساً: إذا وجد المسلم أخاه المسلم في موقف شائن فعليه أن يستره، ولا يشنع عليه، وفي مقابل ذلك يستره الله يوم القيامة، لأن الله يعلم الضعف البشري الذي قد يغري الإنسان بارتكاب أمر فاحش فيطلع عليه إنسان آخر.. واجب هذا الآخر أن يكتف ما رآه فلا يشيعه بين الناس.

أحمد: لكن هذا يشجع المجرم على الاستمرار في جرائمه.

الأب: بالعكس.. إن الإنسان إذا افترض بين الناس بارتكاب فاحشة صار لا يبالي إعلان ذلك مرة أخرى، فيستمر في ارتكابها، على أن واجب المسلم الذي رأى أخاه في هذا الموقف أن يتأكد أن هذا الفعل لا يضر بالآخرين، فأما إذا كان يضر بأحد - كأن يسرق مال شخص آخر - فعلى الذي رآه أن يخبر صاحب المال بذلك، وفي جميع الأحوال على المسلم أن ينصح الذي رآه يرتكب الخطيئة ألا يكررها ثانية وإلا فإنه يفضحه بين الناس.

الأم: أنا لى فهم فى هذا الحديث بالإضافة إلى ما ذكر وهو أن من ضمن المراد بالستر فى هذا الحديث هو أن على المسلم أن يحمى أخاه المسلم من الافتضاح بأن يساعد فى مشكلته التى إذا ترك وحده أمامها فقد يفتضح أمام الناس، كمن تعرض لموقف لا يستطيع فيه تجهيز ابنته العروس فيقدم له مسلم آخر ما يساعده على تجهيزها.

الأب: جميل.. هذا فعلاً من ضمن ستر المسلم إلى جانب المثل الذى ذكرته.

ولم يكتف الإسلام بالوصية بمثل هذه الأمور الخطيرة، بل أوصى ببعض

المجاملات التي إذا شاعت بين المسلمين غرست بينهم المحبة والمودة، فقال ﷺ: "حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس"^(١)، فانظروا إلى هذه المجاملات التي لا تكلف شيئاً، ولكن تشيع الحب والتعاطف بين الناس، لقد اعتبرها الإسلام حقاً للمسلم على المسلم، أولها: رد السلام، فإذا حياك أحد بتحية يجب عليك ردها، لأنك لو لم تردّها يشعر من سلم عليك بأنك تحتقره فيكرهك، وقد دعا القرآن الكريم إلى ذلك أيضاً فقال: ﴿وَإِذَا حَيَّيْتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ (النساء: ٨٦) فزاد القرآن على الحديث درجة، فقد أمر برد التحية بأحسن منها، فإذا قال لك قائل: السلام عليك، فليكن ردك: "وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته" وأقل شيء أن ترد عليه مثلما قال.

عمر: أحياناً أقول لبعض الناس: السلام عليكم فيرد قائلًا: "سلام" فقط.

الأب: هذا أمر لا يحبه الإسلام، إنه لا يعلم أنه كلما زاد في الرد زاد أجره.

الحق الثاني: عيادة المريض: أي زيارته لكي يشعر بأن قلوب إخوانه معه، فترتفع روحه المعنوية، وتخف آلامه.

الحق الثالث: اتباع الجنائز، أي إذا مات مسلم فحقه على المسلمين أن يسيروا وراء جنازته، حتى يؤدوا له آخر حق عليهم، وذلك - لا شك - سيرضى أقرباءه الأحياء، فيعرفون ذلك لمن شاركهم في مصابهم.

الحق الرابع: إجابة الدعوة، أي إذا دعاك أخوك المسلم إلى وليمة يقيمها لمناسبة أو حتى - لغير مناسبة - أو دعاك إلى حفل عرس أو خطبة أو غير ذلك فعليك أن

(١) رواه الشيخان بسنديهما عن أبي هريرة .

تجيب دعوته، وذلك يسره، لأنه يشعر باحترامك له.

أحمد: بعض الناس يتخذون في هذه الحفلات ألواناً من الغناء والرقص تخرج عن حدود الدين والفضيلة، فهل على أن أحضر هذه الحفلة إذا دعوني؟

الأب: لا ولكن اعتذر اعتذاراً رقيقاً عن عدم استطاعتك الحضور، وإذا أمكنك أن تذكر لهم سر اعتذارك بطريقة مهذبة فافعل، لعل هذا يبصرهم بخطئهم وفي جميع الأحوال هنتهم بهذه المناسبة.

الحق الخامس: تشميت العاطس، ماذا تقولين يا زينب إذا عطست؟

زينب: أقول الحمد لله.

الأب: وإذا سمعت أحداً يعطس ويقول: الحمد لله، فماذا تقولين له؟

زينب: أقول له: يرحمك الله.

الأب: حسن يا زينب.. إذن تشميت العاطس أن تقولى لى: يرحمك الله.

الأب: وماذا يقول لك؟

زينب: يقول: يهديكم الله ويصلح بالكم.

الأب: انظروا يا أولادى كيف يدعو الإسلام المسلمين إلى مجاملة بعضهم بعضاً فلو حرصنا على هذه المجاملات لشاع الحب فى مجتمعنا.

أحمد: لقد قرأت حديثاً يقول: "بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم" ^(١)، فهذه دعوة إلى أن يحترم المسلمون بعضهم بعضاً.

الأب: نعم، وانظروا إلى التعبير النبوى "بحسب امرئ من الشر" أى يكفيه من

(١) رواه مسلم بسنده عن أنس .

الشر أن يفعل ذلك، أى أنه لو لم يفعل شرّاً غير هذا لكفاه.

الأم: وهناك حديث آخر جميل يقول: ”لا يحل لامرئ أن يهجر أخاه فوق ثلاث يتقابلان، فيعرض هذا، ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام“^(١)، فلا يجوز يا أولادي لأي مسلم أن يخاصم مسلماً، ويمتنع عن كلامه وتحيته أكثر من ثلاثة أيام، وخير الاثنين هو الذى يبدأ صاحبه بالتحية.

الأب: الحقيقة هناك أحاديث كثيرة تدعو المسلمين إلى التراحم والتعاطف ولكننا نكتفى بهذا القدر، وشكراً لكم، وإلى جلسة مقبلة إن شاء الله.

الأولاد: شكراً لك يا أبى، شكراً لك يا أمى.

(١) رواه البخارى عن أبى أيوب الأنصارى.

المسؤولية الاجتماعية

وعندما بدأت الجلسة التالية قال الأب:

الأب: من قيم الإسلام العظيمة التي تتصل بحديثنا السابق عن حقوق المسلم على أخيه المسلم المسؤولية الاجتماعية لكل فرد من أفراد المجتمع، فالإسلام يعتبر المسلمين جميعاً كياناً واحداً، وقد عبر الرسول الكريم عن ذلك في الحديثين اللذين ذكرتهما لكم، عندما وصف المسلم في مساندة أخيه المسلم بالبنيان مرة وبالجسد الواحد مرة أخرى.

الأم: مع الأسف لم يعد المسلمون كذلك اليوم، فبلادهم تعيث بها الأعداء من كل جانب، يقتلون ويدمرون، والمسلمون في البلاد الأخرى لا يحركون ساكناً.

الأب: المسلمون أصبحوا ضعافاً اليوم، وأعداؤهم أقوياء ماكرون.

أحمد: كيف؟ وعددهم قد تجاوز المليار أى أكثر من سدس سكان العالم.

الأب: كثرة لا قيمة لها، بل غناء كغناء السيل.

زينب: ما معنى غناء السيل؟

الأب: غناء السيل: الأشياء التافهة التي يجرفها السيل من مخلفات الطرقات فهي كثيرة ولكن لا قيمة لها، وقد تنبأ الرسول ﷺ بما سيصيب المسلمين اليوم، تأملوا هذا الحديث الشريف: "يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها"، فقال أصحابه: أمن قلة يا رسول الله؟ (أى يحدث ذلك بسبب قلة عددنا)

فيجيب الرسول ﷺ "بل كثير ولكن غشاء كغشاء السيل" انظروا إلى الصورة المعبرة في أول الحديث، التي تصف حالنا اليوم، فالأمم تنقض علينا لتنهب ثرواتنا كما يدعو الآكلون بعضهم بعضاً إلى قصعة الطعام، والقصعة هي الوعاء الكبير يوضع فيه طعام الجماعة، فما أشبهنا بهذه القصعة اليوم.. لقد تحققت فينا هذه النبوءة الصادقة، وأحاطت بنا الذئاب والكلاب من أعدائنا تنهش لحمنا، ولا نجد من يدفع عنا، لأننا تفرقنا واختلفنا، وأصبح بعضنا أعداءً لبعض، ولذلك لم تنفعنا كثرتنا، فوقفنا عاجزين أمام خمسة ملايين يهودى استباحوا دماءنا وأعراضنا وأموالنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والآن نعود إلى موضوعنا الذى أبعدتنا أمكم عنه، وكان لها كل الحق فى ذلك.

الأم: لقد غاظنى كثيراً واقعنا المزرى الذى نعيشه بينما كل وسائل القوة فى أيدينا.

الأب: نعم.. ومن أهم وسائل القوة الاتحاد والتعاون اللذان تحدث عنهما الحديثان السابقان: المسلم للمسلم كالبنيان، والمسلم كالجسد الواحد.. وقد امتن الله سبحانه وتعالى على المسلمين أن هداهم إلى الإسلام الذى أُلِفَ بين قلوبهم بعد أن كانوا أعداء، وكما صورهم القرآن الكريم كانوا على شفا حفرة من نار فأنقذهم الله منها، وتأملوا قول الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ (آل عمران: ١٠٣) وما أروع التعبير القرآنى عندما صور الإسلام بحبل الله، فهو كالحبل الذى يربط الأشياء المتفرقة ويجمع بينها!!

أحمد: لكن كيف نستطيع أن نحقق هذا الهدف العظيم؟

الأب: لو استطعنا أولاً تحقيق الروابط والعلاقات التى تحدثنا عنها فى الجلسات

السابقة، والتزمنا بالحرص عليها كما أمر الإسلام، وثانياً لو شعر كل مسلم بمسؤوليته عن الإسلام والمسلمين في نفسه وفيمن حوله.

أحمد: كيف يتحقق ذلك؟

الأب: يتحقق بشعور الفرد بالمسؤولية الملقاة على عاتقه في الموقع الذي وضعه الله فيه، كما فصل الحديث الشريف في قوله ﷺ "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام (أى الحاكم) راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيته، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته، وكلكم راع ومسئول عن رعيته"^(١)، والحديث الشريف - كما ترون - وضع في عنق كل إنسان مسلم مسؤولية أهله لها موقعه في المجتمع، فالحاكم العام، والحاكم الذين يوليهم من وزراء ومسؤولين عليهم أن يراعوا الله في أعمالهم، ويحسنوا أداء العمل الذي اختيروا من أجله بكل أمانة وإخلاص، والرجل مسئول عن أسرته من زوجة وأولاد من حيث الإنفاق والتربية السليمة، وإشاعة الحب والمودة في نطاق الأسرة، والمرأة راعية في بيت زوجها فتحرص على ماله فلا تنفقه إلا في وجهه الصحيح، وتشرف على سلوك أولادها، وتكون قدوة طيبة لهم، وتعينهم على استذكار دروسهم، والخادم أو الأجير الذي استأجره آخر لأداء عمل معين، أو شراء شيء معين يكون أميناً في عمله وفي ماله فلا يغش ولا يخون، ثم يختم الرسول ﷺ الحديث بما بدأه به "وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته" لتشمل المسؤولية جميع أفراد المجتمع الإسلامي كله.

(١) رواه الشيخان بسنديهما عن ابن عمر E .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ويواصل الأب حديثه قائلاً:

من دعائم المسؤولية الاجتماعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهما اللذان يحافظان على تماسك المجتمع ويؤكدان قيمه الأصلية، ويحاربان القيم السافلة الوافدة من مجتمعات منحلة وهما اللذان يكوّنان الرأي العام في المجتمع الإسلامي، فالمسلم ليس مسئولاً عن نفسه فقط، بل هو مسئول عن المجتمع كله، فعليه أن يراقب ما يجري في المجتمع، فإذا رأى تهاوناً في عمل الخير حث الناس على فعله، وبَيَّن لهم الواجب عليهم نحوه وهذا هو الأمر بالمعروف، وإذا رأى أمراً قبيحاً نهى فاعله عن فعله برفق، وهذا هو النهي عن المنكر.

أحمد: لكن يا أبى قد لا يستطيع الإنسان تغيير المنكر، وقد يعجز عن حمل الناس على فعل الخير.

الأب: إذا أمر المسلم بفعل الخير ونهى عن المنكر فقد أدى واجبه وأبرأ ذمته.

عمر: لكنه قد يتعرض للأذى إذا حاول منع منكر، وحضرتك تقرأ وتسمع عن البلطجة والبلطجية، وحملة المطاوى والسكاكين.

الأب: لم يحدث هذا إلا بسبب تهاون المجتمع وتساهله في أول الأمر، على أن الرسول ﷺ جعل النهي عن المنكر درجات، فقال: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"^(١)، فليس المسلم مطالباً في كل حالة بإزالة المنكر، بل على حسب قدرته، وهناك شرط هام لابد

(١) رواه مسلم بسنده عن أبي سعيد الخدري .

من التأكد منه قبل محاولة إزالة المنكر، وهو ألا يحدث ضرر نتيجة هذه المحاولة أكبر من الضرر الحادث بوجود المنكر، فإذا عرفت أن تعرضك لإزالة المنكر سيؤدي إلى أذى يلحق بك، أو بغيرك أو سيسبب فتنة، فعليك ألا تتعرض لإزالة المنكر باليد، وعموماً إزالة المنكر باليد يجب أن يترك الحاكم بالنسبة لأفراد المجتمع، وللأب وللأم في نطاق الأسرة، وبذلك يصبح على المسلم النهي عن المنكر باللسان، وهذا له شروط أيضاً.

الشرط الأول: مثل الشرط السابق هو أن يتأكد المتكلم أنه لن يلحقه ضرر نتيجة كلامه، وشرط آخر: وهو شرط مهم جداً وهو أن يكون النهي عن المنكر بكلام رقيق مهذب، وموعظة حسنة، ودون استفزاز للذين يفعلون المنكر.

الأم: لقد أمر الله تعالى سيدنا موسى وأخاه هارون عندما أرسلهما إلى فرعون أن يقولوا له قولاً لنا لعلنا نأثر به، فيرجع عن فساد، فقال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهٗ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (طه: ٤٤).

الأب: فما بالكم بمسلم يوجه أخاه المسلم؟ الدرجة الثالثة لإزالة المنكر هي الإنكار بالقلب، وهذه يلجأ إليها المسلم حينما يتيقن أن كلامه لن يفيد بل سيعرضه لأذى، وهذه الدرجة هي أضعف الإيمان، يعني أن المسلم عندما يرى المنكر يحس بضيق في نفسه، وتقزز من الذين يفعلونه، وهذا يؤدي إلى أنه لا يجالس هؤلاء الناس في هذه الحالة، وأما إذا جالسهم ولم يظهر استياءه منهم فقد أصبح شريكاً لهم.

أحمد: يعني يا أباي لو نفذنا هذه الأمور التي تحدثت حضرتك عنها تصبح لنا القوة ونتصر على أعدائنا.

الأب: تقصد كل التوجيهات التي تناولناها في جميع جلساتنا السابقة؟ .. نعم لو

نفذناها بإخلاص وإيمان نكون قد حققنا أهم وسائل النصر على أعدائنا، ولكي يبقى أمر هام، وهو تحقيق القوة المادية التي دعا إليها القرآن في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ (الأنفال: ٦٠).

فعلينا أن نتسلح بكل أسباب القوة التي يتيحها عصرنا، وقد عبرت الآية عن ذلك بهذه العبارة ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ وأما ذكر رباط الخيل في الآية فلأنه كان في عصر نزول القرآن، وبعده بمئات السنين أهم مظهر من مظاهر القوة، ولكن الآن تطورت الأسلحة إلى ما تعرفون من أسلحة ثقيلة وأسلحة نووية وأسلحة الدمار الشامل.. إلخ لكن حديث القوة المادية ليس موضوعنا الآن.

ونكتفى الليلة بهذا القدر، وإلى اللقاء في جلستنا المقبلة إن شاء الله.

التسامح مع ذوى الأديان الأخرى

وفي بداية الجلسة قال الأب:

الأب: لم يقتصر الإسلام على بيان حق المسلم على المسلم، بل دعا إلى حُسن معاملة ذوى الأديان الأخرى الذين يعيشون معنا في وطن واحد ما داموا لم يحاولوا الإساءة إلينا، ومناصرة أعدائنا علينا، وقد صرح القرآن الكريم بذلك في قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (المتحنة: ٨) ونتوقف قليلاً لتفهم معنى هذه الآية، فالله يقول للمسلمين: إنه لا يحرم عليهم حُسن معاملة غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى، بل يدعو المسلمين إلى فعل الخير معهم، والإقسط - أى العدل - في معاملتهم، ويؤكد ذلك بقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ أى العادلين - ولكن بشرط أن يكونوا مسلمين للمسلمين لا يتجسسون عليهم أو يناصرون أعداءهم، أو يحاربونهم ويحاولون طردهم من أماكنهم، أما إذا كانوا أعداء لنا، وحاولوا حربنا فقد نهانا الله عن التعامل معهم، وحذر المسلمين من موالاتهم، وبين أن الذين يواليهم من المسلمين ظالم لنفسه، ويستحق عقاب الظالم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (المتحنة: ٩).

وبناء على الآية الأولى اتخذ فقهاء المسلمين قاعدة شرعية تقول: "لهم ما لنا

وعليهم ما علينا" أى لهم مثل ما للمسلمين من حقوق، وعليهم ما على المسلمين من واجبات.. أظن أن أوضح مثالين يوضحان الآيتين: النصارى المقيمون بيننا، واليهود المغتصبون لفلسطين، فالنصارى هم الذين حثت الآية الأولى على حُسن معاملتهم وبرهم، وذلك لأنهم مواطنون مثلنا تماماً فى الحقوق والواجبات، فهم لم يسيئوا إلى ديننا، ولم يحاولوا إيذاءنا، وأما الآية الثانية فتطبق على اليهود المغتصبين فهم يقاتلوننا، وأخرجوا الفلسطينيين من ديارهم، واغتصبوا حقهم، فهؤلاء هم أعداؤنا الذين يجب قتلهم، وعدم التعامل معهم أو برهم، إلا إذا كان بيننا وبينهم عهد فحينئذ يجب علينا احترام هذا العهد مادام اليهود يحترمونه، فإذا أخلوا به فليس لهم عندنا إلا الحرب بكل وسيلة ممكنة، لأن الإسلام يحترم العهود والمواثيق.

أمر آخر - ينبغى أن أنبه إليه - وهو أن هناك فرقاً بين اليهودى كصاحب دين، والصهيونى الذى يدعى أن له حقوقاً فى بلادنا، ويريد اغتصابها، فلو وجد يهودى بيننا لم يحاول إيذاءنا أو الإساءة إلينا، فعلينا أن نُحسن معاملته كما نعامل غيره من النصارى، وقد سمى الإسلام اليهود والنصارى المقيمين بيننا (الذميّين) وليست هذه التسمية ذمّاً لهم كما يظن بعض الجهلاء من المسلمين أو النصارى، بل بالعكس هى تسمية تدعو إلى احترامهم، وحُسن معاملتهم، لأن الذمة معناها العهد، وأهل الذمة أو الذميون هم الذين يربطنا بهم عهود الصداقة والمودة.

أحمد: لكننا نقرأ فى القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۚ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُ مِنَّهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ٥١﴾ (المائدة: ٥١).

الأب: يجب أن نفهم الآيات القرآنية فى سياقها الذى جاءت فيه، فهذه الآية

جاءت في سياق الحديث عن معاندة اليهود والنصارى للرسول ﷺ وتدبير المؤامرات ضد دينه، ففي هذه الحالة هم أعداء لا ينبغي أن نتخذهم أصدقاء وأولياء، وقد فسرت آية أخرى جاءت بعد بضع آيات من هذه الآية السبب في عدم اتخاذهم أولياء وهو أنهم يتخذون دين المسلمين هزواً ولعباً، وكذلك كانوا يسخرون من دينهم، ومن صلاتهم عندما يؤذن المؤذن لها، فهم أعداء يجاهرون بالعداوة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَ مُمُؤْمِنِينَ ۖ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ۚ﴾ (المائدة: ٥٧، ٥٨).

ولكن إذا كانوا مسلمين لنا لا يتدخلون في شؤون ديننا فهؤلاء لا بأس من اتخاذهم أولياء، ولذلك نجد الله في سياق آخر في نفس السورة يتحدث عن النصارى فيقول: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيصٌ وَرَهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۚ﴾ (المائدة: ٨٢).

الأم: وقد كان حُكام المسلمين في كثير من العصور في أثناء حكمهم الزاهر يستخدمون اليهود والنصارى في أعمالهم وخصوصاً في أعمالهم المالية، وهي أعمال حساسة، لا يتولاها إلا الموثوق به، وكان منهم أطباء ومترجمون للخلفاء. واليهود الذين كانوا منبوذين في جميع أنحاء العالم لم يجدوا لهم ملاذاً آمناً إلا في بلاد المسلمين، وخير دليل على ذلك الجالية اليهودية في الأندلس التي عاشت في أمن وسلام إبان حكم المسلمين، فلما استولى الأسبان على الأندلس نكلوا بهم أشد تنكيل.

الأب: لقد أوصى رسول الله ﷺ المسلمين بحسن معاملة الذميين، فقال عليه السلام: "استوصوا بالقبط خيراً" وتوعد من يسيء إلى الذميين من المسلمين أشد وعيدا فقال ﷺ: "من آذى ذمياً فأنا خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة" ^(١)، وقد أمر الله تعالى رسوله أن يقول للمشركين: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (الكافرون: ٦).

(١) رواه الخطيب البغدادي بسنده عن ابن مسعود .

الرفق بالحيوان

الأب: يبقى علينا في حديثنا عن بعض القيم الإسلامية أن نتناول قيمة هامة يظن بعض الجاهلين أنها من مكتسبات العصر الحديث، بينما الإسلام منذ أربعة عشر قرناً حث المسلمين عليها، وهى الرفق بالحيوان.

الرفق بالحيوان قيمة ينبغى أن يلتزم بها المسلمون، فهذا الحيوان الضعيف الذى لا يملك من أمر نفسه شيئاً نحن مسؤولون منه مسؤولية كاملة، ومحاسبون على تعاملنا معه، فنكافأ على إحساننا إليه، ونعاقب على إساءتنا إليه، وسأذكر لكم مثلين يوضحان ما أقول:

قال رسول الله ﷺ: "عُذِّبَتْ امرأة في هرة حبستها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هى أطعمتها وسقتها إذ حبستها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض"^(١)، فهذا الحديث يبين أن الله عذب امرأة فأدخلها النار بسبب قطة حبستها، ومنعت عنها الطعام والشراب حتى ماتت، ويعيب الرسول ﷺ على هذه المرأة أنها عندما حبست القطة لم تقدم لها الطعام والشراب في محبسها بل تركتها تموت في محبسها جوعاً وعطشاً.

زينب: ما معنى (خشاش الأرض)؟

الأب: الحشرات مثل الصراصير وغيرها.

المثل الثانى يتضح فى حديث شريف يقول ﷺ: "مر رجل ببئر وكان شديد

(١) رواه الشيخان بسنديهما عن ابن عمر . E

العطش فنزل فشرّب وبعد قليل رأى كلباً يلهث (أى يتنفس تنفساً سريعاً عالياً) ويخرج لسانه، فقال الرجل: لعل بالكلب مثل ما بى من العطش، فنزع خفه من رجله، ودلاه إلى البئر فملاه ماء فسقى منه الكلب فشكر الله فأدخله الجنة"، تأملوا هذا التعبير الجميل الموحى فشكر الله له: الله يشكر الإنسان - وعلى أى شىء يشكره؟ على أنه سقى الكلب العطشان.

ومر عبدالله بن عمر بن الخطاب - وهو صحابى جليل - بمجموعة من الشباب، وقد أخذوا طائراً، ووضعوه فى مكان، وجعلوه هدفاً يتدربون عليه فى الرمى - وهو ما نسميه بالنشان - فغضب عبدالله وأمر الشباب أن يكفوا عن هذا. وقال: من فعل هذا؟ إن رسول الله ﷺ "لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً"^(١) - أى هدفاً - يصبو إليه.. وكذلك مر على رسول الله ﷺ حمار موسوم فى وجهه - أى كوى فى وجهه ووضع عليه علامة ليتعرف بها - فقال ﷺ: "لعن الله من وسمه"^(٢)، فالرسول يستقبح أن يكوى الحمار فى وجهه فيشوه منظره.

الأم: وتأتى فى آخر الزمان ممثلة فرنسية تحاول لفت الأنظار إليها بعدما غابت الأضواء عنها وشاخت، وأخذت تتظاهر بالاهتمام بالحيوان وتكثر من الكلاب والقطط عندها، هذه المرأة لم تجد شيئاً تعيب به الإسلام إلا ذبح الأضاحى فى عيد الأضحى، فهي تريد منهم أن يصعقوها بالكهرباء حتى لا يتألم الحيوان، وقد حرم الله هذا.

الأب: يا سلام! والمذابح البشرية التى يقوم بها قومها الغربيون، أو على الأقل

(١) رواه الشيخان.

(٢) رواه مسلم بسنده عن هشام بن حكيم .

يسكتون عندما تحدث من عدوهم جى لقوم مسالمين، أفلا تستحق هذه المذابح لفئة كريمة من سعادتها لتعييها، ولكنه العداء للإسلام بسبب الجهل والتعصب على أن هذا الأمر لم يغيب عن الرسول ﷺ، أى الرفق بالحيوان عند الذبح، فقد قال: "إن الله كتب الإحسان في كل شيء، فإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته" (١).

وإلى هنا يا أولادى أكون قد أوضحت لكم بعض القيم التى اهتم بها الإسلام، وبذلك يمكننا أن نقول: إننا وضعنا السقف فوق الأركان الخمسة، كما ركبنا الأبواب والنوافذ، وبقي أن نكمل البناء بتركيب بلاط الأرضية، ودهان المبنى كله وتلميعه، وذلك يكون ببيان أهم الأخلاق التى أمر بها الإسلام أو نهى عنها، فإلى الجلسة المقبلة.

الأولاد: شكراً يا أبانا، شكراً يا أُمنا، جزاكم الله عنا خيراً.

(١) رواه مسلم بسنده عن شداد بن أوس .

أخلاقنا

- أهمية الأخلاق.
- الأخلاق الفاضلة التي أمرنا بها الإسلام.
- رذائل نهى عنها الإسلام.
- بعض الآداب الاجتماعية.



أهمية الأخلاق

وعندما أقبل الأب سارعت زينب قبل أن يجلس لتقول:

زينب: هيا يا أبى ندهن البيت ونلمّعه.

الأب (ضاحكاً) السلام عليكم يا أولاد.. أظن أنى لم أكن دقيقاً حينما قلت: إن الأخلاق في بناء الإسلام بمنزلة الدهان والتلميع. الحقيقة أن الأخلاق جزءٌ أساسي في بناء الإسلام، لأنها تعتبر التطبيق العملي لمبادئ الإسلام، فلا خير في دين لم يلتزم أهله بالأخلاق الفاضلة، فهل يقوم صرح الدين على الكذب أو الغش أو النفاق إلى غير ذلك من الأخلاق الذميمة.

إن هذه الرذائل وأمثالها تهدم صرح أي دين، لذلك اعتبر رسولنا ﷺ أن رسالته جاءت لإتمام مكارم الأخلاق، فقال: "إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق"^(١)، وعندما أراد الله مدحه بالخلق العظيم، فقال تعالى: ﴿وَأَنَّكَ لَـعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤).

زينب: لكن ما هي الأخلاق؟

الأب: الأخلاق هي الصفات الملازمة للإنسان، والتي يكتسبها من بيئته وتعلمه واحتكاكه بالآخرين، وقد تكون الأخلاق فاضلة، وقد تكون سيئة، ولكننا نقصد هنا الأخلاق الفاضلة التي أمرنا بها الإسلام، ولا بأس أن نتحدث عن ضدها لنبين شرها ونتجنبها، والآن أسألكم ما هي الأخلاق الفاضلة في رأيكم؟

(١) رواه البخارى بسنده عن أبى هريرة .

أحمد: الأمانة والعدل والصدق.

عمر: والصبر والشجاعة والحلم.

الأب: أحسنتما، ونضيف أيضاً العفو والإيثار والوفاء بالعهد والعفة.

الأمانة

الأب: ماذا تعرفين عن الأمانة يا زينب؟

زينب: الأمانة أن أكون أمينة، فإذا أعطاني أحد مبلغاً من المال لأحفظه له ثم طلبه مني أعطيه له ولا أنكره.

الأب: جميل.. هذا معنى من معاني الأمانة، فهل هناك معنى آخر؟

أحمد: من أهم معاني الأمانة في رأيي أن يؤدي الإنسان واجبه الذي كُلف به بإخلاص ودقة، فالموظف الأمين هو الذي لا يتكاسل في أداء الواجب ولا يقصر فيه.

الأب: هذا صحيح، فالأمانة تشمل أداء كل التكاليف التي يكلف بها الإنسان وعلى رأسها التكاليف الدينية التي يكلفه بها الإسلام، فالصلاة أمانة، والصوم أمانة، والعبادات جميعها أمانة، فإذا أحسن الإنسان أداء عباداته فقد أدى الأمانة لله، والحكم أمانة، فالملك أو الرئيس إذا تولى سلطانه فقد تحمل أمانة عليه أن يقوم بها هي الحرص على مصالح الشعب، وبذل كل جهد في سبيل راحته، وكذلك الموظف سواء أكان وزيراً أم موظفاً صغيراً يحمل أمانة هي إتقان العمل المكلف به، وعدم التهاون في أي جزئية من جزئياته، فإذا لم يؤدي الإنسان الأمانة التي كلف بها، فبم نسميه؟

عمر: نسميه خائناً.

الأب: إذن الخيانة ضد الأمانة، وكل صفة فاضلة تسمى: فضيلة، وكل صفة

سيئة تسمى رذيلة، وقد حرص الإسلام على أن تشيع الأمانة بين المسلمين، فأمرهم بأدائها، نجد ذلك في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ (النساء: ٥٨)، ونهاهم عن الخيانة وذم الخائنين في كثير من آيات القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ (النساء: ١٠٧)، كما بين أنه لن يحقق للخائنين أغراضهم فقال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ (يوسف: ٥٢) وحذر الرسول ﷺ من الدفاع عن الخائنين أو تبرير أفعالهم فقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ (النساء: ١٠٥) ولهذا قصة سأقصها عليكم في إيجاز، فقد سرق أحد الأنصار - والأنصار هم المسلمون من أهل المدينة الذين هاجر إليهم الرسول ﷺ وأصحابه كما تعرفون - سرق درعاً فلما خاف أن يكتشف أمره ألقاه في بيت جاره اليهودي، فأخذ اليهودي ليحاكم على جريمته وكادت التهمة تثبت عليه لولا أن أظهر الله براءته، وأرشد رسوله إلى وجه الحق في هذه القضية وحذره كما قلت لكم من الدفاع عن الخائنين، وهنا ملاحظة سريعة ينبغي أن نستوعبها وهي أن الإسلام لا يجابى أتباعه وإنما هدفه دائماً هو إحقاق الحق.

وقد اعتبر رسول الله ﷺ خيانة الأمانة ربع نفاق، فقال ﷺ: "أربعٌ من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلةٌ منها كان فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر"^(١)، فانظروا لقد جعل أول ركيزة من ركائز النفاق خيانة الأمانة.

زينب: ما معنى النفاق يا أبي؟

الأب: النفاق هو إظهار الإنسان الإسلام أمام الناس، فيصلي أمامهم ويتظاهر

(١) رواه الشيخان بسنديهما عن عبدالله بن عمرو Ë .

بالصيام ولكنه في داخله كافر لا يؤمن بالله، والمنافق شر من الكافر، لأن الكافر يعلن كفره، فيعمل المسلمون حسابه، وأما المنافق فهو يخفى كفره أمام المسلمين، وبذلك يطلع على أسرارهم، ويسعى في شرهم، ولذلك توعد الله بأشد أنواع العذاب، فقال تعالى: ﴿إِنَّ النّٰفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ (النساء: ١٤٥).

ونكتفى الآن بما قلناه عن الأمانة وننتقل إلى خلق يساويها في الأهمية وهو:

العدل

والعدل هو الفضيلة التي يزدهر المجتمع إذا انتشرت فيه، وينهار إذا تخلى عنها المجتمع، وقد أمر القرآن الكريم المسلمين أن يحكموا بالعدل فقال: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (النساء: ٥٨).

زينب: نعم، هذه الآية أشاهدها في التلفزيون، وهي معلقة فوق رءوس القضاة في المحاكم.

الأب: نعم، لكي يتذكر القضاة دائماً أن من واجبهم هو الحكم بالعدل، كذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (النحل: ٩٠).

عمر: وهذه الآية أيضاً يقولها الخطيب بعد الانتهاء من خطبة الجمعة.

الأب: نعم، وهو تقليد حميد، يا ليت المسلمين يطبقونه في جميع شؤونهم، وفي آية الثالثة يقول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُوفُوا قَوْمِينَ بِأَلْقُسُطِ شَهَدَاءِ اللَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ (النساء: ١٣٥) والقسط معناه العدل، وهذه الآيات تحث المسلمين على العدل في أدائهم الشهادة حتى لو كانت الشهادة ستضرهم أو تضر آباءهم وأقرباءهم، بل يأمر الله المسلمين في آية رابعة أن يعدلوا حتى بين أعدائهم، وألا يجعلوا كراحتهم لقوم سبباً في عدم العدل معهم، فقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ
ءَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿٨﴾ (المائدة: ٨) (١) (٢) .

ومعنى الآية أن الله ينهى المسلمين عن أن يجعلوا كراهيتهم لقوم من الأقوام سبباً لظلمهم وعدم العدل معهم، ويأمرهم أن يعدلوا في جميع الأحوال، لأن العدل يقرب الإنسان من تقوى الله، والرسول ﷺ يجعل الحاكم العادل على رأس سبعة يشملهم الله برحمته يوم القيامة، فيقول: "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل... (٣)"، والإمام: المراد به الحاكم.

الأم: تقول الحكمة: "العدل أساس الملك" أى أنه الأساس الذى يقوم عليه الملك، وتستقر دعائمه، ويعجبني قول ابن تيمية العالم العظيم: "إن الله ينصر الأمة بالحاكم العادل الكافر، ولا ينصرها بالحاكم المسلم الظالم".

الأب: هذا صحيح.. وقد علل ابن تيمية رأيه بأن كفر الحاكم يعود ضرره عليه وحده، وأما عدله فيشمل رعيته جميعاً، وعكس ذلك الحاكم المسلم الظالم فسيعم ظلمه رعيته، ولن ينفعهم إسلامه، بل لن ينفع صاحبه، لأن الإسلام والظلم لا يجتمعان في قلب رجل واحد، فهذا الحاكم الظالم يستحيل أن يكون مسلماً حقاً، وأظنكم تعرفون عكس العدل.

زينب: نعم، الظلم.

الأب: صح.. وقد ذم الله الظالمين في كثير من آيات القرآن الكريم، وذكر أنه

(١) يجرمنكم: يحملكم ويدفعكم.

(٢) شَنَاٰنُ: بغض وكراهية.

(٣) رواه الشيخان بسنديهما عن أبي هريرة ؓ .

لا يجبههم، وأنه أعدّ لهم عذاباً أليماً، وقد قال ﷺ عبارة بليغة تبين عاقبة الظالم فقال: "الظلم ظلمات يوم القيامة"^(١)، أى أن الظلم سيحيط بصاحبه من كل جانب، ويجعله في غشاوة من الظلام فلا يعرف له طريقاً، وقال عليه السلام أيضاً في الحديث القدسي الذى يرويه عن ربه: "يا عبادى إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا"^(٢)، ومعنى "فلا تظالموا" أى لا يظلم بعضكم بعضاً، وبالمناسبة أنا أذكر أنى بينت لكم معنى الحديث القدسي.

أحمد: نعم.. وهو الحديث الذى ينسبه الرسول إلى الله فيقول مثلاً: إن الله تعالى قال: ...

الأب: حسن.. وأحب أن أنبه إلى أمر هام وهو أن العدل كما هو مطلوب من الحاكم والمسؤولين عن أمور الناس مطلوب أيضاً من رب الأسرة، فإن بعض الآباء يظهرون تفضيل بعض أبنائهم على بعض، ويميزونهم بمزايا لا يعطونها لإخوتهم وهذا ظلم، ويثير الحقد والكراهية بين الإخوة الذين يجب أن تسود بينهم المودة والمحبة، وإليك قصة تبين رفض الإسلام لذلك، فقد أعطى أحد أصحاب الرسول ﷺ واسمه بشير ابن سعد أحد أبنائه غلاماً هدية، أى عبداً يكون خاصاً به يقضى له ما يشاء من أمور، فأرادت الأم أن تطمئن على سلامة هذا التصرف، وتؤكد، فقالت لزوجها: اذهب إلى رسول الله ﷺ وأشهدده على هذا التصرف، فلما ذهب إلى رسول الله ﷺ قال له الرسول: "أكلُّ ولدك أعطيته هكذا؟" يعنى: هل أعطيت عبداً لكل ولد من أولادك؟

(١) رواه مسلم عن جابر.

(٢) رواه مسلم عن أبي ذر.

قال: لا، قال عليه السلام: اذهب وأشهد على هذا غيري، فإنني لا أشهد على جَور^(١)، والجور هو الظلم، فقد اعتبر الرسول ﷺ أن هذه التفرقة في العطية بين الإخوة ظلم، ورجع بشير عن هديته، ولم يقل كما يقول بعض الناس الآن.. مالى وأنا حُر فيه.

الأم: انظروا يا أولادى إلى الزوجة المؤمنة العاقلة التى لم ترض بأن يخص زوجها ابنها بالعطية، بل أصرت أن تعرف رأى رسول الله ﷺ فيها، وهذا واجب المرأة المؤمنة أمماً أو زوجة ألا تقبل في بيتها أو لأحد أفراد أسرتها ما لا حراماً.

الأب: ونختم جلستنا سائلين الله أن يلهمنا حسن الخلق ويجنبنا سوءه.

الأولاد: آمين.

الوفاء بالعهد

وفي الجلسة التالية أقبل الأب فحيا أسرته ثم قال:

الأب: وإليكم خلقاً آخر من أخلاق الإسلام لا يقل في أهميته عن العدل وهو الوفاء بالعهد، والعهد هو الوعد، فإذا وعد رجل رجلاً آخر بأمر من الأمور واتفقا عليه من بيع أو شراء أو عمل من الأعمال، أو أمر من أمور الدنيا كائناً ما كان فعلى المسلم أن يفي بهذا العهد، وسيُسأل عن وفائه به يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: ٣٤) وكما قال أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (المائدة: ١) وعدم الوفاء بالعهد يسمى غدرًا، وقد ذكرت لكم في الجلسة الماضية ركائز النفاق كما حددها الرسول ﷺ ومنها الغدر بالعهد.

الأم: أظن أنه يدخل في نقض العهد خلف الوعد، فإذا وعد إنسان آخر بأنه

(١) رواه الشيخان بسنديهما عن النعمان بن بشير . E

سيعطيه كذا، أو سيصنع له كذا، أو حتى سيقابله في وقت معين، ثم لم يفعل ما وعد به يعتبر غدرًا.

الأب: نعم، وبشرط ألا يكون هناك عذر قاهر منعه من تنفيذ وعده، ومن أهم العهود التي ينبغى للمسلم أن يحافظ عليها عهده مع الله.

عمر: وهل بين الله وبين المسلم عهد؟

الأب: نعم، وهو أعظم العهود، لأن المسلم عندما ارتضى الإسلام ديناً فقد عاهد الله على أن يؤدي كل ما أوجبه الله من فرائض وطاعات وينتهى عما نهاه الله عنه من المعاصي، فإذا فعل ذلك فقد أوفى بما عاهد الله عليه، وقد مدح الله الذين يوفون بعهدهم ووعدهم بالجنة في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ (الرعد: ٢٠) والميثاق هو العهد الذي قطعوه على أنفسهم بالعمل بكل ما أمرهم الله به، واجتناب ما ينهاهم عنه، وقد بيّن الله جزاءهم هم وأمثالهم الملتزمين بأوامر الله في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عِاقِبَةُ الدَّارِ﴾ (٢٢) ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (٢٣) ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد: ٢٤-٢٢) انظروا إلى التكريم الذي يلقونه يوم القيامة: أولاً: يدخلون الجنة، وثانياً: يكون معهم الصالحون من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم حتى تتم فرحتهم، وثالثاً: الملائكة يدخلون عليهم من جميع أبواب الجنة يحيونهم ويسلمون عليهم ويكرمونهم.

زينب: اللهم اجعلنا منهم.

الأب: سيجعلك الله منهم إن شاء الله إذا التزمت بعهد الله.

وأما عكس هؤلاء وهم الذين ينقضون عهد الله، ويعصون أوامره ويفسدون فقد توعدهم الله باللعة والمنزلة السيئة يوم القيامة، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ﴾

اللَّهُ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أَفُلَيْتِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ
سوء ﴿ (الرعد: ٢٥) .

وننتقل إلى خلق آخر يتصل بالوفاء بالعهد وهو:

الصدق

لأن الإنسان الصادق هو الذى يفي بوعدده، ولا ينقض عهده، وقد أمرنا الله بالصدق فى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة: ١١٩) ويبين الله أنه سيكون كافى الصادقين بسبب صدقهم فقال تعالى: ﴿لَيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٢٤) ويبين أن الصدق ينفع صاحبه يوم القيامة ويدخله الجنة، فقال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (المائدة: ١١٩).

و ضد الصدق - كما تعلمون - الكذب، وقد بين لنا الرسول ﷺ عاقبة كل من الصدق والكذب، فقال عليه الصلاة والسلام: "إن الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً"^(١)، هل فهمتم معنى هذا الحديث؟

أحمد: نعم.. هل تأذن لى بشرحه؟

الأب: تفضل.

أحمد: الرسول ﷺ يبين فى هذا الحديث أن الصدق ينفع صاحبه ويؤدى إلى خيره

(١) رواه الشيخان بسنديهما عن ابن مسعود .

في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا يعرف الناس صدقه فيحترمونه، ويقبلون على التعامل معه لثقتهم بكلامه، وفي الآخرة يجزيه الله عن صدقه خير الجزاء كما ذكرت حضرتك، والإنسان إذا تعود الصدق، وعرف به بين الناس في أقواله وأفعاله كتبه الله عنده صديقاً أى مدحه بين ملائكته، وأصبحت صفته عندهم "الصديق"، وعكس كل هذا الكذب فهو يؤدى إلى الشرور، ويدفع بصاحبه إلى المهالك، وتنعدم الثقة بكلامه بين من يعرفونه، وينصرفون عنه ويحتقرونه، هذا في الدنيا وفي الآخرة يدخله الله النار، وإذا تعود الإنسان الكذب كتب عند الله كذاباً وأصبح يطلق عليه في مجامع الملائكة "الكذاب".

الأب: فتح الله عليك يا بنى، ولا تنسوا الحديث الذى ذكرت لكم جزءاً منه في الحديث عن بر الوالدين عندما قال رسول الله ﷺ: "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر...".

زينب: أنا أحفظ هذا الحديث يا أبى.. هل أذكره؟

الأب: تفضلى يا زينب.

زينب: "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: "الشرك بالله وعقوق الوالدين - وكان متكئاً فجلس، وقال: ألا وقول الزور"، ومازال يكررها حتى قلنا: ليته سكت".

الأب: عظيم يا زينب.. فتح الله عليك، انظروا إلى الأهمية التى أولاها الرسول ﷺ لقول الزور، وهو الكذب. أولاً: كان متكئاً يعنى فى حالة استرخاء - فجلس ليبين أهمية ما سيقوله ثم ظل يكرر الكبيرة الأخيرة وهى الكذب، حتى أشفق عليه أصحابه لشدة غضبه، وتمنوا لو أنه سكت.

وشكراً لكم وإلى اللقاء فى الجلسة المقبلة إن شاء الله.

الشجاعة

وبدأ الأب حديثه في بداية الجلسة التالية بعد أن حيا أسرته قائلاً:

الأب: سأحدثكم الآن عن فضيلة يعتز بها الإسلام والمسلمون هي فضيلة الشجاعة، وذلك لأنها وسيلة الجهاد في سبيل الله، وإعلاء كلمة الدين لذلك اهتم الإسلام بها، وحذر من الجبن والخوف في المعارك وتوعد الفارين الذين يفرون من المعركة بأشد العذاب، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤَلِّهْمْ يَوْمَئِذٍ دُبرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقُنَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (الأنفال: ١٦) أى الذى يفر من القتال يغضب الله عليه ويدخله نار جهنم، إلا إذا كان الفرار تنفيذاً لخطوة موضوعة فيها مصلحة المسلمين وهذا مفهوم في عرف القتال، أو من أجل الانضمام إلى جماعة أخرى مقاتلة يكون جهاده معها أفضل، وهذا معنى "متحيزاً إلى فئة".

وقد بين الله للمؤمنين أنهم إذا كانوا يعانون من الشدائد والآلام في المعارك فإن الكفار يعانون مثل ذلك، ولكنهم لا ينتظرون الجزاء العظيم من الله كما ينتظر المسلمون، قال تعالى: ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِّنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ (النساء: ١٠٤) وأمر الله رسوله أن يقول لأعدائه من الكفار عندما يدخلون معركة إن الذى ينتظر المسلمين في أى معركة أحد أمرين وكل منهما أحسن من الآخر: إما النصر، أو الاستشهاد في سبيل الله وما يعقبه من جزاء آخرى عظيم، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرْتَضُونَ بَنًا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾ (التوبة: ٥٢) أى هل تنتظرون أن يحدث لنا عند لقاءكم في المعارك إلا إحدى التيجتين الحسينيين: إما النصر أو الشهادة.

من أجل ذلك كان الرسول ﷺ وأصحابه مثلاً عالياً في الشجاعة، وإذا قرأتم

التاريخ الإسلامي فستجدون نماذج مضيئة للشجاعة.

أحمد: ولكن الشجاعة في الحرب فقدت قيمتها الآن بسبب المعدات الحربية التي تجعل الجندي يقاتل بعيداً عن أرض المعركة.

الأب: ليس ذلك دائماً فكثيراً ما يضطر الجنود إلى الالتحام ببعضهم، كما أن المقاتل مهما ابتعد عن أرض المعركة يحتاج إلى شجاعة عظيمة تمكنه من حسن التفكير والتنفيذ، خذ مثلاً الطيار الذي يذهب إلى إلقاء قنابل على الأعداء إن لم يكن شجاعاً فسيهرب بطائرته خوفاً من أن يُقتل، ثم إن اتخاذ القرار في بدء المعارك وفي أثنائها يحتاج إلى شجاعة كبيرة، وإذا كان قائد الجيش جباناً فهل يستطيع أن يصدر أمراً ببدء القتال أو الهجوم، ولكني أحب أن أنبهكم إلى أن الشجاعة تحتاج إلى عقل وبصيرة، وإلا انقلبت إلى تهور يضر أكثر مما ينفع، فالرجل الذي يجد مجموعة كبيرة من الأعداء أمامه فيلقى بنفسه إليهم هذا متهور، وليس شجاعاً، لأن النتيجة معروفة، وهي أنهم سيقتلونه دون أن يحقق شيئاً، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة: ١٩٥).

أحمد: وماذا تقول سيادتكم فيما نقرؤه من تفجير بعض أفراد المقاومة الفلسطينية، فهل يعتبر هؤلاء متهورين؟

الأب: لا، بل هم في قمة الشجاعة، لأنهم بذلوا أرواحهم دفاعاً عن أمتهم وكرامتها وإذا كانوا أقبلوا على هذا العمل وهم متأكدون من موتهم، فهم متأكدون أيضاً أنهم سيكبدون العدو خسارة فادحة مادية ومعنوية تفوق تضحياتهم بأرواحهم، على عكس المثل الذي ذكرته، فقد قتل الرجل دون أن يحقق شيئاً.

الأم: وهناك نوع آخر من الشجاعة يعرف بالشجاعة الأدبية، وهذا خلق عظيم ينبغي أن يتحلى به المسلم.

زينب: ما معنى الشجاعة الأدبية يا أمي؟

الأم: هي مواجهة الإنسان للظلم والظالمين وعدم الخوف منهم، فمثلاً إذا شاهد إنسان اعتداءً وقع على شخص من إنسان صاحب قوة أو نفوذ، وحاول المعتدى أن يقلب الحقيقة، أو ينكر ما فعله من ظلم، فواجب الشاهد أن يقف بجانب المظلوم، ويعلن الحقيقة، فهذه شجاعة أدبية، ومثل آخر: رجل كبير صاحب جاه ونفوذ أراد أن يفرض على شخص آخر أو مجموعة من الناس أمراً ينقص من كرامتهم، أو يظلمهم حقاً من حقوقهم، فوقف أمامه واحد منهم يعارضه، ويرفض ما يريد من إذلال لهم، فهذه شجاعة أدبية.

الأب: ولذلك قال ﷺ: "أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر"^(١)، يعني أن أعظم جهاد يجاهده الإنسان هو أن يقول الحق أمام حاكم مستبد ظالم، فيعرض نفسه للعقاب، وربما للقتل ولا يبالى، ووصف ﷺ الساكت عن الحق، أى الذى يرى ظلماً يلحق بإنسان، ولا يعلن الحقيقة خوفاً وجبناً - وصفه بأنه "شيطان أخرس" لأنه ساعد الظالم على ظلمه.

الصبر

خلق آخر يا أولادى دعا إليه الإسلام هو الصبر، وقد مدح الله الصابرين فى آيات كثيرة من القرآن فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ١٥٣) وقال تعالى ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ١٥٥) وقال تعالى ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٦).

(١) رواه ابن ماجه بسنده عن أبى سعيد الخدرى .

ودعا المسلمين إلى التغلب على الشدائد والمصائب بأمرين هما: الصبر والصلاة، فقال تعالى: ﴿يَتَذَكَّرُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ١٥٣) وذلك لأن الصبر هو الذى يحقق النصر فى معارك الجهاد، وهو الذى يعين الإنسان على مواجهة الحياة، فالإنسان حينما يصبر فى قتال الأعداء يتحقق له النصر، وحين يصبر على المصيبة التى تصيبه، وعلى أزمات الحياة التى تواجهه، فإنه يتغلب عليها، ويمضى فى حياته لا يستسلم للحزن فيعوضه الله خيراً.

الحلم

ويتصل بخُلُق الصبر خُلُق الحلم، لأن الحلم نوع من الصبر، فهو صبر على أمر يضايقه من أحد الأشخاص، وهو قادر على الانتقام منه، ولكنه يكظم غيظه، وقد مدح الله الكاظمين الغيظ، ووعدهم بجنة عرضها السموات والأرض فى قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٣) الَّذِينَ يُفْقُونَ فِي السَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَظِيمِ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿ (آل عمران: ١٣٣، ١٣٤)، ويشترط لى يكون الإنسان حليماً أن يكون قادراً على رد العدوان بمثله، وأما الذى لا يستطيع رد العدوان فيسكت ولا يقاوم فهو عاجز لا حليم.

الأم: لقد كان الرسول ﷺ مثلاً أعلى فى الحلم، فكان يصبر على مضايقات بعض الناس له من المسلمين، ويقابل أذاهم بالابتسام، وقد قرأت فى سيرته العطرة أنه كان يرتدى ثوباً خشناً غليظاً، فأدركه أعرابى - أى رجل من البدو الذين يعيشون فى الصحراء - فجذبه من ثوبه جذبة عنيفة أثرت فى رقبته وظهر أثرها واضحاً، ثم قال: يا محمد، أعطنى من مال الله الذى عندك فالتفت إليه وضحك ثم أمر له ببعض المال.

انظروا، هذا رسول الله ﷺ وهو في المدينة في أيام عز الإسلام، ويستطيع أن يفعل بالأعرابي ما يشاء ولكنه يقدّر جهله وحاجته، ولما جاء رجل وقال له: أوصني، قال له: لا تغضب، والغضب ضد الحلم، ولما طلب الرجل زيادة الوصية كان الرسول يكرر له: لا تغضب.

الأب: لقد كان الرسول ﷺ هو القدوة للمسلمين والمثل الأعلى، ويكفى أن الله مدحه تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤).

العفو

ويتصل بخلق الحلم العفو أى مسامحة الجانى عن جنايته، ويشترط فيه أيضاً أن يأتى مع مقدرة من العاقب على الانتقام ممن ظلمه، وقد دعا الإسلام إلى هذا الخلق وحبب فيه فقال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (الشورى: ٤٠)، وبين هذا الأجر فى الآية التى ذكرتها لكم عند حديثى عن الحلم وهى الجنة التى عرضها السموات والأرض، وكان للعفو هذه المنزلة، لأنه ينشر المحبة، وينشر السلام والوئام فى المجتمع، وقد بين الله هذا فى هذه الآية الكريمة: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت: ٣٤) أى إنك إذا رددت على الإساءة بالإحسان خجل الذى أساء إليك، وندم على إساءته، واعتذر إليك فتحولت العداوة بينك وبينه إلى مودة وصداقة.

الأم: وأذكر لكم أيضاً قصةً من السيرة العطرة، تعرفون كيف كانت تعامل قریش رسول الله ﷺ، وكيف كانت تضطهده وتؤذيه حتى اضطرت إلى الخروج من بلده الذى يحبه، وحاربوه حرباً شديدة، فلما انتصر عليهم، وأصبح قادراً على أن يفعل بهم ما يشاء، سألهم ما تظنون أنى فاعل بكم؟

عمر: هل تسمحين لي يا أمي أن أكمل القصة؟

الأم: أكمل يا عمر.

عمر: حينما سألهم هذا السؤال قالوا له خيراً.. أخ كريم وابن أخ كريم، قال: "اذهبوا فأنتم الطلقاء".

الأم: رأيتم.. لقد عفا عنهم وكان قادراً على الانتقام منهم أشد انتقام، وتأملوا قوله: "فأنتم الطلقاء" أى أن حقهم كان الأسر والسجن ولكنه أطلقهم.

الأب: ونختم جلسنا الليلة بهذه الحكاية من السيرة العطرة، وملتقى في جلسة مقبلة إن شاء الله.

التواضع

وانعقدت الجلسة التالية وبدأها الأب، بعد أن لطف أسرته سائلاً:

الأب: يا ترى يأبى الأولاد الأعمام هل تحاولون الالتزام بالأخلاق الفاضلة التي نتحدث عنها أو تعتبرونها كلاماً نظرياً لا يقبل التطبيق.

أحمد: والله يا أبى إنى أحاول الالتزام بذلك بكل ما أستطيع من جهد، لقد استفزنى أحد الزملاء بكلام سخي، وكان فى استطاعتي أن أضربه، وألقنه درساً، أو على الأقل كنت أرد عليه بما يؤذيه، ولكنى تذكرت كلام حضرتك، وتذكرت الحديث الشريف: "ليس الشديد بالصُّرعة، ولكن الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب" فملكيت نفسى ورددت عليه ردّاً مهذباً فخجل، وفى نهاية اليوم جاء يعتذر إليّ.

الأب: أحسنت يا أحمد، فلا قيمة للمبادئ إذا حولناها إلى شعارات ونظريات ولكن قيمة المبادئ فى تطبيقها والعمل بها.

والآن سأحدثكم عن فضيلة أخرى هي: التواضع، والتواضع هو أن يكون للإنسان مزايا تؤهله لأن يفتخر بها ويتعالى على الناس، ولكنه لا يفعل ذلك، بل يكون بين الناس الذين يقلون عنه شأنًا كواحد منهم، وعكس التواضع الكبر، وقد دعا الإسلام إلى التواضع، فهذا رسولنا الكريم ﷺ يقول: "إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا فلا يفتخر أحد على أحد" ^(١)، وقال أيضاً: "ما تواضع أحد لله إلا رفعه" ^(٢)، وكان ﷺ مثلاً أعلى في التواضع، فهو مع عظمة قدره بين أصحابه "كانت الأمة - أى الخادمة - من إماء المدينة تأخذ بيد النبي ﷺ فتنتطق به حيث شاءت" ^(٣)، أى أن (الشغالة) كانت تأتي إليه فتطلب منه أن يذهب معها إلى مكان ما ليقضى لها حاجة، فكان يذهب معها، وذلك بسبب تواضعه، وتقول عنه زوجته السيدة عائشة رضي الله عنها: "إنه في بيته كان يكون في مهنة أهله" ^(٤)، أى يساعد في أعمال المنزل.

وأما التكبر فهو خلق ذميم ذمه الله وذم المتكبرين وبين أنه لا يحبهم، فيقول تعالى في آية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (لقمان: ١٨) والمختال هو المعجب بنفسه، والفخور هو دائم التفاخر بما يتصف به أو يملكه، وفي آية أخرى يقول: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ (النحل: ٢٣) ويبيّن أن النار مثواهم أى مكان إقامتهم في الآخرة فقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (الزمر: ٦٠).

أحمد: لقد درسنا في حصة الدين آية قرآنية تقول: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ (الإسراء: ٣٧).

- (١) رواه مسلم بسنده عن عياض .
- (٢) رواه مسلم بسنده عن أبي هريرة .
- (٣) رواه البخارى بسنده عن أنس .
- (٤) رواه البخارى بسنده عن الأسود .

الأب: صدق الله العظيم.. انظروا إلى هذا التوبيخ الذي تضمنته الآية للإنسان المعجب بنفسه، الذي يسير باختيال وافتخار، فالله يقول له ما معناه: ماذا تظن نفسك في الكون؟ إنك من أضعف مخلوقات الله فمهما اشتدت قوتك فهل تستطيع أن تحرق الأرض بمشييك عليها، ومهما طالت قامتك فهل ستكون أطول من الجبال؟

الحياء

وهذا نقلنا إلى صفة أخرى هي الحياء، والحياء كما قال عنه النبي ﷺ: "شعبة من الإيمان" أى أن الحياء جزء من الإيمان، فإذا لم يتصف المؤمن به كان إيمانه ناقصاً، والحياء صفة تمنع الإنسان من ارتكاب المعاصي أو الرذائل، ولذلك قال ﷺ: "إذا لم تستح فاصنع ما شئت" أى إذا لم تكن متصفاً بالحياء فإنك ستقدم على أى عمل قبيح دون أن تبالي.

زينب: لكن يا أباي.. الحياء من صفات النساء، وإذا كان الرجل حياً فإن الناس يعيرونه.

الأب: هذا سوء فهم لمعنى الحياء، لأن الحياء الذي يعتبر فضيلة هو خلق يدفع الإنسان إلى عدم فعل الأشياء القبيحة، كما يمنعه من التقصير في أداء الحق لصاحبه هذا هو الحياء المحمود الذي ينبغي أن يتصف به الناس جميعاً رجالاً ونساءً، وأما الحياء بمعنى أن يخجل الإنسان من إبداء رأيه في أمر من الأمور، أو يخجل من المطالبة بحقه فهو ليس حياءً، وإنما نوع من أنواع الجبن سواء في الرجال أو النساء، وقد كان الرسول ﷺ كما جاء في الحديث الشريف: "أشد حياء من العذراء في خدرها"^(١)، أى الفتاة التي لم تخاطب المجتمع - بمعنى أنه كان لا يواجه الناس بما يؤذى مشاعرهم،

(١) رواه الشيخان بسنديهما عن أبي سعيد الخدري .

أو يحط من كرامتهم، وكان عليه السلام يقول: "الحياء لا يأتى إلا بخير"^(١) وعكس الحياء هو الوقاحة أو التبجح ولا أظن أن أحداً يجب أن يتصف بهذه الصفة.

العفة

ومن أخلاق الإسلام أيضاً التي حث عليها العفة، والعفة خُلُقٌ عظيم إذا شاع في المجتمع شاعت فيه الطهارة والنقاء، ومعنى العفة التصون أى حفظ النفس عما يندسها من علاقات سيئة غير مشروعة بين المرأة والرجل فلا تفكر المرأة في رجل غير زوجها، ولا يفكر الرجل في امرأة غير زوجته، وقد حدثتكم في جلسة سابقة عن أمر الإسلام للرجل والمرأة أن يعضوا أبصارهم أى لا ينظر أى واحد منهما إلى الأجنبية عنه، وهو الرجل الذى يحل للمرأة الزواج منه، والمرأة التى يحل للرجل الزواج منها قريباً كان أحدهما أو غريباً - فابن العم وابن الخال بالنسبة للمرأة وابنة العم وابنة الخال بالنسبة للرجل ومن في مستوى هؤلاء أجنب لا يحل الخلوة معهم، أى الجلوس معهم دون أن يكون معهم أشخاص آخرون وبعض الناس يعيب الإسلام، على هذا التشريع، ولكن لو تأملنا في أحداث المجتمع عرفنا صحة رأى الإسلام، وفساد رأى من يدعو إلى التحرر أو التحلل.

وقد نهى الرسول ﷺ أن يخلو رجل بامرأة أجنبية عنه فقال: "لا يَحْلُونَ أحدكم بامرأة إلا مع ذى رحم"، أى لا يجوز لأى رجل أن يجلس مع امرأة يحل له الزواج منها إلا في حضور أحد أقاربها من المحارم وهم الذين لا يحل لهم الزواج منها كالأب أو الأخ أو ابن الأخ وأمثالهم.

أحمد: لكن يا أبى في مجتمعنا الذى تعرفه كيف يسير الإنسان في طريق دون أن

(١) رواه الشيخان بسنديهما عن عمران بن حصين.

ينظر إلى النساء وهن في كل مكان.

الأب: أوافقك أنه أمر صعب في عصرنا هذا، ولكن عليك ألا تطيل النظر دون حاجة وقد أباح الرسول ﷺ للرجال النظرة الأولى التي تقع مصادفة على إحدى النساء، فعليه أن يحول وجهه بعدها ولا يعود للنظر إليها.

الأم: لا تنسوا يا أولادى أننا في عصر القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر ولكن المكافأة ستكون كبيرة إن شاء الله في الدنيا والآخرة، فعليكم بفضيلة الصبر التي حدثكم أبوكم عنها.

الأب: وهناك معنى آخر للعفة نستطيع أن نسميه "عفة اليد" فنقول هذا الإنسان عفيف اليد أى لا يمد يده إلى مال غيره للأخذ منه بغير حق وخصوصاً إذا كان مسؤولاً عن الأموال العامة، وقد دعا الله وصى اليتيم وهو الذى يقوم على رعاية ماله أن يعف عن أخذ شىء منه إن كان غنياً، وأما إذا كان فقيراً فليأخذ منه بالمعروف فقال تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (النساء: ٦).

الإيثار

الأب: وهذا خلق جميل من أخلاق الإسلام وهو الإيثار، ومعنى الإيثار أن يفضل الإنسان الآخرين على نفسه في المواقف التى تقتضى ذلك مثلاً: زينب معها تفاحة تريد أن تأكلها، فرأت بنتاً يبدو عليها الفقر والجوع تنظر إليها فأعطتها زينب التفاحة، فهذا إيثار لأنها فضلتها على نفسها، ولكن هناك إيثار أعظم درجة مدحه الله تعالى في قرآنه وهو أن يكون الإنسان محتاجاً لشيء ويرى غيره محتاجاً إليه فيفضل غيره على نفسه على الرغم من حاجته كما فعل الأنصار مع المهاجرين الذين ذهبوا إليهم في المدينة.

عمر: هل تسمح لي يا أبى أن أذكر موقف الأنصار مع المهاجرين؟

الأب: قل يا عمر.

عمر: عندما هاجر المسلمون إلى المدينة كانوا فقراء، لأن المشركين في مكة أخرجوهم بعد أن أخذوا أموالهم، فأخى الرسول ﷺ بينهم أى جعل كل واحد من المهاجرين أخاً لواحد من الأنصار، فكان كل واحد من الأنصار يساعد أخاه بكل ما يستطيع عن رضا ومحبة.

الأب: هذا صحيح، وفي مرة جاء مال للرسول ﷺ فأراد أن يوزعه على المهاجرين والأنصار، فرفض الأنصار أن يأخذوا حقهم وقالوا للرسول ﷺ: وزعه بين المهاجرين على الرغم من عدم غنى كثير منهم، فأشاد بهم القرآن الكريم ومدحهم فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الحشر: ٩)، والذين تبوءوا الدار هم الأنصار لأنهم كانوا يسكنون المدينة قبل مجيء المهاجرين إليهم، وتخبّرنا الآية الكريمة أنهم كانوا لا يشعرون بحسد أو غيرة إذا أعطى الرسول ﷺ بعض المال للمهاجرين، بل يؤثرونهم على أنفسهم، أى يفضلونهم عليهم ولو كان بهم خصاصة أى فقر.

الأم: وأنا أذكر لكم قصة أخرى مدح الله فيها بعض الصحابة، لأنهم آثروا على أنفسهم المسكين واليتيم والأسير، تقول القصة: إن سيدنا على بن أبى طالب **ع** كان صائماً هو وزوجته وأعدوا لهم طعاماً بسيطاً ليفطروا عليه فجاءهم مسكين يسأل ويقول: أطعموني يا آل محمد فأعطوه طعامهم، وأفطروا على الماء أو على قليل من التمر، ثم جاءهم في يوم آخر يتيم فقد أبويه وليس هناك من ينفق عليه وهو صبي

صغير فقال: أطعموني يا آل محمد فأعطوه طعامهم أيضاً وفي يوم ثالث جاءهم أسير أسير في إحدى الغزوات وليس هناك من يتكفل به يسألهم فأعطوه طعامهم أيضاً، وكان غرضهم من إعطاء الطعام وحرمان أنفسهم هو خوفهم من اليوم المرعب لما فيه من أهوال وهو يوم القيامة فكافأهم الله على ذلك ووعدهم بأنه سينجيهم من شر هذا اليوم وسيدخلهم الجنة ينعمون فيها بكل ألوان النعيم.

الأب: والقصة التي ذكرتها أمكم تضمنتها الآية الكريمة: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (٨) إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ سَرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّيْنَهُمْ نَصْرَهُ وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَيْنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ (الإنسان: ٨ - ١٢) إلخ الآيات.

فهذا العمل هو من أعظم ألوان الإيثار، وكل من يفعل ذلك جزاؤه عند الله عظيم، وعكس الإيثار هو الأثرة أو الأنانية، أى حب الإنسان لنفسه، وتفضيلها على كل إنسان آخر دون وجه حق وهى صفة مدمرة للمجتمع، لأنها تجعله غابة يحاول القوى فيها أن يأكل الضعيف.

الرحمة

والخلق الأخير الذى أحب أن أحدثكم عنه هو خلق الرحمة، والرحمة فضيلة إذا شاعت فى مجتمع سادت فيه روح المحبة والإخاء، والإسلام هو دين الرحمة، وأكبر دليل على ذلك أننا نستفتح كل عمل من أعمالنا بقولنا: بسم الله الرحمن الرحيم، فقد اختار الله فى هذه الآية صفتين من صفاته تدلان على الرحمة ليعلمنا أن نتراحم فيما بيننا، كما تضمنت تحية الإسلام الدعاء بالرحمة مع السلام والبركة فنحن كثيراً ما نقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وقد وصف الله رسوله ﷺ بالرفقة

والرحمة، والرفقة هي شدة الشفقة والرحمة فقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨).

زينب: ما معنى ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾؟

الأب: العنت شدة المشقة والتعب الشديد، يعنى أن الرسول ﷺ حريص على مصلحة المسلمين يصعب عليه أن يكلفهم عملاً يرهقهم وقد كان ﷺ شديد الرحمة بكل من حوله، وقد ذكر الله تعالى أن سبب محبة المسلمين له، ودخولهم في دينه ما لمسوه منه من رقة ورحمة ولين ولو أنه كان خشن المعاملة، قاسى القلب لتركوه وتركوا دينه، قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِظَ الْقَلْبُ لَأَنفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: ١٥٩) وقد تعجب أحد الأعراب المتصفين بالجلافة وغلظ القلب عندما رأى الرسول ﷺ يقبل أحد أحفاده، وقال: إن لى عشرة من الأولاد ما قبلت واحدا منهم، فنظر إليه الرسول ﷺ وقال: "من لا يرحم لا يُرحم" (١).

الأم: لقد قرأت أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى صلاة الجماعة وخلفه المسلمون والمسلمات فإذا سمع بكاء طفل فى أثناء صلاته يخفف من صلاته حتى يتيح الفرصة لأمه لكى تُسكته.

الأب: نعم، وقد قال ﷺ: "إنى لأقوم إلى الصلاة وأريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبى فأتجوّز فى صلاتى - أى أقصرها - كراهية أن أشق على أمه" (٢)، وقد رأى أحد الصحابة وهو بالشام بعض الشرطة يضربون الناس، فسأل ما سبب هذا

(١) رواه الشيخان بسنديهما عن أبى هريرة ؓ .

(٢) رواه مسلم بسنده عن هشام بن حكيم ؓ .

التعذيب؟ قيل له: إنهم تأخروا في دفع الخراج، أى الضريبة للأراضي الزراعية - فأسرع إلى الوالى وقال له: أشهد لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا"^(١)، فأصدر الوالى فوراً الأمر بعدم تعذيبهم.

الأم: هذا هو الإسلام الذى يتهمونه بالعنف والإرهاب.

الأب: إن هذه التهمة ناشئة عن جهل بعض أعداء الإسلام بمساحة هذا الدين، أو تعصبهم ضده ومحاولة تشويهه، وأمر آخر هام هو أن بعض المسلمين ينحرفون عن مبادئ هذا الدين جهلاً أو عمداً أيضاً لمصالح شخصية تهمهم.

والآن قد حدثتكم عن أهم الأخلاق الفاضلة التى دعا إليها الإسلام، سأحدثكم فى الجلسة المقبلة - إن شاء الله - عن بعض الرذائل التى نهى عنها الإسلام.

(١) رواه البخارى بسنده عن أبى قتادة ؓ .

رذائل نهى عنها الإسلام

اجتمع شمل الأسرة في الجلسة التالية وبدأ الأب حديثه قائلاً:

الأب: سأحدثكم الليلة عن بعض الرذائل التي نهى عنها الإسلام، وقد جمعها الله في آيتين كريمتين أقرؤهما لكم، ثم أشرح في ضوءها هذه الرذائل.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾.

زينب: أنا أحفظ هذه الآيات، هل أقولها نيابة عنك يا أبي؟

الأب: قولى يا زينب.

زينب: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُم الظَّالِمُونَ﴾ (١١) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَحْسَسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحجرات: ١١، ١٢) صدق الله العظيم.

الأب: صدق الله العظيم، شكراً لك يا زينب، أريد الآن من عمر أن يذكر لى الرذائل التي وردت في هاتين الآيتين.

عمر: السخرية من الآخرين، اللمز، التنازع بالألقاب، الظن السيئ، التجسس، الغيبة.

الأب: حسناً يا عمر.. هذه الرذائل من أسوأ الرذائل التي تشيع الكراهية والبغضاء في المجتمع، وأولها السخرية من الآخرين، فيحاول بعض المغرورين بما أعطاهم الله

من صحة أو وسامة أو غنى أن يُعَيَّر من حرمه الله من هذه الأشياء بمرضه أو قبحه أو فقره وينسى هذا المغرور أن هذه الأمور لا فضل لأحد فيها لأنه منحة من الله يعطيها بعض الناس ويحرم بعضهم منها ليختبر عباده فيرى من يشكر النعمة، ومن يصبر على الحرمان، ثم إن هذه الأشياء كلها أمور دنيوية لا قيمة لها عند الله يوم الحساب، وإنما الذى له قيمة عند الله هو العمل الصالح، فقد يكون الذى يسخر منه الساخرون يتميز بالصلاح والتقوى فتكون منزلته عند الله أعظم من الذى يسخر منه.

ويتصل بالسخرية من الناس لَمُزُّهم، أى العيب عليهم، والطعن فى سلوكهم بالباطل، وقد توعد الله بالعقاب الشديد كل من يفعل ذلك، فقال تعالى: ﴿رَبِّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ (الهمزة: ١) والويل المراد به العذاب الشديد، والهمزة واللمزة كل إنسان تكون عاداته عيب الناس وذمهم.

ومثل السخرية التنابز بالألقاب، فقد يلتصق ببعض الناس لقب يكرهه ويشيع هذا اللقب بين الناس، ويحاول بعضهم إيذاءه بذكره مرتبطاً بهذا اللقب، فنهى الله عن ذلك، والتنابز بالألقاب معناه أن كل واحد يحاول أن يلقب أخاه المسلم بما يكرهه من ألقاب، وقد بلغ من تنفير القرآن للناس من ممارسة هذه الرذائل أن اعتبرها فسوقاً، وحذرهم من أن يتصفوا بالفسوق بعد اتصافهم بالإيمان، ثم فتح باب التوبة لمن أراد أن يتوب، وأما من لم يتب فقد ظلم نفسه، هذا ما تضمنته الآية الأولى.

وأما الآية الثانية فتنهى عن ثلاث رذائل، أولها: إساءة الظن بالناس فعلى المسلم أن يحسن الظن بالآخرين، وإذا رأى منهم خطأ يحاول أن يحمله على محمل حسن.

أحمد: ولكن النصابين فى عصرنا كثيرون، ولذلك قالوا سوء الظن عصمة وحسن الظن ورطة.

الأب: ليس المراد بحسن الظن بالناس أن نثق بكل من يتقدم إلينا بمشروع من المشروعات أو عمل من الأعمال، فنسلمه ما يريد، ولكن علينا أن نتحرى عنه وعن أخلاقه وكفاءته والتزامه دون أن نتهمه بشيء حتى نتأكد بالدليل أنه إنسان موثوق به، فإذا لم نتأكد من ذلك نتركه دون إساءة إليه، أو إشاعة عدم الثقة به بين الناس.

الأم: يعنى كما يقول المثل البلدى: "حرص من صاحبك ولا تخونه".

الأب: الرذيلة الثانية التجسس وهى مرتبة على الأولى، لأننا حينما نساء الظن بأحد من الناس نحاول أن نتجسس عليه لتأكد من صدق ظننا، فنحاول استراق السمع لنسمع ما يقول، أو التنصت على مكالماته الهاتفية، وهذه بعض وسائل التجسس، وهذه الرذيلة مدمرة هى الأخرى للمجتمع، لأنها تجعل كل فرد من أفرادها يحاول أن يتجسس على الآخر، وينتهك خصوصياته، وقد يطلع على أمور تزيد حقه عليه، ويترتب عليها فتنة كبيرة، لذلك نهانا الإسلام عنه.

أحمد: لكن يا أبى التجسس عنصر أساسى الآن لحماية الدولة من أعدائها، وفي كل دولة جهاز مخبرات هدفه التجسس على الدول الأخرى.

الأب: التجسس ضد الأعداء مشروع، ولا يدخل فى التجسس المنهى عنه، وفى سيرة الرسول ﷺ أنه كان يثبت العيون - أى ينشر الجواسيس لاستطلاع أخبار الأعداء حتى لا يفاجأ المسلمون بعدو يهجم عليهم وهم غافلون.

أحمد: وهناك جهاز داخلى أيضاً يتجسس على المواطنين العاديين هو جهاز المباحث الجنائية أو أمن الدولة أو غير ذلك من الأسماء.

الأب: وهذه الأجهزة أيضاً ضرورية لحماية الدولة من المجرمين الذين يريدون ترويع الأمنين وسلب أنفسهم وأموالهم، فتحاول هذه الأجهزة كشف الجريمة قبل

وقوعها والقبض على المجرمين، ولكن لابد لهذه الأجهزة من ضوابط تنظم عملها حتى لا تتحول إلى أجهزة تنتهك حرمة المواطنين الأبرياء، ومن أهم هذه الضوابط ألا تجسس على أحد إلا بعد استئذان النيابة المختصة بذلك، بعد تقديم مبررات الشك في شخص ما، فإذا اقتنعت بها النيابة أعطت الإذن وإلا رفضت الإذن، وأما إذا تجسست هذه الأجهزة دون إذن من النيابة، وحولت القضية إلى المحكمة بناء على هذا التجسس فإن المحكمة تبرئ المتهم على الرغم من ارتكابه الجريمة، لأن التجسس حدث دون إذن النيابة، وهذا نوع من الاحتياط واجب.

وأما الرذيلة الأخيرة في هذه الآية فهي أخطرها وهي الغيبة ولذلك نفر الإسلام منها أشد تنفير.

الأب: الغيبة هي أن تذكر رجلاً أو امرأة بما يكرهان في غيابهما.

عمر: لنفرض أن العيب الذي ذكرته موجود فيه.

الأب: يعتبر غيبة أيضاً، وقد أوضح الرسول ﷺ ذلك في حديثه حين قال لأصحابه: "أتدرون ما الغيبة؟" قالوا: "الله ورسوله أعلم" قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول، قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته^(١).

وكما قلت لكم قد نفر الله من الغيبة أشد تنفير، فقد شبه الرجل الذي يغتاب آخر بإنسان يأكل لحم أخيه الميت، انظروا إلى البشاعة التي توحى بها هذه الصورة، فأكل لحم الآدمي أمر بشع، وأبشع منه أن يكون الآدمي ميتاً، ثم تصل البشاعة إلى أقصى

(١) رواه مسلم بسنده عن أبي هريرة ؓ ، ومعنى بهته: أي افترت عليه أشد الكذب.

حد لها حينما يكون هذا آدمى الميت الذى يأكل لحمه أخاً له، فهل رأيتم بشاعة تفوق هذه البشاعة؟

الأم: هل لاحظتم يا أولادى أن الآية الكريمة والحديث الشريف حينما تحدثا عن الغيبة وصفا الشخص الذى يُغتَاب بأنه أخ للذى يغتابه، وذلك حينما يقول الرسول ﷺ "ذكرك أخاك بما يكره" وتقول الآية: ﴿يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ (الحجرات: ١٢) وذلك للإيحاء بعمق العلاقة التى تربط بين المسلمين والتى يجب أن تحول دون إساءة أحدهم إلى الآخر.

الأب: وإلى جانب هذه الرذائل التى نهت عنها الآيتان السابقتان هناك رذيلة أخرى نهى عنها الإسلام، وهى لا تقل خطورة عن الرذائل السابقة وهى النميمة.

عمر: أليست الغيبة هى النميمة؟

الأب: هذا ما يشيع الآن فى عرفنا، ولكن معناها يختلف، فالنميمة هى نقل الكلام من إنسان لآخر بقصد الإيقاع بينهما، مثلاً حدثك صديق عن صديق آخر يشكو إليك منه، ويذكر بعض أقواله وأفعاله التى تضايقه منه، فبدلاً من أن تحاول الإصلاح بينهما تذهب إلى الصديق الآخر: وتقول له: إن صاحبك فلان يقول عنك كذا وكذا بطريقة مستفزة، وربما تزيد أشياء من عندك لكى تفسد العلاقات بينهما، ويغضب الرجل ويذم صاحبه الذى نقلت إليه كلامه بطريقة ملتوية. هذه هى النميمة، والذى يقوم بها يسمى: نَمَاماً، أو "مَشَاءَ بَنِمِيمٍ" كما ذم الله أحد كبار المشركين الذين كانوا يعادون الرسول ﷺ؛ فقال عنه: ﴿هَمَازِ مَشَاءَ بَنِمِيمٍ﴾ (القلم: ١١). أى يمشى بالنميمة بين الناس، فيُشعل العداوة والبغضاء بينهم، وقال ﷺ: "لا يدخل

الجنة نمام"^(١)، أى حرم الله الجنة على كل رجل يتصف بهذه الصفة الذميمة. ولعلكم لاحظتم أن الإسلام يدعو إلى كل صفة تشيع المحبة والتعاطف بين الناس، ويحارب بكل قوة كل رذيلة تفسد العلاقات بين الناس، وتنشر العداوة والحقد بينهم.

هذه هى بعض الرذائل التى نهى الإسلام عنها فإذا أضفناها إلى عكس الفضائل التى دعا إليها وتناولناها فى جلسات سابقة عرفنا مجموع الرذائل التى يحاربها الإسلام ولا يبقى أمامنا فى الحديث عن بنية الإسلام الشامخ إلا بعض آداب السلوك نتناوله فى الجلسة المقبلة إن شاء الله.

(١) رواه الشيخان البخاري ومسلم بسنديهما عن حذيفة بن اليان . E

بعض الآداب الاجتماعية

أدب الاستئذان

الأب يدخل على أسرته فيحييهم، وتنعقد الجلسة الأخيرة من هذه الجلسات الشائقة المستنيرة، ويدعوها الأب قائلاً:

الأب: سأحدثكم أولاً عن أدب من آداب السلوك عني به الإسلام أيها عناية هو أدب الاستئذان، إن الإسلام يدعو كل فرد إلى مراعاة خصوصية غيره، فالإنسان حينما يكون وحده قد يتخفف من ثيابه، أو يضطجع أو يرقد بطريقة لا يجب أن يطلع عليها أحد من أفراد أسرته، أو من أصحابه، أو يفعل أشياء خاصة به لا يجب أن يراها الناس، لذلك أمر الله المسلمين ألا يدخلوا بيوتاً غير بيوتهم إلا بعد الاستئذان من أهلها، وتحييتهم بالتسليم عليهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾ (النور: ٢٧) فالله ينهى المسلمين عن دخول مكان خاص إلا بعد الاستئذان من أهله، وتقديم التحية لهم، وينطبق هذا على الغريب والقريب، وكما ينطبق الاستئذان على طلب دخول منزل من المنازل ينطبق أيضاً على غرفة من غرف الشقة الواحدة طالما يخلو فيها فرد من أفراد الأسرة، فأنتم حينما تريدون أن تدخلوا حجرتي وأنا فيها أو حجرة أمكم لا بد من الاستئذان أولاً، حتى ولو كان باب الغرفة غير تام الإغلاق بأن كان موارباً مثلاً، وأنا أو أمكم لا بد أن

نستأذن منكم قبل دخول حجر تكم.

أحمد: حتى زينب الصغيرة؟

زينب: أنا لست صغيرة أنا سني اثنتا عشرة سنة.

الأب: الأطفال - ومعدرة يا زينب، فأمامك سنة أو سنتان لنعتبرك من الكبار - الأطفال يستطيعون الدخول والخروج بغير إذن إلا في ثلاثة أوقات حددها القرآن الكريم: قبل صلاة الفجر، وفي وقت القيلولة بعد الظهر.

زينب: ما معنى القيلولة؟

الأب: القيلولة وقت النوم أو الراحة بعد الغداء، والوقت الثالث بعد العشاء، فإذا أراد الأطفال الدخول على الكبار في هذه الأوقات لابد أن يستأذنوا، والمراد بالأطفال - الذين بلغوا سن التمييز أي من سن أربع سنوات مثلاً، أما ما قبل فلهم مطلق الحرية، لأنهم لا يميزون، ولا يمكن السيطرة عليهم - ومعنى استئذانهم أن يدقوا الباب دقات خفيفة، ولا يدخلوا حتى يؤذن لهم.

أحمد: وكيف يدرك طفل في الرابعة أو الخامسة ذلك؟

الأب: يعلمه أبواه أو إخوته حتى يتعود ذلك، فكل الأطفال لا يفعلون شيئاً إلا بعد أن يؤمروا به، ويدربوا عليه.

عمر: لماذا هذه الأوقات الثلاثة بالنسبة للصغار؟

الأب: لأنه في هذه الأوقات يكون الإنسان متخففاً من ثيابه، أو في وضع لا يجب أن يطلع عليه أحد، لأنه في حالة استيقاظ من النوم أو استعداد للنوم، ومثل وقت

الفجر، وقت الاستيقاظ من النوم في الصباح في أى وقت.

زينب: يعنى أنا أستطيع الدخول على حضرتك في غير هذه الأوقات بدون إذن.

الأب: نعم.. ولكن الأفضل تعويد الأولاد الاستئذان في جميع الأوقات كما نعودهم الصلاة والصوم حتى إذا كبروا كان ذلك أمراً عادياً لهم.

آداب المجالس

الأب: وننتقل بكم إلى آداب آخر من آداب السلوك الإسلامى وهو آداب المجالس، وأول ما اهتم به الإسلام من هذا الأدب هو اختيار أماكن الجلوس بحيث لا تؤذى الجالسين، فهى الرسول ﷺ عن الجلوس فى الطرقات، فلما قال بعض الصحابة: إنها مجالسنا التى لا يمكننا الاستغناء عنها، اشترط عليهم شروطاً إذا جلسوا فى الطرقات، أولها: غض البصر أى عدم النظر إلى السائرات من النساء. وثانيها: كف الأذى، أى يمنعون أذاهم عن الناس، فلا يتسببون فى مضايقتهم بالقول أو الفعل، وثالثها: رد السلام على من يسلم عليهم. ورابعها: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فإذا حدث أمر سيئ نهوا صاحبه عن فعله، وأمروه بما هو خير، وذلك بطريقة مهذبة، قال ﷺ: "إياكم والجلوس فى الطرقات قالوا: إنها مجالسنا ما لنا عنها بد قال: فإن أبيتم إلا الجلوس فأعطوا الطريق حقها قالوا: وما حق الطريق؟ قال: غض البصر وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر"^(١).

الأم: قارنوا هذا بما يحدث الآن من الشباب، وجلوسهم على النواصى،

(١) رواه البخارى بسنده عن أبى سعيد الخدرى .

ومعاكستهم النساء، وتلفظهم بالألفاظ البذيئة.

الأب: هذا سلوك لا يرضاه الإسلام، ويعاقب عليه أشد العقاب، لأنهم خالفوا الحديث الشريف في كل معانيه، فلم يغضوا البصر بل فعلوا ما هو أسوأ، ولم يكفوا الأذى، وفعلوا المنكر، وجانبوا المعروف.

الأمر الثاني من آداب المجلس هو أن يسلم القادم على الجالسين، وعلى الجالسين أن يردوا تحيته بأحسن منها، والأمر الثالث: أن يجلس حيث يجد المكان الخالي دون أن يحاول مزاحمة الجالسين ليجلس في صدر المجلس أو قريباً من الشخصية الكبيرة فيه، وقد يدفعه ذلك إلى أن يقيم أحداً من مكانه، أو يخرجه حتى يقوم له من مكانه، فقد قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "لا يقيمن أحدكم رجلاً من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا"^(١)، وكان الصحابي الجليل عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا قام له رجل من مجلسه لم يجلس فيه. وإذا كان المجلس مزدحماً، ودخل أحد الناس فعلى الجالسين أن يتفسحوا له طاعة لأمر الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (المجادلة: ١١) أى إذا أفسحتم لغيركم مكاناً في المجلس فإن الله سيجزيكم بأن يفسح لكم مكاناً في الجنة، فإذا اضطر أحد الجالسين إلى مغادرة المكان لأمر ما يظل مكانه خالياً حتى يعود، وإذا جلس فيه أحد غيره فعليه أن يتركه له متى عاد، قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "إذا قام أحدكم من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به"^(٢).

ومما يتصل بأدب المجالس ألا يتناجى اثنان من الجالسين أو أكثر ويتركون واحداً

(١) رواه البخاري بسنده عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه أحمد والبخاري بسنديهما عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

في المجلس دون أن يشركوه في حديثهم.

زينب: ما معنى: يتناجي؟ ولماذا نهى الرسول ﷺ عن ذلك؟

الأب: يتناجون: أى يتحدثون همساً دون أن يسمعونهم من حولهم، وقد نهى الرسول ﷺ عن ذلك حتى لا يتأثر الجالس وحده، ويشعر أن من معه يخفون عنه شيئاً، أو يتحدثون عنه حديثاً سيئاً، فقال ﷺ: "إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه" (١).

أحمد: وإذا كانوا أكثر من ثلاثة؟

الأب: إذا تناجى اثنان وبقي اثنان لا يشتركان في التناجى فلا بأس لأن بإمكانهما أن يتحدثا معاً.

ويتصل أيضاً بآداب المجالس ألا يقاطع أحد المتكلمين قبل أن يتم كلامه، وأن يكون صوت المتكلم خفيضاً يسمعه الجالسون في سهولة ولكنه لا يؤذى آذانهم، وقد مدح الله الذين يخفزون من أصواتهم في مجلس رسول الله ﷺ ووعدهم غفران ذنوبهم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقَاةِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (الحجرات: ٣).

أحمد: ربما يكون هذا خاصاً بمجلس رسول الله ﷺ.

الأب: هو واجب وجوباً محتماً في مجلس رسول الله ﷺ ولكن علينا أن نفتدى بالرسول ﷺ فنحاول أن تكون مجالسنا قريبة من وقار مجلسه، كما أن الله طلب من

(١) رواه الشيخان البخاري ومسلم بسنديهما عن ابن مسعود .

الناس أن يغضوا أصواتهم في جميع الحديث، فقد جاء في القرآن الكريم على لسان لقمان وهو يوصي ابنه هذه الوصية: ﴿وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (لقمان: ١٩).

وانظروا التعقيب الذي عقب به لقمان على وصيته فقد ذكر أن علو الصوت ليس شيئاً مشرفاً للإنسان، فأعلى الأصوات هو نهيق الحمير ولكنها أصوات قبيحة منكرة. والآن يا أولادى أرجو أن أكون قد قدمت لكم صورة واضحة لإسلامنا العظيم الذي جاء به خاتم الرسل محمد ﷺ، فكان دستوراً للبشرية كلها إذا طبقت سعت في الدنيا والآخرة.

وأرجو أن تكون الصورة التي قدمتها قد استطاعت أن تريكم فعلاً ما يمتاز به ديننا من سمو ونبل، وما تتميز به مبادئه من شمول وصلاحية لكل زمان ومكان، كما أرجو أن تكونوا قد استوعبتم ما تناولناه في جلساتنا من هذه المبادئ، وأن تلتزموا بها. **أحمد:** لقد استفدت كثيراً من هذه الجلسات التي أوضحت لي أن ديننا هو دين البشرية حقاً وفعلاً، لأنه عالج مشكلاتها في رحمة وسماحة ورفق، فشكراً لك يا أبى، وشكراً لك يا أمى على الإضافات الجميلة التي كنت تضيفينها.

عمر: وأنا سعيد جداً بهذه الجلسات التي علمتني الكثير، وأعدك يا أبى أنى سألتزم بها إن شاء الله، فشكراً لك يا أبى، وشكراً لك يا أمى.

زينب: وأنا - والله - مع أنى صغيرة استفدت كثيراً، فشكراً لك يا أبى وشكراً لك يا أمى.

الأب: جزاكم الله خيراً يا أولادى، ووفقكم إلى طاعته والالتزام بدينه.

الأم: وأنا أشكركم يا أولادى كثيراً، وأدعو لكم بالتوفيق والتمسك بمبادئ ديننا الحنيف، وأشكر زوجى العزيز فقد استفدت أنا الأخرى كثيراً من دروسه.

الأب: شكراً لك يا زوجتى العزيزة، وأسأل الله أن يوفقنا جميعاً إلى الخير والفلاح.

فهرس المحتويات

5	 مقدمة
9	 أسرة مسلمة
11	 عقيدتنا
13	 بناء الإسلام
16	 الشهاداتان
30	 أشهد أن محمداً رسول الله
42	 الأنبياء العرب
63	 الكتب المنزلة
72	 اليوم الآخر
81	 الجنة
87	 عباداتنا
89	 الصلاة

- 116 الزكاة
- 127 صوم رمضان
- 137 الحج
- 153 قِيمُنَا
- 155 الإسلام بناء متكامل
- 174 رعاية حق الجار
- 178 حقوق المسلمين بعضهم على بعض
- 184 المسؤولية الاجتماعية
- 190 التسامح مع ذوى الأديان الأخرى
- 194 الرفق بالحيوان
- 197 أخلاقنا
- 199 أهمية الأخلاق
- 223 رذائل نهى عنها الإسلام
- 229 بعض الآداب الاجتماعية